اللطائف النورانية

على

الأربعين النووية

(نسخة السند)

الشيخ الدكتور
جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين

اللطائـف النورانيــة
على الأربعين النووية
«نسخة السند»

الطبعة الأولى
١٤٣٤ هـ
٢٠١٣ م

الموضوع: شرح الأربعين النووية.
اسم الكتاب: اللطائف النورانية علي الأربعين النووية « نسخة السند » .
المؤلف: الشيخ د. جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين.
الصف والإخراج الفني: مركز بدور للثقافة والترجمة
عدد الصفحات: ١٤٠.
عدد الملازم: ١٧,٥ ملزمة.
قياس الصفحة: ٢١×٣٠.
رقم الإيداع: ٢٠١٠/٢٣١٢٥.

شركة السماحة
للطباعة والنشر والتوزيع
الكويت



اللطائف النورانية



الأربعين النووية

+

وثيقة السند لطلبة العلم

اعتنى بها وأخرجها
الشيخ الدكتور
جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين



مركز
بدور للثقافة والترجمة

الطبعة الأولى
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

تطلب منشوراتنا

في الكويت من: شركة السماحة

ت/ ٩٩٥٥٧٤٧١

الرمز البريدي : ٤٣٧٥٦

ص. ب : ٦٦٥٢٠ بيان

في مصر من: مؤسسة شروق للترجمة والنشر

المنصورة/ شارع جيهان– أمام مستشفى الطوارئ–ت: ٠١٢٢٥٦٨٢٣١٤

سلسلة بيت الدعوة
رقم السلسلة (١٢) **الرقم الفني (١٢)**

مُقَدِّمَة

قال الإمام النوويُّ:

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَيُّومِ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ، مدَبِّرِ الْخَلائِقِ أَجْمَعِينَ، بَاعِثِ الرُّسلِ ـ صَلَوَاتُهُ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ ـ إِلَى الْمُكَلَّفِينَ لِهِدَايَتِهِمْ وَبَيَانِ شَرَائِعِ الدِّينِ، بِالدَّلائِلِ الْقَطْعِيَّةِ، وَوَاضِحَاتِ الْبَرَاهِينِ. أَحْمَدُهُ عَلَى جَمِيعِ نِعَمِهِ، وأَسْأَلُهُ الْمَزِيدَ مِن فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلى اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، الْكَرِيمُ الْغَفَّارُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَحَبِيبُهُ وَخَلِيلُهُ، أَفْضَلُ الْمَخْلُوقِينَ، الْمُكَرَّمُ بِالْقُرْآنِ الْعَزِيزِ، صَاحِبُ الْمُعْجِزَة الْمُسْتَمِرَّةِ عَلَى تَعَاقُبِ السِّنين، وَصَاحِبُ السُّنَنِ الْمُسْتَنِيْرَةِ لِلْمُسْتَرْشِدِينَ المخْصُوصُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ وَسَمَاحَةِ الدِّينِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ وَعلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَآلِ كُلٍّ وَسَائِرِ الصَّالِحِينَ.

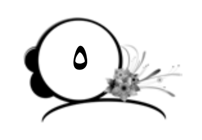
أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ عَلِيِّ بِن أَبِي طَالِب، وَعَبْدِ اللهِ بن مَسْعُود، وَمُعَاذ بن جَبَل، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، وَابْن عُمَرَ، وَابن عَبَّاس، وأَنَس بن مَالِكَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ – رضى الله عنهم– مِنْ طُرُقٍ كَثيرَة بِرِوَايَاتٍ مُتَنَوِّعَة: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

«**مَنْ حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا مِنْ أَمْرِ دِينِهَا، بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي زُمْرَةِ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ**».

واتفقَ الحفَّاظ على أنه حديث ضعيف كثُرتْ طرُقهُ وقد صنَّفَ الْعُلَماء –رضي الله عنهم– فِي هذا البَابِ مَا لا يُحْصَى مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ فأوَّلُ منْ علمتهُ صنَّفَ فِيهِ: عَبْدُ اللهِ بنُ الْمُبَارَكِ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ الطُّوسِيُّ الْعَالِمُ الرَّبَّانِيُّ، ثُمَّ الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ النَّسَائِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ الآجُرِّيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الأَصْفَهَانِيُّ، والدَّارَقُطْنِيُّ، وَالْحَاكِمُ، وَأَبُو نُعَيْم، وَأَبُو عَبْد الرَّحْمن السُّلَمِيُّ، وَأَبُو سَعِيد الْمَالِينِيُّ، وَأَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الأنصَارِيِ، وأبو بكر البيهقيُّ وخَلائق لا يُحْصَوْنَ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ.

وَقَدْ اسْتَخَرْتُ اللهَ تَعَالَى، فِي جَمْعِ أَرْبَعِينَ حَدِيثًا؛ اقْتِدَاءً بهؤلاءِ الأَئِمَّةِ الأَعْلامِ وَحُفَّاظِ الإِسْلامِ.



وقدَ اتفقَّ َ الْعُلَمَاءُ عَلَى جَوَازِ الْعَمَلِ بِالْحَدِيثِ الضَّعِيفِ فِي فَضَائِلِ الأعْمَالِ. وَمَعَ هَـذا، فَلَيْسَ اعْتِمَادِي عَلَى هذا الْحَدِيثِ، بَلْ عَلَى قَوْلِهِ فِي الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ: « **لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ**»[1]. وَقَوْلِهِ: « **نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا**»[2].

ثُمَّ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ جَمَعَ الأَرْبَعِينَ فِي أُصُولِ الدِّينِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الْفُرُوعِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الْجِهَادِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الزُّهْدِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الآدَابِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الْخُطَبِ، وكُلُّهَا مَقَاصِدُ صَالِحَةٌ رَضِيَ اللهُ عَنْ قَاصِدِيهَا.

وَقَدْ رَأَيْتُ جَمْعَ أَرْبَعِينَ أَهَمَّ مِنْ هذا كُلِّهِ، وَهِيَ أَرْبَعُونَ حَدِيثًا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ، وَكُلُّ حَدِيثٍ مِنْهَا قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الدِّينِ قَدْ وَصَفَهُ الْعُلَمَاءُ بأَنَّ مَدَارَ الإِسْلامِ عَلَيْهِ، أَوْ هوُ نَصِفُ ُ الإِسْلامِ أَوْ ثُلُثُهُ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ.

ثُمَّ أَلْتَزِمُ فِي هَذِهِ الأَرْبَعِينَ أَنْ تَكُونَ صَحِيحَةً، وَمُعْظَمُهَا في صَحِيحَيْ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، وَأَذْكُرُهَا مَحْذُوفَةَ الأَسَانِيدِ؛ لِيَسْهُلَ حِفْظُهَا، وَيَعُمَّ الانْتِفَاعُ بِهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ أُتْبِعُهَا بِبَابٍ فِي ضَبْطِ خَفِيِّ أَلْفَاظِهَا.

ويَنْبَغِي لكِلُ ِّ راغبٍ فِي الآخِرةِ، أن يْعَرْفِ َ هَـذِهِ الأَحَادِيثَ؛ لِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمهِمَّاتِ، وَاحْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى جَمِيعِ الطَّاعَاتِ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ، وَعلَى اللهِ اعتمْادَيِ، وإِلَيه َتفوَيْضِي واسَتنَادِي، ولهَ الْحمْدُ َوالنِّعمْةَ، ُوبهَ التوفَّيْق ُ وَالْعِصْمَةُ. ا.هـ[3].

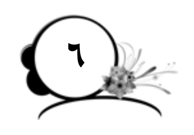
هذا، وقدْ أشار الإمامُ أبو سليمان أحَمْدُ بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ الخطابيُّ المتوفى سنة (٣٣٨ هـ) إلى يسيرٍ منْ جوامعِ كلمِهِ في كتابه (غريبِ الحديثِ ١/ ٦٤) فقالَ: «وقدْ أمدَّ اللهُ رسولَهُ بجوامع الكلم التي جعلها ردْءًا لنبوتهِ، وعَلَمًا لرسالته، لينتظمَ في القليلِ منها علمُ الكثيرِ، فيَسْهُلَ على السامعينَ حفظُهُ ولا يؤودُهُم حملُهُ، ومنها في القضايا والأحكام قولُهُ: «**المؤمنون تتكافأُ دماؤُهُمْ، ويسعى بذمتِهم أدناهُم، وهمْ يدٌ على منْ سواهُم**»[4] وقولُه:

(١) أخرجه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩) عن أبي بكر ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦) عن زيد بن ثابت ﷺ، قال الترمذي: «حديث حسن»، وصححه الألباني.

(٣) انتهى كلام الإمام النووي في مقدمته وقد شرحها الأستاذ محيي الدين الشامي في إخراجه لشرح ابن دقيق العيد للأربعين النووية .

(٤) أخرجه أبو داود (٢٧٥١)،وابن ماجه (٢٦٨٥) عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-وقال الألباني: «حسن صحيح».



«**المنيحةُ مردودةٌ، والعاريةُ مؤدَّاة، والدينُ مَقضِيٌّ، والزعيمُ غارمٌ**»(١). فهذانِ الحديثانِ على خفةِ ألفاظِهِما يتضمنانِ عامّةَ أحكامِ الأنفُسِ والأموالِ. ومنها قولُهُ ﷺ: «**سلوا اللهَ اليقينَ والعافيةَ**»(٢).

فتأملْ هذه الوصيةَ الجامعةَ تجدْها محيطةً بخيرِ الدنيا والآخرةِ، وذلكَ أنَّ مِلاكَ أمرِ الآخرةِ اليقينُ، ومِلاكَ أمر الدنيا العافيةُ، فكلُّ طاعةٍ لا يقينَ معَها هَدْرٌ، وكلّ نِعمةٍ لَمْ تصحَبْها العافيةُ كَدَرٌ، فصارَ هذا الكلامُ على وجازتِهِ وقلةِ حروفِهِ أحدُ شطريْه محيطٌ بجوامعِ أمرِ الدينِ وشطْرُهُ الآخرُ متضمنٌ عامةَ مصالحِ الدنيا».

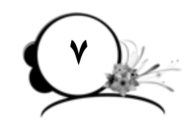
ثم أملى الإمامُ الحافظُ المفتي شيخُ الإسلامِ تقيُّ الدين أبو عمرو عثمانُ بنُ موسى الشهرزوريُّ الشهيُر بابنِ الصلاحِ المتوفى ٦٤٣هـ مجلسا سمَّاه: **(الأحاديث الكلية)** جمع فيه الأحاديث الجوامعَ التي يقالُ: إنَّ مدارَ الدين عليها، وما كانَ في معناها من الكلماتِ الجامعةِ الوجيزة، وقد اشتمل مجلسه هذا على ستة وعشرين حديثا.

ثمَّ جاءَ الفقيهُ الإمامُ الزاهدُ القدوةُ أبو زكريا يحيى بنُ شرفٍ النوويُّ المتوفى سنة ٦٧٦هـ فأخذَ هذه الأحاديثَ التي أملاها ابنُ الصلاحِ، وزادَ عليها تمامَ اثنين وأربعينَ حديثا، وسمَّى كتابَهُ بالأربعينَ.

ثُمَّ ضمَّ إليها الحافظُ ابنُ رجبٍ ثمانيَة أحاديثَ أُخَر مِنْ جوامِعِ الكَلِمِ الجامعِة لأنواعِ العلوم والحكم، فبلغتْ خمسينَ حديثًا. ثم استخارَ الله تعالى ــ إجابةً لجماعة منْ طلَبة العلم ــ في جمع كتاب يتضمنُ شرحَ ما يسَّر الله مِنْ معانِيها، وتقييدِ ما يفتحُ به سبحانَهُ من تبيين قواعدها ومبانيها.وهوَ المسمى «**جامعُ العلوم والحِكَم في شرح خمسينَ حديثًا من جوامع الحكم**» قالَ في مقدمتِه ما ملخَّصهُ:

إنَّ الله سبحَانَهُ وتعالى بعثَ محمدًا ﷺ بجوامع الكلمِ، وخصَّهُ ببدائعِ الحِكَم، كما في (الصحيحين) عَنْ أبي هريرةَ عَنْ النبيِّ ﷺ قالَ: «**بُعثتُ بجوامعِ الكلَم**»(٣). قال الزُّهريُّ: جوامعُ الكَلم ــ فيما بَلَغَنا ــ أنَّ الله يجمعُ لَهُ الأمورَ الكثيرة التي كانتْ تُكتبُ في الكتب قبلَهُ

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٦٥)، والترمذي (١٢٦٥،٢١٢٠)، وأحمد (٥/ ٢٦٧) عن أبي أمامة ﷺ، وصححه الألباني.
(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨٤٩)، وأحمد (١/ ٣) عن أبي بكر ﷺ، وصححه الألباني.
(٣) أخرجه البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣)، والنسائي (٣٠٨٧،٣٠٨٨)، وأحمد (٢/ ٢٦٤) عن أبي هريرة ﷺ.



في الأمرِ الواحدِ والأمرينِ، ونحوِ ذلكَ. هذا وقد جمعَ العلماءُ جموعًا مِنْ كلماتِهِ الجامعةِ، فصنَّفَ الحافظُ أبو بكر بنُ السُّنيِّ كتابًا سماهُ: (الإيجازُ وجوامعُ الكلمِ مِنْ السننِ المأثورةِ)، وجمعَ القاضي أبو عبدِاللهِ القُضاعيُّ مِنْ جوامع الكَلِم الوجيزةِ كتابًا سماهُ: (الشهابُ في الحِكَم والآدابِ). ثُمَّ قالَ: كانَ بعضٌ منْ شرح هِذهِ الأربعينَ قد تُعُقِّبَ على جامِعِها رحمهُ اللهُ، تركُهُ لحديث: « **أَلْحِقُوا الفرائضَ بأهلها، فما أبقتْ الفرائضُ، فلأولى رجلٍ ذكرٍ**»، قالَ: **لأنهُ جامعٌ لقواعدِ الفرائضِ التي هي نصفُ العلمِ، فكانَ ينبغي ذكرُهُ**»[1] في هذهِ الأحاديثِ الجامعةِ، كما ذكرَ حديثَ: «**البينةُ على المُدَّعي، واليمينُ على منْ أنكرَ**»[2] لجمعِهِ لأحكامِ القضاءِ، فرأيتُ أنا أنْ أضمَّ هذا الحديثَ إلى أحاديثِ الأربعينَ التي جمعَها الشيخُ رحمهُ اللهُ، وأن أضمَّ إلى ذلكَ كلِّه أحاديثَ أُخَرَ مِنْ جوامع الكِلَم الجامعةِ لأنواعِ العلومِ والحكم، حتى تَكْتَمِلَ عدةُ الأحاديثِ كلِّها خمسينَ حديثًا، والأحاديثُ هيَ: «**ألحقوا الفرائضَ بأهلها**»[3]، حديثُ: «**يحرمُ من الرضاع ما يحرمُ منَ النسب**»[4]، حديثُ: «**إن اللهَ إذا حرَّم شيئًا، حرَّمَ ثمنَهُ**»[5]، حديثُ: «**كلُّ مسكرٍ حرام**»[6]، حديثُ: «**ما ملأَ آدميٌّ وعاء شرًّا من بطنه**»[7]، حديثُ: «**أربعٌ من كُنَّ فيهِ كانَ منافقا**»[8]، حديثُ: «**لو أنكُمْ توكلونَ على الله حقَّ توكُّلِهِ، لرزقكُم كما يرزقُ الطيرَ**»[9]، حديثُ: «**لا يزالُ لسانُكَ رطبا مِنْ ذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ**»[10].

وسميتُهُ (جامعَ العلوم والحكمِ في شرحِ خمسينَ، حديثًا من جوامعِ الكلمِ).

(١) أخرجه البخاري (٦٤٣٢)، ومسلم (١٦١٥)، والترمذي (٢٠٩٨)، وأحمد (١/ ٢٩٢) عن ابن عباس –رضي الله عنهما–.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٥٢) عن ابن عباس –رضي الله عنهما–، وهو عند البخاري (٤٥٥٢)، ومسلم (١٧١١) عن ابن عباس –رضي الله عنهما– بلفظ: « ولكن اليمين على المدعى عليه ».

(٣) انظر الحديث قبل السابق.

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٤٥)، ومسلم (١٤٤٧) عن ابن عباس –رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه أبو داود (٣٤٨٨)، وأحمد (١/ ٢٤٧) عن ابن عباس –رضي الله عنهما، وصححه الألباني.

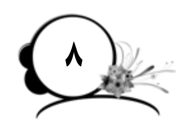
(٦) أخرجه البخاري (٤٣٤٣)، ومسلم (١٩٩٩) عن أبي موسي الأشعري ﷺ.

(٧) أخرجه الترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩)، وأحمد (٤/ ١٣٢) عن المقدام بن معدي كرب الكندي ﷺ.

(٨) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨) عن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما.

(٩) أخرجه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد (١/ ٣٠) عن عمر بن الخطاب ﷺ، قال الترمذي: «حسن صحيح»، وصححه الألباني.

(١٠) أخرجه الترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، وأحمد (٤/ ١٩٠) عن عبد الله بن بسر ﷺ، وقال الترمذي: «حسن غريب »، وصححه الألباني.



وإتماما للفائدةِ قامَ،رحمهُ اللهُ، بشرح هذه الأحاديث الخمسينَ، والذي أصبح بعدَ ذلكَ هوَ الأصلُ لكلِّ مَنْ أرادَ أنْ يشرحَ الأربعينَ النوويةَ كتابةً أو تدريسًا، وقالَ عنْ شرحِهِ:

« واعلمْ أنَّهُ ليسَ غرضي إلا شرحُ الألفاظِ النبوية التي تضمنتْها هذهِ الأحاديثُ الكليةُ، فلذلكَ لا أتقيدُ بألفاظِ الشيخ رحمَهُ اللهُ في تراجم رِواةِ هذهِ الأحاديثِ منَ الصحابةِ -رضي الله عنهم- ولا بألفاظِهِ في العَزْو إلى الكتبِ التي يعزو إليها، وإنما آتي بالمعنى الذي يدلُّ على ذلكَ، لأني قد أعلمتُكَ أنَّه ليسَ لي غرضٌ إلا في شرحِ معاني كلماتِ النبيِّ ﷺ الجوامعِ، وما تضمنتْهُ من الآدابِ والحِكمِ والمعارفِ والأحكام والشرائعِ.

وأشيرُ إشارةً لطيفةً قبلَ الكلامِ في شرح الحديثِ إلى إسنادِهِ، ليُعْلَمَ بذلكَ صحتُهُ وقوتُهُ وضعفُهُ، وأذكرُ بعضَ ما رُويَ في معناهُ منَ الأحاديثِ إن كانَ في ذلكَ البابِ شيءٌ غيرُ الحديثِ الذي ذكَرَهُ الشيخُ، وإنْ لَمْ يكنْ في البابِ غَيرُهُ، أو لَمْ يكنْ يصحُّ فيه غِيُرهُ، نبهتُ على ذلكَ كلِّهِ، وباللهِ المستعانُ، وعليهُ التكلانُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ».

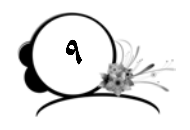
❀ ❀ ❀

قلت[1]: هذا، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِهَـذِهِ الأَرْبَعِينِ قَبُولًا كَبِيرًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ الْعُصُورِ إِلَى يَوْمِنَا هذا، بَلْ أَصْبَحَ هذا الْكِتَابُ ومَا عَلَيْهِ مِنْ شُرُوحٍ، فِي مُقَدِّمَةِ الدُّرُوسِ الَّتِي تُلْقَى فِي أورُوبَّا فِي مَدَارِسِ الأَحَدِ، بَلْ جَعَلَ الْعُلَمَاءُ تَدْرِيسَ هذا الْكِتَابِ وَشَرْحِهِ مِنْ أَهَمِّ طَرَائِقِ التَّرْبِيَّةِ وَالتَّزْكِيَةِ لِطَلَبَتِهِم، وإِنَّنِي هُنَا أَتَلَمَّسُ بَرَكَةَ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ مُسْتَفِيدًا مِن شُرُوحِ العلْمُاَءِ الِكْرامِ؛ لأضعَ لَطَائفَ بَسِيطَةٍ لِيُطْبَعُ الْكِتَابُ بَعْدَهَا وَيَكُونَ وَقْفًا لِكُلِّ مِنْ أَرَادَ طَبْعَهُ وَتَوْزِيعَهُ.

عَمَلِي في الكتاب:

١ ـ قراءةُ بعضِ الكتبِ المطبوعةِ الشارحةِ للأربعينَ النوويةِ والاستفادةُ منْها نصًّا أو تلخيصًا أو إضافة أو تجميعًا بتصرفٍ لا يخلُّ بالمعنى، والأصلُ فيما رجعنا إليهِ (**جامعُ العلومِ والحِكم**) للإمام ابنِ رجبٍ، إصدارُ مؤسسة الرسالةِ، وكذلكَ (**شرحُ الأربعينَ النوويةِ للعلاَّمةِ محمدِ بنِ صالح العثيمين**) إصدارُ دارِ الثريا للنشر، كما أننا

(١) صاحب اللطائف النورانية.



استفدنا من شرحِ الأربعينَ النوويةِ للإمام ابنِ دقيقِ العيد، والنظرُ في كتاب (**النفحةِ العطريةِ في أسانيد الأربعينَ النوويةِ للشيخ عبدالسلام حبوس**) وغيرِها منَ الكتبِ النافعة التي اعتنتْ بالأربعينَ النوويةِ.

٢ ـ حرصتُ على تقديم البخاريِّ ثُمَّ مسلم ثمَّ كتب السُّننِ، في إثبات الروايةِ، معَ تخريجِ الأحاديث بصورةٍ مختصرةٍ.

٣ – ذكَرتُ رجالَ السندِ لكلِّ حديثٍ وأَقتصرُ على سندٍ واحدٍ هوَ الذي أثبتنا روايةَ (**لفظه**). انظرْ الحديثَ الثاني، حيثُ ذكرَ الإمامُ مسلمٌ أكثرَ من طريقٍ أثبتنا طريقَ اللفظِ الْمُثبتِ.

٤ ـ اجتهدتُ أنْ أضعَ لفظَ الروايةِ المشهورة في المتنِ، وقد أضطر – أحيانا – إلى ذكر بعض الألفاظِ المشهورةِ في أثناء اللطائف.

٥ ـ نُثبتُ نَصَّ الحديث مِنْ غيرِ ذكر سببِهِ، أو السياق الذي جاءَ به، كما في الحديثِ الثاني من رواية مسلم رقم ٨، قالَ: حدثنا عبيدُالله بنُ معاذٍ العنبريُّ، وهذا حديثُهُ:

حدثَنا أبي حدثَنا كهمسُ، عن ابن بريدةَ، عن يحيى بن يعمرَ قالَ:

كان أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الجُهنِيُّ، فَانطَلَقْتُ أَنَا وحُمَيْدُ بَنُ عَبْدِالرَّحْمَن الحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْن فَقُلْنَا: لو لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤلاَءِ فِي القَدَرِ فوُفِّقَ لنَا عَبْدُاللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الخطَّابِ داخِلاً الْمسجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي، أَحُدُنَا عَنْ يَمِينِهِ والآخَرُ عَنْ شِمَالَه، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الكَلاَمَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِالرَّحْمَن، إنّه قَدْ ظَهَر قِبَلَنَا نَاسٌ يقرءُون القرآنَ وَيَتَقفَّرُون العِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأنِهِمْ، وَأَنَّهمُ يَزْعُمُونَ أنْ لاَ قَدَرَ وأَنَّ الأمْرَ أُنُفٌ. قال ابُن عُمَرَ: فإِذَا لَقيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، والَّذِي يحَلِفُ بِهِ عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ، لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ الله مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بالقَدر. ثُمَّ قَالَ: حَدَّثني أَبي عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوم طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَديدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَديدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَفرِ ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إلى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَد رُكْبَتَيْه، إلى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبرنِي عَنْ الإسْلاَمِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ﷺ، وتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وتُؤْتِيَ الزَّكَاةُ، وَتَصُومَ رَمضَانَ،وتَحَجُ الَبيتَ إَن اسْتطَعَتْ إَلَيهِ سَبِيَلا**». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمانِ. قَالَ: «**أَنْ تُؤِّمِنَ بالله، وَمَلاَئِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، والْيَوْمِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخبرني عَنِ الإحْسَانِ. قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدُ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاه، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». قَالَ: فَأَخبرني عَنِ السَّاعةِ. قالَ: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنَّها بِأَعْلَم مِنَ السَّائِلِ**». قَالَ: فَأَخْبرْني عَنْ أَمارَتِها.

قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الَأمَةُ رَبَّتَها، وَأنْ ترَى الحُفاةَ العُرَاةَ الْعَالَةَ رُعَاءَ الشَّاء يَتَطَاوَلُونَ في الْبُنْيَانِ**». قَالَ:ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثَ مَلِيًّا، ثُمَّ قَال لِي: «**يَا عُمرُ، أَتَدْري مَنِ السَّائِلُ؟**» قُلْتُ: اللهُ ورَسُوله أعَلمُ. قَالَ: «**فَإِنَّه جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمَكم دِينَكُمْ**».

٦- جعلْنا في آخرِ الترقيمِ للطائفِ النورانيةِ - لبعض الأحاديث- بعضَ الوقفاتِ التربويةِ المستخرجةِ من تراجمِ رواة كلِّ حديثِ.

٧- أثبتنا سندَنا للأربعين النوويةِ إلى ثلاثة مِن العلماءِ الأفاضل: الأولُ بالإسنادِ إلى الشيخِ الفاضلِ عبدالسلام بن محمدِ بنِ إبراهيمَ بن حبوس، والثاني بالإسنادِ إلى العلاَّمةِ سماحةِ الشيخِ محمدِ بنِ الحسن الددو، والثالثُ بالإسنادِ إلى الشيخِ الفاضلِ بدرِ الحسن القاسميِّ من علماءِ ديوبند ، من خلال السند الموصول إلى الكتب التي أخذ منها الإمام النووي . وسنذكر أسانيدَهُم في آخر الكتاب، وقد ذكرناها مُسندةً مختومةً بخاتمِ الأنبياءِ والمرسلينَ سيدنا محمد ﷺ سائلينَ اللهَ سبحانَهُ ألاَّ يحرمَنا شفاعتَهُ والقربَ منهُ يومَ القيامةِ، وللإسناد فضلٌ كبيرٌ كما قالَ العلماءُ: «**لولا الإسنادُ لقالَ مَنْ شاءَ ما شاءَ**». وفي رواية ابن عباس -رضي الله عنهما-، أن النبيَّ ﷺ قالَ: «**تسمعونَ ويُسمعُ منكُمْ، ويُسْمَعُ ممنْ سَمعَ منكمْ**»[(١)].

وما روي عن عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «**بَلغُوا عنِّي ولو آية، وحدِّثوُا عن بني إسرائيلَ ولا حَرَجَ ومن كذبَ عليَّ متعمِّدا فليتبوَّأ مقعدَهُ من النار**»[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٥٩)، وأحمد (١/ ٣٢١) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦١)، والترمذي (٢٦٦٩) وأحمد (٢/ ١٥٩).



وذكرَ الخطيبُ البغداديُّ في كتابه (**الرحلَةُ في طلبِ الحديث**) عن الإمـامِ أحمـد قولَـهُ رحمَهُ اللهُ: «**طلبُ عُلُوِّ الإسناد منَ الدين**». وسيجدُ القارئُ أسانيدَ الإمام النوويِّ، رحمهُ اللهُ إلى أئمة الحديث البخاريِّ ومسلم وأصحابِ السندِ والمسانيدِ في كتـابِ (**تعظـيمِ الخاطرِ**) للشيخِ عبدالسلام حبوس، رحمهُ اللهُ، فيَرْجعُ إليها من أراد.

ملاحظةٌ: وعندَ انتهائِنا من مراجعةِ المطبوع وقبلَ خروجِهِ من المطبعةِ أهدى لنـا أخونـا الشيخُ محمدُ بن ناصرٍ العجميُّ كتابَهُ الجديدَ: تحقيقُ شرحِ الأربعينَ النوويةِ للإمامِ عليٍّ بـن داودَ بن العطار الشافعي (٦٥٤ هـ -٧٢٤)، وتأتي مكانة هذا الشرحِ لكونِ صاحبِه مِن تلاميذِ الإمام النوويِّ، رحمهُ اللهُ.

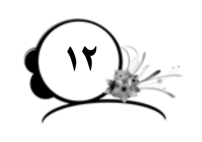
قالَ عَنْ شيخِهِ النوويِّ: كان، رحمهُ اللهُ، رفيقًا بي، شفيقًا عليَّ، قرأتُ عليهِ كثيرًا من تصانيفه ضبطا وإتقانا.

ولمكانته وعلمِهِ ونسبته إلى الإمام النووي قالَ عنهُ ابنُ كثير: اشتغلَ عـلى الإمـام النـووي حتى كانَ يُقالَ لهُ: مختصَرُ النوويِّ.

ولهذه المكَانة رأينا أن نُودِعَ نوادر الإمام عليِّ بن داود العطار في آخرِ شرحِ كلِّ حديثٍ إنْ وجدَنا فيها فائدةً إضافيةً لَمْ تكنْ موجودةً في جامعِ العلومِ والحكم، علما أننا وجدنا الـشيء الكثير مَما ذكره ابُن رُجب موجودا أصلا عندَ ابنِ العطارِ، وهكذا العلماءُ يأخذُ بعضُهُمْ عـن بعض. وعَنْونَّا الفقرة الخاصة بذلكَ بـ (**فائدة ابِن العطارِ**) معَ الرقم المتسلسلِ لأرقامِ البيانِ لكلِّ حديثٍ.

وكذلك ذكرنا في آخر اللطائف شيئا مما وجدناه مـن لطـائف في حيـاة الـراوي أو رجـال السند، من أقوال أو مواقف أو غير ذلك.









روى الإمَامُ النَّوَوِيُّ بِسَنَدِهِ إلى الإمَـامِ مُـسْلِمٍ -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- بِـسَنَدِهِ إلى أمِيـرِ المـؤْمِنِين أَبِـي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُـولُ الله ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لامْرِئٍ مَا نَوى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَـى الله وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَـتْ هِجْرَتُـهُ لِـدُنْيَا يُـصِيبُهَا أَوِ امْـرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»(١).

❁ ❁ ❁

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولًا: هَذَا الحَدِيثُ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ، وَكَانَ الْعُلَمَاءُ مِن سَلَفِ الأُمَّةِ يَفْتَتِحُونَ كُتُبَهُمْ بِهِ؛ تَنبِيهًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ عَلَى أَن يَعْتَنِيَ بِالإخلاص وَالتَّجَرُّدِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ. قَالَ الإمَامُ الشَّافِعِيُّ: هَذَا الحَدِيثُ ثُلُثُ الْعِلْمِ، وَيَدْخُلُ فِي سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْفِقْهِ، وَهُوَ حَدِيثٌ لَمْ يَرْوِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا عُمَرُ بْـنُ الخطَّابِ -رضي الله عنه- وَلَهُ شَوَاهِدُ مِنَ الْقُرْآنِ، وَقَدْ تَلَقَّتْهُ الأمَّةُ بِالْقَبُولِ، وَهُوَ مِـنْ أَعْلَـى الأَسَـانِيدِ، فقد اتفق عَلَى إخْرَاجِهِ الإِمَامَان: البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وهذه مَكْرُمَةٌ مِنَ الله سُبْحَانَهُ لِعُمَرَ رضي الله عنه، أنْ يَنْقُلَ بِمُفْرَدِهِ الحَدِيثَ الَّذِي يُعْتَبَرُ أَسَاسَ قَبُولِ الْعَمَلِ الْمُشْتَرطِ لِلإِخْلاصِ والنِّيَّةِ وَمُوَافَقَةِ الشَّرْعِ، كَمَا فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ- رضي الله عنها- «**مَن عمل عملاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(٢)، هَذَا وَقَدْ سَمِعَ حَدِيثَ «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» جَمْعٌ كَبِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقِصَّةُ مُهَاجِرِ أُمِّ قَيْسٍ يَعْرِفُهَا الجَمِيعُ، وَمَعَ هَذَا فَالحَدِيثُ لَمْ يَرْوِهِ سِوَى عُمَرُ رضي الله عنه، وهَذَا فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

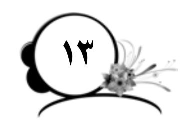
ثانيا: الأَعْمَالُ المتَعَلِّقَةُ بِالنِّـيَّةِ تَـشْمَلُ: أَعْمَـالَ الْقُلُـوبِ؛ كَالتَّوَكُّـلِ، وَكَـذَلِكَ اللِّسَانَ كَالْقَوْلِ، وكَذَلِكَ الجَوَارِحَ، كَأَعْمَالِ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ والسَّمْعِ والْبَصَرِ.

ثالثًا: النِّيَّةُ مَحَلُّهَا الْقَلْبُ ولا ينطق بِهَا فِي الْعِبَادَات، أَمَّا ما يَرِدُ فِي قَوْلِ الْمُلَبِّي: «**لَبَّيْكَ**

---

(١) اللفظ في صحيح مسلم رقم (١٩٠٧) وفي البخاري رقم (١) «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّات، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**».

(٢) الحديث الخامس في الأربعين النووية.



اللَّهُمَّ بِحَجٍّ»، أو «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ بِعُمْرَةٍ**»، فهَذَا مِنْ بَابِ إِظْهَارِ شَعِيرَةِ النُّسُكِ، فَهِيَ أَشْبَهُ بِتكْبِيرَةِ الإِحْرَامِ فِي الصَّلاةِ.

رابعًا: فِي هَذَا الحَدِيثِ لَفْتَةٌ جَمِيلَةٌ، حَيْثُ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ عطفَ بالـواوِ فِـي قَوْلِـهِ: «**إِلَـى اللهِ وَرَسُولِهِ**»، وَهَــذَا جَائِزٌ فِــي الأُمُورِ المتَعَلِّقَةِ بِالشَّرِيعَةِ؛ لأَنَّ مَا صَدَرَ عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ مِـنَ الشَّرْعِ، كَالَّذِي صَدَرَ مِـنَ الله تَعَـالَى. قَـالَ تَعَـالَى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1]. وهَـذَا بِخِلافِ الأُمُورِ الْكَوْنِيَّةِ الحياتِيَّةِ، فَلا يَجُوزُ فِيهَا الاقْتِرَانُ بِالْوَاوِ؛ لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ إِرَادَةِ الله تَعَالَى، فَخَطأٌ قَوْلُنَا لِمَنْ سَأَلَ عَنْ نُزولِ المْطَرِ؟ نقول: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

خامسًا: إذا عَملَ العبْدُ عُملاً لله وَكَانَ خَالِصًا، ثُمَّ أَلْقَى اللهُ لَهُ الثَّنَـاءَ الحَـسَنَ فِـي قُلُـوبِ المؤْمِنينَ بِذَلِكَ، فَهذَا فَضْلٌ مِنَ الله تَعَالَى وَرَحْمَةٌ وَعاجِلُ بُشْـرَى المؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا.

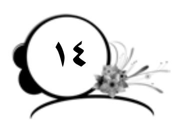
سادسًا: إنَّ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لامْرِئٍ مَـا نَـوَى**» لَـيْسَ تكـرارا مَحْضًا، فالْجُمْلَةُ الأُوْلَى دَلَّتْ عَلى أَنَّ صَلاحَ الْعَمَلِ وَفَسَادَهُ بِحَسَبِ النِّيَّةِ المقْتَضِيَةِ لإِيجَادِهِ، وَالْـجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ ثَوَابَ الْعَامِلِ عَلَى عَملِهِ بِحَـسَبِ نِيَّتِـهِ الـصَّالِـحَةِ، وَأَنَّ عِقَابَـهُ عَلَيْهِ بِحَسَبِ نِيَّتِهِ الْفَاسِدةِ ؛ وَلِهَذَا قَدْ تَكُونُ نِيَّتُهُ مُبَاحَةً، فَيَكُونُ الْعَمَلُ مُبَاحًا فلا يَحْـصُلُ لَـهُ ثَوَابٌ وَلَا عِقَابٌ، فَالْعَمَلُ فِي نَفْسِهِ، صَلاحُهُ وَفَسَادُهُ وَإِبَاحَتُهُ، بِحَسَبِ النِّيَّـةِ الحَامِلَـةِ عَلَيْـهِ، المقْتَضِيَةِ لِوُجُودِهِ، وَلَكِنَّ ثَوَابَ الْعَامِلِ وَعِقَابَهُ وَسَلامَتَهُ بِحَسَبِ نِيَّتِهِ الَّتِي بِهَـا صَـارَ الْعَمَـلُ صَالِحًا، أَوْ فَاسِدًا أَوْ مُبَاحًا.

سابعًا: المُرَادُ بالنِّيَّة: فِي اللُّغَةِ: نَوْعٌ مِـنَ الْقَـصْدِ وَالإِرَادَةِ، وَفِـي اصْـطِلاحِ الْعُلَمَـاءِ تَقَـعُ بِمَعْنَيَيْنِ:

الأول: بِمَعْنَى تَمييزِ العِبَادَاتِ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ، كَتَمْيِيزِ صَلاةِ الظُّهْرِ مِـنْ صَـلاةِ الْعَـصْرِ مثلاً ، وَتَمْيِيزِ صِيَام رَمَضَانَ مِنْ صِيَام غَيْرِهِ، أو تَمْييــزِ العِبَـادَاتِ مِـنَ العَـادَاتِ، كَتَمْيِيزِ الْغُسْلِ مِنَ الجنَابَةِ مِنْ غُسْلِ التَّبَرُّدِ وَالتَّنَظُّفِ، وَنَحْوِ ذَلِك، وَهَذِهِ النِّيَّةُ هِيَ الَّتِي تُوْجَدُ كَثِيرًا فِي كَلامِ الْفُقَهَاءِ فِي كُتُبِهِمْ.

---

(١) النساء: ٨٠.



الثاني: بِمَعْنَى تَمْيِيزِ المقْصُودِ بِالْعَمَلِ، وَهَلْ هُوَ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، أَمْ لـه ولغَيْـره؟، وَهَذِهِ النِّيَّةُ الَّتِي يَتَكَلَّمُ فِيهَا الْعَارِفُونَ فِـي كُتُـبِهِمْ فِـي كَلامِهِـم عَلَـى الإِخْـلاصِ وَتَوَابِعِهِ، وَهِيَ الَّتِي تُوجَدُ فِي كَلامِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَلامِ السَّلَفِ.

ثامنًا: وَمِمَّا تَدْخُلُ النِّيَّةُ فِيه مَسَائِلُ الأَيْمَانِ وَالحَلِفِ:

١- لَغْوُ الْيَمِينِ لَا كَفَّارَةَ فِيهِ، وَهُوَ مَا جَرَى عَلَى اللِّسَانِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ بِالْقَلْبِ إِلَيْهِ، كَقَوْلِه: لَا وَاللهِ، وَبَلَـى وَالله فِـي أَثْنَـاءِ الْكَـلامِ، قَـالَ تَعَـالَى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ﴾[1].

٢- وَكَذَلِكَ يُرْجَعُ فِي الأَيْمَانِ إِلَى نِيَّةِ الحَالِفِ وَمَا قَصَدَ بِيَمِينِهِ فَإِنْ حَلَفَ بِطَلاقٍ أَوْ عِتَاقٍ ثُمَّ ادَّعَى أَنَّهُ نَوَى مَا يُخَالِفُ ظَاهِرَ لَفظِهِ، فَإِنَّهُ يَدِينُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله عَزَّ وَجَلَّ. ثم هلْ يُقْبَلُ مِنْهُ فِي ظَاهِرِ الحُكْمِ؟ - يعني: هل يقع الطلاق أو لا يقع؟- فِيـهِ قَـوْلانِ مَشْهُورَانِ لِلْعُلَمَاءِ، هذا وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ رُفِعَ إِلِيْهِ رَجُلٌ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ- تتـدلل عليه-: شَبِّهْنِي، قَالَ: كَأَنَّكِ ظَبْيَةٌ، كَأَنَّكِ حَمَامَةٌ، فَقَالَتْ: لَا أَرْضَى حَتَّى تَقُـولَ: أَنْـتِ خلِيَةٌ طَالِقٌ، فَقَالَ ذَلِكَ، يريد بِقَوْلِهِ: **خلِيَةٌ طَالِقٌ** النَّاقة تَكُونُ مَعقُولَةً ثُـمَّ تُطْلَـقُ مِـنْ عِقَالِهَا وَيُخَلَّى عَنْهَا فهي خلِيَةٌ مِنَ العقالِ، وهـي طَـالِقٌ؛ لأَنَّهَـا طُلِّقَـتْ مِنْـهُ، فَـأَرَادَ الرَّجُلُ ذَلِكَ، فَأَسْقَطَ عنْهُ عُمَرُ الطَّلاقَ لِنِيَّتِهِ. وقال: خُذْ بِيَدِهَا، فَهِيَ امْرَأَتُكَ.

وَهَذَا أَصْلٌ لِكُلِّ مَنْ تَكَلَّمَ بِشَيْءٍ يُشْبِهُ لَفْظَ الطَّلَاقِ، وَهُوَ يَـنْوِي غَيْرَهُ، فإِنَّ الْقَوْلَ فِيـهِ قَوْلُهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله، وَفِي الْحُكْمِ عَلَى تَأْوِيلِ مَذْهَبِ عُمَرَ- كما ذكرنا.

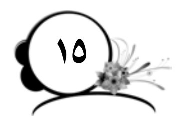
وهنا ينبه على أنه إن كانَ الحالِفُ ظَالِمًا، وَنَوَى خِلافَ مَا حَلَّفَهُ عَلَيْهِ غَرِيـمُهُ، لَمْ تَنْفَعْهُ نِيَّتُهُ، ففِي «**صَحِيحِ مُسْلِمٍ**» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَمِينُكَ عَلَى مَـا يُصَدِّقُكَ عَلَيهِ صَاحِبُكَ**»[2]. وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: «**الْيَمِينُ عَلَى نِيَّةِ المسْتَحْلِفِ**»[3] وَهَـذَا مَحْمُولٌ عَلَى الظَّالِمِ.

---

(١) البقرة:٢٢٥.

(٢) أخرجه مسلم (١٦٥٣)، وأبو داود (٣٢٥٥)، وابن ماجه (٢١٢١)، وأحمد (٢/ ٢٢٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٦٥٣/ ٢١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.



تاسعًا: عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ**»(١).

مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ فِي النِّيَّةِ وَالإِخْلاصِ:

- **قولُ سُفْيَانُ الثَّورِيُّ**: مَا عَالجْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نِيَّتِي لأَنَّهَا تَنْقَلِبُ عَلَيَّ.

- **وَقِيلَ لِنَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ**: أَلَا تَشْهَدُ الجَنَازَةَ؟ قَالَ: كَمَا أَنْتَ حَتَّى أَنْوِي، فَفَكَّرَ هُنَيْهَةً، ثُمَّ قَالَ: امْضِ.

- **وَقَالَ ابْنُ المبَارَكِ**: رُبَّ عَمَلٍ صَغِيرٍ تُعَظِّمُهُ النِّيَّةُ، وَرُبَّ عَمَلٍ كَبِيرٍ تُصَغِّرُهُ النِّيَّةُ.

- **وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ**: لَيْسَ عَلَى النَّفْسِ شَيْءٌ أَشَقَّ مِنَ الإِخْلاصِ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ لَهَا فِيهِ نَصِيبٌ.



(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٥)، وأحمد ٥/ ١٨٣، وابن حبان (٦٨٠)، وصححه الألباني.





الحديث الثاني

روى الإمَامُ النَّوَويُّ بِسَنَدِهِ إلى الإمَام مُسْلِمٍ – رَحِمَهُ الله تَعَالَى – بِسَنَدِهِ إلى عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الخطَّابِ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ؛ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ استطعت إليه سبيلا** »، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «**مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ** »، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشاء يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ**»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ**»؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»[1].

❁ ❁ ❁

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولًا: هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ، اشْتَمَلَ عَلَى جَمِيعِ وَظَائِفِ الأَعْمَالِ الظَّاهِرَة وَالْبَاطِنَةِ، وَعُلُومُ الشَّرِيعَةِ كُلُّهَا رَاجِعَةٌ إِلَيْهِ وَمُتَشَعِّبَةٌ مِنْهُ، فَفِيهِ بَيَانُ الإِسْلامِ وَالإِيمَانِ وَالإِحْسَانِ، وَفِيهِ جَوَابٌ شَافٍ عَمَّنْ سَأَلَ عَنِ السَّاعَةِ. وَكَمَا سُمِّيَتِ الْفَاتِحَةُ بِـ «**أُمِّ الْقُرْآنِ**»؛ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ جَمْعٍ لِمَعَانِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ هَذَا الحَدِيثَ كَالأُمِّ لِلسُّنَّةِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٧) عن أبي هريرة بألفاظ مختلفة، ومسلم (٨) عن عمر بن الخطاب، واللفظ لمسلم.



جَاءَ هَذَا الحَدِيثُ فِي سِيَاقِ حِوَارٍ دَارَ بَيْنَ أَمِينِ الْوَحْيِ جِبْرِيلَ وَالنَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ جَاءَ جبرِيْل في صورة آدمي كما وصف عُمَرُ -رضي الله عنه-: لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، فَفَسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الحَدِيثِ الإِسْلامَ بِأَعْمَالِ الجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ، وَهِيَ مُنْقَسِمَةٌ إِلَى عَمَلٍ بَدَنِيٍّ: كَالصَّلاةِ وَالصِّيَامِ، وَعَمَلٍ مَالِيٍّ: كالزَّكَاةِ، وإِلَى مَا هُوَ مُرَكَّبٌ مِنْهُمَا: - مَالِيٍّ وَبَدَنِيٍّ- وَهُوَ الحِجُّ، وَقَوْلُهُ فِي بَعْضِ الرِّوَايات: «فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَنَا مُسْلِمٌ؟»، قَالَ: «نَعَمْ»(١)، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ أَكْمَلَ الإِتْيَانَ بِمَبَانِي الإِسْلامِ الخَمْسَةِ، صَارَ مُسْلمًا حَقًّا، مَعَ أَنَّ مَنْ أَقَرَّ بِالشَّهَادَتَيْنِ صَارَ مُسْلمًا حُكْمًا، فَإِذَا دَخَلَ فِي الإِسْلامِ بِذَلِكَ أُلْزِمَ بِالْقِيَامِ بِبَقِيَّةِ خِصَالِ الإِسْلامِ.

ثانيا: رَوَى ابْنُ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ هَذَا الحَدِيثَ مُحْتَجًّا بِهِ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ الْقَدَرَ، وَزَعَمَ أَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ، يَعْنِي أنه مُسْتَأْنَفٌ لم يَسْبِقْ به سابقُ قَدَرِ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ.

ثالثا: إِذَا نُفِي الإِيمَانُ عَنْ أَحَدٍ وأُثْبِتَ له الإِسلامُ كَالأَعْرَاب الَّذِينَ أَخْبَرَ الله عَنْهُمْ؛ فَإِنَّهُ يُنْتَفَى عَنْهُمْ رُسُوخُ الإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ، وَتَثْبُتُ لَهُمُ المشَارَكَةُ فِي أَعْمَالِ الإِسْلامِ الظَّاهِرَةِ مَعَ نَوْعِ إِيمَانٍ يُصَحِّحُ لَهُمُ الْعَمَلَ؛ إِذْ لَوْلَا هَذَا الْقَدْرُ مِنَ الإِيمَانِ لَمْ يَكُونُوا مُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا نُفِي عَنْهُمُ الإِيمَانُ؛ لِنَقْصِ بَعْضِ وَاجِبَاتِهِ.

رابعاً: «لَا إِلَهَ إِلَّا الله» جُمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ مَنْفِيَّةٌ بِـ «لا» النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ، وَالتَّقْدِيرُ لا إله حقٌّ إِلَّا الله»، فهناك آلِهَةٌ عِنْدَ الْبَشَرِ حَيْثُ عَبَدَ النَّاسُ آلِهَةً أُخْرَى لِكنَّهَا بَاطِلَةٌ، فَلَيْسَ لها من حَقِّ الأُلُوهِيَّةِ شَيْءٌ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾(٢). فَهَذِهِ الآلِهَةُ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله سَمَّاهَا الله وسَمَّاها عَابِدُوهَا آلِهَةً وَلَيْسَتْ بِآلِهَةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾(٣).

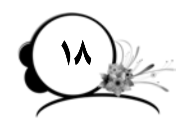
خامساً: الإِيمَانُ بِالله تَعَالَى يَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ:

ـ الإِيمَانُ بِوُجُودِهِ سُبْحَانَهُ.

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣١٩)، وابن خزيمة في صحيحة (١)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٢١)، والطبراني في الكبير(١٢/ ٤٣٠) (١٣٥٨١) عن ابن عمر – رضي الله عنهما،وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٤١): «رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٠١،١٧٥). .

(٢) الحج:٦٢.

(٣) هود:١٠١.



ـ الإيمانُ بِانْفِرَادِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِفهوَ سبحْانَه الْخالقُ ، المُدَبِّرُ، الملِكُ....

ـ الإِيمَانُ بِانْفِرَادِهِ بالأُلُوهِيَّةِ. فهو المعبود والحاكم والمشرع.

ـ الإيمانُ بِأَسْمَاءِ الله عَلَى الْوَجْهِ اللائِقِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ وَلَا تَكْيِيفٍ وَلا تَمْثِيلٍ، كَمَا فِي قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾(١): أَيْ علا وَارْتَفَعَ عَلَى الْعَرْشِ عُلُوًّا خاصًّا يليق بجَلالِهِ بِكَيْفِيَّةٍ لَا نَعْرِفُهَا».

سادسًا: إِنَّ بَابَ الصِّفَاتِ بَابٌ عَظِيمٌ، وخَطَؤُهُ جَسِيمٌ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْفَكَّ الإِنْسَانُ عَنِ الوَرْطَاتِ وَالهَلَكَاتِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا الْمُشَبِّهَةُ وَالْمُجَسِّمَةُ والْمُعَطِّلَةُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ: «أَثْبِتْ مَا أَثْبَتَهُ الله تَعَالَى لِنَفْسِهِ، وَانْفِ مَا نَفَاهُ اللهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِه، وَبِهذَا تَسْتَرِيحُ».

سابعًا: الإِيمَانُ بِالملائِكَةِ يَتَضَمَّنُ:

ـ الإِيمَانَ بِأَسْمَاءِ مَنْ عَلِمْنَا أَسْمَاءَهُمْ، فَهُنَاكَ مَلَكٌ اسْمُهُ «جِبْرِيلُ»، وَآخَرُ «مِيكَائِيلُ»، وَآخرُ «إِسْرَافِيلُ».

ـ لِلْمَلائِكَةِ مَهَامُّ كَثِيرَةٌفهناك مَنْ يَسِيح في الأرض يلتمس حلق الذِّكْرِ، وَهُنَاكَ الموَكَّلُونَ بِحِفْظِ بَنِي آدَمَ، أَوْ قَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ...

ثامنًا: المرَادُ بـ «**الْكُتُبِ الْوَاجِبِ الإِيمَانُ بِهَا**»: هِيَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُسُلِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾(٢)، وَكُلُّ هَذِهِ الْكُتُبِ مَنْسُوخَةٌ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾(٣).

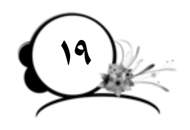
تاسعًا: الإِيمَانُ بِالْكُتُبِ يَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ:

ـ نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ أَنْزَلَ عَلَى رُسُلِهِ كُتُبَهُ، وَأَنَّ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ الْيَوْمَ مِنْهَا كُلُّهَا مُحَرَّفَةٌ إِلَّا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ.

(١) طه:٥.

(٢) البقرة:٢١٣.

(٣) المائدة:٤٨.



ـ نُؤْمِنُ بِصِحَّةِ مَا فِي الْقُرْآنِ الْكرِيمِ مِنْ أَخْبَارٍ ومَا لَمَ يُبدَّلْ أَو يُحَرَّفْ فِي الْكُتُبِ السَّابقَةِ السَّمَاوِيَّةِ الأُخْرَى.

ـ نؤْمِنُ بِهَا جَمِيعًا وَبِمَا عَلَّمَنَا اللهُ مِنْ أَسْمَائِهَا: الْقُرْآنِ – التَّوْرَاةِ – الإِنْجِيلِ ــ الزَّبُور ــ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ ـ صُحُفِ مُوسَى.

ـ نُؤْمِنُ بِمَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ أَحْكَامٍ، وَمَا وَرَدَ فِي الْكُتُبِ الأخْرَى حَسْبَ الترجيح العلمي في قَاعِدَةِ: «شَرْعُ مَنْ قَبلَنَا» هل هو شرع لنا؟.

عاشرًا: الْيَوْمُ الآخِرُ هُوَ يَوْمُ الْقِيامَةِ؛ لأَنَّهُ آخِرُ مَرَاحِلِ بَنِي آدمَ وَغيرِهِمْ.

وَيَتَضَمَّنُ الإِيمَانُ بِهِ أُمُورًا:

-الإيمَان بِوُقوعِهِ: ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾[1]، وَذَلِكَ بَعْدَ النَّفْخِ فِي الصُّورِ.

ـ الإِيمَانَ بِكُلِّ مَا ذُكِرَ عَنْهُ فِي كِتَابِ الله وَصَحِيحِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

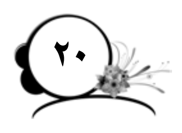
ـ الإِيمَانَ بِمَا ذُكِرَ مِنْ أَحدَاثٍ فِي الْيَوْمِ الآخِرِ: «الحَوْضِ ـ الشَّفَاعَةِ ـ الصِّرَاطِ ـ الجنَّةِ وَالنَّارِ»، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ بِأَوَّلِ مَرَاحِلِ الآخِرَةَ وَهُوَ «الْقَبْرُ».

حادي عشر: الإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وهذا يَتَضَمَّنُ:

ـ أنْ نُؤْمِنَ بِعِلْمِ الله المحيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ جملةً وتفصيلًا: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2]، هَذَا عَلَى وَجْهِ الإجْمَالِ. أَمَّا مَا وَرَدَ عَلى وَجهِ التَّفْصِيلِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[3]. وَهَذَا الْعِلْمُ يستوجبُ الخوفَ مِنَ الله وَالخشْيَةَ وَالرَّغْبَةَ فِيمَا عِنْدَهُ.

ـ الإِيْمَانَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى كَتَبَ فِي اللَّوْحِ المحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخلْقِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ قَال

(١) الحج:٧.
(٢) البقرة:٢٨٢.
(٣) الأنعام: ٥٩.



تعالَى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[(١)]؛ أَيْ: فِي كِتَابٍ.

ـ أَنَّ اللَّوْحَ المحْفُوظَ لَا نعرفُ ماهِيَّتُهُ، وَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا أن نعرفَ أنَّ هُنَاكَ لوْحًا كُتِبَ فِيهِ مَقَادِير كُلِّ شيْءٍ.

ـ أَنْ تُؤْمنَ بِأَنَّ كُلَّ مَا حَدَثَ وَيَحْدُثُ فِي الْكونِ، فَهُوَ بِمَشِيئَةِ الله تَعَالَى، قال ﷺ: «**مَا شَاءَ الله كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ**»[(٢)].

ـ الإيمانَ بأنَ اللَّه سبحُانَه وتعالَى خلقَ كُلَّ شَيْءٍ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[(٣)]، فَكُلُّ شَيْءٍ مَخْلُوقٌ لله تَعَالَى، السَّمَواتُ والأرْضُ، والشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَالإِنْسَانُ وَأَفْعَالُهُ، وَإِنْ كَانَتْ بِاخْتيار الْعِبَادِ وَإِرَادَتِهِم، فَأَفْعَالُ الْعِبَادِ نَاشِئَةٌ عَنْ إِرَادَةٍ فَاعِلَةٍ وَقُدْرَةٍ تامَّةٍ وخَالق الإراده والْقُدْرَةِ هُوَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثاني عشر: الْكِتَابَةُ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ أَنْواعٌ:

ـ الْكِتَابَةُ الْعَامَّةُ فِي اللَّوْحِ المحفُوظِ.

ـ الْكِتَابَةُ الْعُمْرِيَّةُ: فَالجَنِينُ بَعْدَ أَرْبعَةِ أَشْهرٍ يُكْتَبُ: أَجَلُهُ، وَرِزْقُهُ، وَعَمَلُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ. وَهَذِهِ تُكْتَبُ مَرَّةً وَاحِدَةً.

ـ الْكِتَابَةُ الْحوْلِيَّةُ: وَهِي الَّتِي تَكُونُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِيهَا: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[(٤)]، يَعْنِي: يُبيَّنُ وَيُفصَّلُ أَمْرُ الله الَّذِي كُلُّهُ حَكِيمٌ.

ثالث عشر: اللَّوْحُ المحْفُوظُ لَيْسَ فِيهِ مَحْوٌ وَلَا كِتَابَةٌ جديدة، فَمَا كُتِبَ فِيهِ كَائِنٌ لَا يَتغَيَّرُ، وَمَا كُتِبَ فِي الصُّحُفِ الَّتِي في أَيْدِي الملائِكَةِ فَفِيهَا تَغَيُّرٌ، ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[(٥)]، وَقَالَ تَعَالَى أَيْضًا: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[(٦)]، وهُنَا يَتبيَّنُ خطأُ مَنْ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: **اللهمَّ إنِّي لا أسألكُ ردَ القضَاء ولكن أسألكُ اللطفَ فِيهِ**». فَالصَّحِيحُ فِي هذَا الأَمْرِ: أنْ يَسْأَلَ الإِنْسَانُ رَبَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ رَفْعَ الْبَلاءِ نِهائِيًا، فَيَقُولَ: «**اللَّهُمَّ عَافِنِي، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي**»، وَيَعْزِمَ

---

(١) يس:١٢.

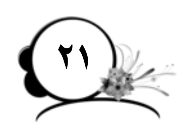
(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٧٥) عن بعض بنات النبي ﷺ، وصححه الألباني.

(٣) الفرقان:٢.

(٤) الدخان:٤.

(٥) الرعد:٣٩.

(٦) هود:١١٤.



فِي ذَلِكَ، فَالدُّعَاءُ قَدْ يَرُدُّ الْقَضَاءَ كَمَا فِي الحَدِيثِ: «**لا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءَ**»[1]، وَهَذَا وَاضِحٌ فِي أُنَاسٍ افْتَقَرُوا فَدَعَوْا فَأَغْنَاهُمُ الله، وَمرِضُوا وَكَادُوا أَنْ يَهْلَكُوا، فَدَعَوْا فَعَافَاهُمُ الله».

رابع عشر: الإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ:

- إِحْدَاهُمَا: الإِيمانَ بِأَنَّ اللَّهَ تعَالَى سَبَقَ فِي عِلْمِهِ مَا يَعْمَلُهُ الْعِبَادُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ قَبْلَ خَلْقِهِمْ وَإِيجَادِهِمْ، وَمَنْ هُوَ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَأَعَدَّ لَهُمُ الثَّوَابَ والْعِقَابَ جَزَاءً لأَعْمَالِهِم قَبْلَ خَلقِهِمْ وَتكْوِينهِمْ، وَأَنَّهُ كَتَبَ ذَلِكَ عِنْدَهُ وَأَحْصَاهُ، وَأَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تجَرْيِ علىَ ما سَبَقَ فِي عِلْمِهِ وَكِتَابِهِ.

- وَالدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: أَن اللَّه تعَالَى خلقَ أَفْعَالَ عِبَادِهِ كُلَّهَا مِنَ الكُفْرِ، وَالإِيمَانِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْعِصْيَانِ، وَشَاءَهَا مِنْهُمْ، فَهَذِهِ الدَّرَجَةُ يُثْبِتُهَا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَيُنْكِرُهَا الْقَدَرِيَّةُ. الذين يقولون بأن العبد خالقٌ لفعله.

خامس عشر: أنكرَ السلَفُ عَلَى مَنْ أَخرَجَ الأَعْمَالَ عَنِ الإِيمَانِ إِنْكَارًا شَدِيدًا. قَالَ الثَّوْرِيُّ: هُوَ رَأْيٌ مُحْدَثٌ، أَدْرَكْنَا النَّاسَ عَلَى غَيْرِهِ. وَقَالَ الأَوْزَاعِيُّ: كَانَ مَنْ مَضَى مِمَّنْ سلَفَ لا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الإِيمَانِ وَالْعَمَلِ.

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى أَهْلِ الأَمْصَارِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ لِلإِيمَانِ فَرَائِضَ وَشَرَائِعَ وحُدُودًا وَسُنَنًا، فَمَنِ اسْتَكْمَلَهَا، اسْتَكْمَلَ الإِيمَان، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا، لَمْ يَسْتَكْمِلِ الإِيمَان.

وَقَدْ دَلَّ عَلَى دُخُولِ الأَعْمَالِ فِي الإِيمَانِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[2].

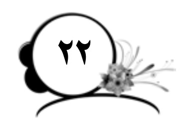
سادس عشر: إِذَا ذُكِرَ الإِيمَانُ وَحْدَهُ دَخَلَ فيهِ الإِسلاَمُ، وَكَذَلِكَ إِذَا ذُكِرَ الإِسْلامُ وَحْدَهُ دَخَلَ فِيهِ الإِيمَانُ، وَإِذَا ذُكِرَا جَمِيعًا، فَيَفْتَرِقَانِ. فَيُفَسَّرُ الإِسْلامُ بالأَعْمَالِ الظَّاهِرةِ مِنْ أَقْوَالِ اللِّسَانِ وَعَمَلِ الجَوَارِحِ، وَيُفَسَّرُ الإِيمَانُ بالأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ مِن اعْتِقَادَاتِ الْقُلُوبِ وَأَعْمَالِهَا.

سابع عشر: مِمَّا قِيلَ فِي قَوْلِهِ: «**فإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**» أنه إِشَارَة إِلَى أن مَن شَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، فَلْيَعْبُدِ اللهَ عَلَى أَنَّ اللهَ يَرَاهُ، وَيطَّلِعُ عَلَيْهِ، فَلْيَسْتَحِ مِنْ نَظَرِهِ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: اتَّقِ اللهَ أَنْ يَكُونَ أَهْوَنَ النَّاظِرِينَ إِلَيْكَ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٩٠، ٤٠٢٢)، وأحمد (٥/ ٢٨٠) عن ثوبان ﷺ، وحسنه الألباني.

(٢) الأنفال: ٢-٤.





الحديث الثالث

روى الإمَامُ النَّوَويُّ بِسَنَدِهِ إلى الإمَامِ الْبُخَارِيِّ - رَحِمَهُ الله - بِسَنَدِهِ إلى ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»(١).

❀ ❀ ❀

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولًا: لَقَدْ مَثَّلَ النَّبِيُّ ﷺ الإِسْلامَ بِالْبُنْيَانِ المتكَامِلِ وَذَكَرَ دَعَائِمَهُ الخمْسَ، حَيْثُ لَا يَثْبُتُ الْبُنْيَانُ بِدُونِهَا، أَمَّا بَقِيَّةُ خِصَالِ الإِسْلامِ فَهِيَ تَتِمَّةُ الْبُنْيانِ، فَإِذَا فُقِدَ مِنْهَا شَيْءٌ نَقُصَ الْبُنْيَانُ، وَهُوَ قَائِمٌ لا يُنقضُ بِنَقْضِ ذَلِكَ، بِخِلافِ نَقْضِ هَذِهِ الدَّعَائِمِ الْخَمْسِ، فَإِنَّ الإِسْلامَ يَزُولُ بِفَقْدِهَا جَمِيعًا بِغَيْرِ إِشْكَالٍ، وَكَذَلِكَ يَزُولُ بِفَقْدِ الشَّهَادَتَيْنِ، والصَّلاة، فَلا خِلافَ بَيْنَ المسْلِمِينَ فِي كُفْرِ مَنْ تَرَكَهَا مُنْكِرًا لِوُجُوبِهَا وَفَرْضِيَّتِهَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَرِيبَ عَهْدٍ بِالإِسْلامِ وَلَمْ يُخَالِطِ المسْلِمِينَ مُدَّةً يَبْلُغُهُ فِيهَا وُجُوبُ الصَّلاةِ.

أما إِذَا كَانَ تَرْكُهُ لَهَا تكاسلًا مَعَ اعْتِقَادِهِ لِوجُوبِهَا فَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ. فَذَهَبَ فريقٌ مِنَ السَّلَفِ وَالخَلَفِ إلى أنه لَا يَكْفُرُ بَلْ يَفْسُقُ. وَذَهَبَ جُمْهُورُ أَهْلِ الحدِيثِ إِلَى: أَنَّ مَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الإِسْلامِ. قَالَ عَبْدُ الله بْنُ شَقِيقٍ: كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ لا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاةِ.

ثانيا: رُبَّمَا يَظُنُّ الْبَعْضُ أَنَّ فِي النَّصِّ إِشْكَالِيَّةً: وَهِيَ تَقْدِيمُ الحجِّ عَلَى الصَّوْمِ. وَالحَدِيثُ السابِقُ (حَدِيثُ جِبْرِيلَ) يُقَدِّمُ الصَّوْمَ عَلَى الحجِّ، لَكِنِ الجوَابُ عَلَى ذَلِكَ: هُوَ أَنَّ التَّرْتِيبَ هُنَا تَرْتِيبٌ ذِكْرِيٌّ وَلَيْسَ تَرْتِيبَ أَهَمِّيَّةٍ، وَالتَّرْتِيبُ الذِّكْرِيُّ يَجُوزُ فِيهِ التَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ.



(١) أخرجه البخاري رقم (٨) وهذا لفظه، ومسلم (١٦) بلفظ: «وحج البيت».





الحديث الرابع

روى الإِمَامُ النَّوَوِيُّ بِسَنَدِهِ إلى الإِمَامِ الْبُخَارِيِّ - رَحِمَهُ الله - بِسَنَدِهِ إلى عَبْدِ الله بن مسعود ﷺ قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ قَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ**»(١).

❀ ❀ ❀



اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

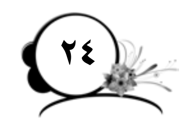
أولًا: الْحِكْمَةُ فِي خَلْقِ الله تَعَالَى لِلإِنْسَانِ بِهذَا التَّرْتِيبِ (نُطْفَةٌ ـ عَلَقَةٌ ـ مُضْغَةٌ... إلخ)؛ هِيَ انْتِظَامُ خَلْقِ الإِنْسَانِ مَعَ خَلْقِ الْكَوْنِ بِأَسْبَابٍ وَمُقَدِّمَاتٍ وَأَطْوَارٍ، وَهَذَا أَبْلَغُ فِي تِبْيَانِ قُدْرَةِ الله - عَزَّ وَجَلَّ وَفِيهِ دَلالَةٌ عَلَى أَنَّ كَمَالَ الإِنْسَانِ فِي سُلُوكِهِ يَسِيرُ عَلَى نَظِيرِ ذَلِكَ.

ثانيا: قَوْلُهُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ»: هُنَا إِشْكَالٌ عِنْدَ البَعْضِ؛ إِذ كَيْفَ يَعْمَلُ الإِنْسَانُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ؟! وَهَذِهِ الإِشْكَالِيَّةُ تَزُولُ بِالنَّظَرِ فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ الثانية وَنَصُّهَا: قَوْلُهُ ﷺ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»(٢). فَالْعَمَلُ المَوْصُوفُ بِأَنَّهُ: «**عَمَلُ أَهْلِ الجَنَّةِ**» كَانَ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، لَكِنَّهُ فِي الحَقِيقَةِ لَمْ يَكُنْ صَالِحًا، فَقَدْ يَكُونُ رِيَاءً وَسُمْعَةً.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٩٨).



ثالثا: إِنَّ الكِتَابَةَ الَّتِي تُكْتَبُ لِلْجَنِينِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ غَيْرُ كِتَابَةِ الْمقَادِيرِ السَّابِقَةِ لِخَلْقِ الخَلائِقِ المذْكُورَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[1]. فَقدْ رَوَى عَبْدُ الله بْنُ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ الله قَدَّرَ مَقَادِيرَ الخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»[2]، وَرُوِيَ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[3].

وهي الكتابة في اللوح المحفوظ -كما ذكرنا.

رابعا: لَا مَانِعَ مِنَ الحَلِفِ لِتَأْكِيدِ الأَمْرِ فِي النُّفُوسِ.

لِلدَّاعِيَةِ أَنْ يُقْسِمَ بِالله الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ - إِنِ اسْتَدْعَى الأَمْرُ ذَلِكَ - لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ حِكَمٍ نحو:

أ - دَفْعُ الشَّكِّ مِنْ قُلُوبِ سَامِعِيهِ.

ب - لِلَفْتِ الانْتِبَاه.

جـ - وَلِيُصَفِّيَ عَقَائِدَهُمْ مِنَ الشِّرْكِ حِينَ يُقْسِمُ بِمَا كَان يُقْسِمُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ دَائِمًا: «فَوَالله الَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ».

خامسا: يَدُلُّ النَّصُّ عَلَى تَحْرِيمِ إِسْقَاطِ الجَنِينِ بَعْدَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ، وأَمَا قَبْلَ الرُّوحِ فَفِيهِ خلافٌ. أَمَّا الْعَزْلُ: فَلَيْسَ جِنَايَةً؛ لأَنَّهُ لَا يَقَعُ عَلَى مَوْجُودٍ حَاصِلٍ.

سادسا: يَدُلُّ هَذَا الحَدِيثُ عَلَى أَنَّ السَّعَادَةَ وَالشَّقَاوَةَ قَدْ سَبَقَ الْكِتَابُ بِهِمَا، وَأَنَّ ذَلِكَ مُقَدَّرٌ بِحَسَبِ الأَعْمَالِ، وَأَنَّ كُلًّا مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ مِنَ الأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ سَبَبٌ لِلسَّعَادَةِ أَوِ الشَّقَاوَةِ.

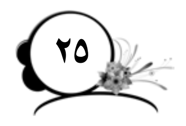
سابعا: قَوْلُهُ ﷺ: «**فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ**» يَبْعَثُ فِي نَفْسِ المؤْمِنِ الاطْمِئْنَانَ التَّامَّ عَلَى قُوتِهِ وَأَجْلِهِ وَمُسْتَقْبَلِهِ، وَيَمُدُّهُ بِالرَّاحَةِ النَّفْسِيَّةِ الْكَامِلَةِ، حَيْثُ لا يَيْأَسُ قَطُّ مِنْ رَوْحِ الله مِنْ جِهَةٍ، وَلا يُكَدِّرُ صَفْوَ حَيَاتِهِ مَا فَاتَهُ مِنْ رِزْقٍ أَوْ وَلَدٍ؛ لأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ بِتَقْدِيرِ المقَدِّرِ عَزَّ وَجَلَّ. مَا

---

(١) الحديد: ٢٢.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣١٧)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥) وصححه الألباني.



أَحْوَجَنَا الْيَوْمَ إِلَى التَّمَعُّنِ وَالتَّدَبُّرِ في قول الحق سُبْحَانهُ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾[1].

(١) الحديد: ٢٢.







روى الإمَامُ النَّوَويُّ بِسَنَدِهِ إلى الإمَامِ الْبُخَارِيِّ – رَحِمَهُ الله – بِسَنَدِهِ إلى أم المؤمنين عَائِشَةَ – رضي الله عنها – قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**»[1].

وَفِي رِوَايَةٍ لِـمُسْلِمٍ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[2].

۞ ۞ ۞

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولًا: هَذَا الحديثُ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الإِسْلامِ، فَهُوَ مِيزَانٌ لِلأَعْمَالِ فِي ظَاهِرِهَا كَمَا أَنَّ حَدِيثَ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» مِيزَانٌ لِلأَعْمَالِ فِي بَاطِنِهَا، فَكَمَا أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ لا يُرادُ بِهِ وَجْهُ الله تَعَالَى لَيْسَ عَلَيْهِ ثَوَابٌ، فَكَذَلِكَ كُلُّ عَمَلٍ لَا يَكُونُ عَلَيْهِ أَمْرُ الله وَرَسُولِهِ، فَهُوَ مَرْدُودٌ.

ثانيًا: المتابعة لا تتحقق إلَّا إذَا كَانَ الْعَمَلُ مُوَافِقًا لِلشَّرْعِ فِي أُمُورٍ سِتَّةٍ: السبب، الجنس، القدر، الكيفية، الزمن، المكان

أ ـ مثال ألا يَكُونَ الْعَمَلُ مُوَافِقًا لِلشَّرِيعَةِ فِي السَّبَبِ: أَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ كُلَّمَا دَخَلَ بَيْتَهُ، وَيَجْعَلَ هَذِهِ سُنَّةً، فَهَذَا مَرْدُودٌ عَلَى فَاعِلِهِ، مَعَ أَنَّ الصَّلاةَ فِي أَصْلِهَا مَشْرُوعَةٌ، لَكِنَّهُ قَرَنَهَا بِسَبَبٍ غَيْرِ شَرْعِيٍّ وَهُوَ دُخُولُ الْبَيْتِ وَلَيْسَ المسْجِدَ.

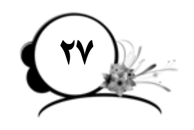
ب ـ مثال أَلا يَكُونَ الْعَمَلُ مُوَافِقًا لِلشَّرِيعَةِ فِي الْجِنْسِ: مَنْ ضَحَّى بِفَرَسٍ، فَعَمَلُهُ مَرْدُودٌ؛ لأنه خَالَفَ الشَّرِيعَةَ فِي الْجِنْسِ؛ إِذْ إِنَّ الأُضْحِيَةَ تَكُونُ فِي بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ: الإِبِلِ والْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، أَمَّا إِنْ تَصَدَّقَ بِلَحْمِ الْفَرَسِ فِي غَيْرِ أُضْحِيَةٍ، فَهَذَا جَائِزٌ.

جـ ـ مثال أَلا يَكُونَ الْعَمَلُ مُوَافِقًا لِلشَّرِيعَةِ فِي الْقَدْرِ: كَمَنْ يَغسِلُ كُلَّ عُضْوٍ فِي الْوُضُوءِ مثلاً أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَهَذِهِ الرَّابِعَةُ لا تُقْبَلُ؛ لأَنَّهَا زَائِدَةٌ عَلَى السُّنَّةِ وَتُعَدُّ مِنَ الإِسْرَافِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨).



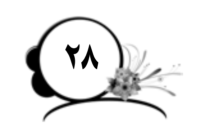
د ـ مثال أَلا يَكُونَ الْعَمَلُ مُوَافِقًا لِلشَّرِيعَةِ فِي الْكَيْفِيَّةِ: كالرجَّلُ الَّذِي يسَجْدُ فُي صلاتِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْكَعَ، فَعَمَلُهُ مَرْدُودٌ، وَصَلاتُهُ بَاطِلَةٌ؛ لأَنَّهَا لَمْ تُوَافِقِ الشَّرْعَ فِي الْكَيْفِيَّةِ.

هـ ـ مثال أَلا يَكُونَ الْعَمَلُ مُوَافِقًا لِلشَّرِيعَةِ فِي الزَّمَانِ: فَلَوْ صَلَّى الْمسْلِمُ قَبْلَ دُخُولِ الْوَقْتِ، فَصَلاتُهُ مَرْدُودَةٌ، وَلَوْ ضَحَّى قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ الْعِيدَ، لَمْ تُقْبَلْ؛ لأَنَّهَا خَالَفَتِ الشَّرْعَ فِي الزَّمَانِ.

و ـ مثال أَلا يَكُونَ الْعَمَلُ مُوَافِقًا للشريعة فِي المكَانِ: فلوَ اعتكَفَ المسْلِمُ فِي المدْرَسَةِ ـ مثلاً ـ أَوْ فِي الْبَيْتِ، فَذَلِكَ لَا يَصِحُّ؛ لأنه خَالَفَ الشَّرْعَ فِي المكَانِ.

ثالثًا: الأَصْلُ فِي الْعِبَادَاتِ المنْعُ حَتَّى يَقُومَ دَلِيلٌ عَلَى مَشْرُوعِيَّتِهَا، وَغَيْرُ العِبَاداتِ الأَصْلُ فِيهَا الْحِلُّ، وَذَلِكَ فِي الأَعْيَانِ «كَصَيْدِ الطَّيرِ المبَاحِ» وَالأَعْمَالِ (كَاللُّبسِ)، مَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ نَصٌّ فِي تَحْرِيمِهِ.









روى الإِمَامُ النَّوَوِيُّ بِسَنَدِهِ إلى الإِمَامِ مُسْلِمٍ – رَحِمَهُ الله تَعَالَى – بِسَنَدِهِ إلى النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلا وَإِنَّ حِمَى الله مَحَارِمُهُ، أَلا وَإِنَّ فِي الجسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**»(١).

❀ ❀ ❀

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولًا: فِي الحَدِيثِ تَقْسِيمٌ لِلأَحْكَامِ، كالآتي:

- حَلالٌ بَيِّنٌ، كُلُّ النَّاسِ يَعْرِفُهُ.
- حَرَامٌ بَيِّنٌ، كُلُّ النَّاسِ يَعْرِفُهُ.
- مُشْتَبَهٌ فِيهِ ؛ وَالاشْتِبَاهُ لِسَبَبَيْنِ:

الأَوَّلُ: الاشْتِبَاهُ فِي الدَّلِيلِ: هَلْ هُوَ صَحِيحٌ يُحْتَجُّ بِهِ أَوْ ضَعِيفٌ مَرْدُودٌ؟ وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا، فَهَلْ يَدُلُّ عَلَى الْحُكْمِ أَوْ لَا يَدُلُّ؟ وَهَذَا مَا يُسَمِّيهِ الأُصُولِيُّونَ: «**تَخْرِيجَ المَنَاطِ**».

الثَّانِي: الاشْتِبَاهُ فِي مَحَلِّ الْحُكْمِ هَلْ يَنْطَبِقُ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى هَذِهِ المَسْأَلَةَ بِعَيْنِهَا أَوْ لا يَنْطَبِقُ؟ وَهَذَا مَا يُسَمِّيهِ الأُصُولِيُّونَ: «**تَحْقِيقَ الْمَنَاطِ**».

مِثَالُ المُشْتَبَهِ: فِي الأعيان: نحو أَكْلِ بَعْضِ ما اخْتُلِفَ فِي حِلِّهِ أَوْ تَحْرِيمِهِ، كَالخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالحَمِيرِ، وَالضَّبِّ، وَشُرْبِ ما اخْتُلِفَ فِي تَحْرِيمِهِ مِنَ الأَنْبِذَةِ الَّتِي يُسْكِرُ كَثِيرُهَا، ولُبْسِ ما اخْتُلِفَ فِي إِبَاحَةِ لُبْسِهِ مِنْ جُلُودِ السِّبَاعِ وَنَحْوِهَا، وكذلك المَكَاسِبِ المُخْتَلَفِ فِيهَا كَمَسَائِلِ التَوَرُّقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) وهذا لفظه.



ثانيا: فِي قَوْلِهِ: «**اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**»؛ أَيْ: طَلَبَ الْبَرَاءَةَ لِدِينِهِ وَلِعِرْضِهِ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ.

ثالثًا: يَسْتَدِلُّ بِهَذَا الحَدِيثِ الْقَائِلُونَ بِسَدِّ الذَّرَائِعِ كَأَصْلٍ مِنَ الأُصُولِ. وَالذَّرِيعَةُ: الْوَسِيلَةُ، وَهِيَ مَا يَكُونَ طَرِيقًا لِمُحَرَّمٍ أَوْ مُحَلَّلٍ، فَإِنَّهُ يَأْخُذُ حُكْمَهُ. فَمَا يُؤَدِّي إِلَى الحَرَامِ حَرَامٌ، وَمَا يُؤَدِّي إِلَى الحَلالِ حَلالٌ، وَمَا لَا يُؤَدَّى الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ. وَقَاعِدَةُ (سَدِّ الذَّرَائِعِ) مُعْتَمَدَةٌ فِي جَمِيعِ المَذَاهِبِ عَلَى اخْتِلافٍ فِي بَعْضِ أَقْسَامِهَا.

رابعًا: قَوْلُهُ: «**وَقَعَ فِي الحَرَامِ**» يُفَسَّرُ بِمَعْنَيَيْنِ:

ـ أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ ارْتِكَابُهُ لِلشُّبْهَةِ - مَعَ اعْتِقَادِهِ أَنَّهَا شُبْهَةٌ - ذَرِيعَةً إِلَى ارْتِكَابِهِ الحَرَامَ.

ـ وَالمَعْنَى الثَّانِي: أَنَّ مَنْ أَقْدَمَ عَلَى مَا هُوَ مُشْتَبَهٌ عِنْدَهُ لَا يَدْرِي أَهُوَ حَلالٌ أَمْ حَرَامٌ، فَإِنَّهُ لا يَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ حَرَامًا فِي نَفْسِ الأَمْرِ فيصَادِفُ الحرَامَ، وَهُوَ لَا يَدْرِي أَنَّهُ حَرَامٌ.

خامسًا: مِنْ دِقَّةِ لَفْظِهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ**»، فَيَعْنِي ذَلِكَ: أَنَّ كَثِيرًا مِنْهمْ لَا يَعْلَمُ وَكَثِيرًا يَعْلَمُ، وَهَذَا بِخِلَافِ مَا لَوْ قَالَ: «لَا يَعْلَمُهُنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ».

سادسًا: مَنْ أَتَى شَيْئًا مِمَّا يَظُنُّهُ النَّاسُ شُبْهَةً لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُ حَلالٌ فِي نَفْسِ الأَمْرِ فلا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ؛ لَكِنْ إِذَا خَشِيَ مِنْ طَعْنِ النَّاسِ عَلَيْهِ بِذَلِكَ كَانَ تَرْكُهَا حِينَئِذٍ اسْتِبْرَاءً لِعِرْضِهِ فَيَكُونُ حَسَنًا، وَهَذَا كَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِمَنْ رَآهُ وَاقِفًا مَعَ صَفِيَّةَ: «**إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**»(١).



(١) أخرجه البخاري (٢٠٣٥)، ومسلم (٢١٧٥).







روى الإمَامُ النَّـوَويُّ بِسَنَدِهِ إلى الإِمَـامِ مُـسْلِمٍ- رَحِمَهُ الله تَعَالَى- بِسَنَدِهِ إلى تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، قُلْنَا: لِمَـنْ؟ قَـالَ: «**لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِـهِمْ**»(١).

❀ ❀ ❀

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولاً: قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الصَّلاحِ: النَّصِيحَةُ كَلِمَـةٌ جَامِعَـةٌ تَتَـضَمَّنُ قِيَـامَ النَّاصِحِ لِلمَنْصُوحِ لَهُ بِوُجُوهِ الخيرِ إِرادَة وَفِعلاً.

ثانيا: قَـرَّرَ النَّبِـيُّ ﷺ جُمْلَـةً، وَهِـيَ: «**الـدِّينُ النَّـصِيحَةُ**» ثُـمَّ تَـرَكَ الصَّحَابَةَ يَسْتَفْهِمُونَ عَنْ مَعْنَاهَا، وَهَذَا أُسْلُوبٌ نَبَوِيٌّ فِي التَّعْلِيمِ وَالتَّشْوِيقِ، حَيْثُ يَجْعَلُ النَّفْسَ تَسْتَقْبِلُ التَّفْصِيلَ فِي تَطَلُّعٍ وَتَشَوُّقٍ، فَيَرْسَخُ فِي الأَذْهَانِ.

ثالثا: النَّصِيحَةُ لله تَكُونُ بِصِحَّةِ الاعْتِقَادِ فِـي وَحْدَانِيَّتِـهِ، وَإِخْـلاصِ النِّيَّـةِ فِـي عِبَادَتِـهِ. وَالنَّصِيحَةُ لِكِتَابِهِ تَكُونُ بِالإِيمَانِ بِهِ وَالْعَمَلِ بِمَا فِيـهِ. وَالنَّـصِيحَةُ لِرَسُـولِهِ تَكُـونُ بِالتَّـصْدِيقِ بِنُبُوَّتِهِ، وَبَذْلِ الطَّاعَةِ لَهُ فِيمَا أَمَرَ أَوْ نَهَى. وَالنَّصِيحَةُ لِعَامَّةِ المسْلِمِينَ تَكُونُ بِالأَمْرِ بِالمعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الـمُنْكَرِ وَإِرْشَادِهِمْ إِلَى مَصَالِحِهِمْ. والنصيحة للأئمة ستأتي.

رابعا: إِنَّ النَّصِيحَةَ لِلْكِتَابِ تَقْتَضِي مَا يَلِي:

١ ـ الإِيْمَانَ بِمُتَشَابِهِهِ كَالإِيمَانِ بِمُحْكَمِهِ.

٢ ـ الْعَمَلَ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ أَحْكَامٍ وَتَشْرِيعَاتٍ.

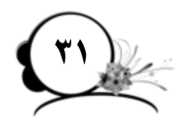
٣ ـ الدِّفَاعَ عَنْهُ عِنْدَ طَعْنِ الطَّاعِنِينَ، وَتَأْوِيلِ الْمُحَرِّفِينَ.

خامسا: النُّصْحُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ شَيْءٌ مُهِمٌّ مِنْ أُمُـورِ الـدِّينِ، فَعَـنْ جَرِيـرِ بْـنِ عَبْـدِ الله قَـالَ: «**بَايْعَتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).



سادسا: قَوْلُهُ: «**وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ**»: أَئِمَّةُ المسْلِمِينَ صِنْفَانِ:

الأَوَّلُ: الْعُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّونَ الَّذِينَ وَرِثُوا النَّبِيَّ ﷺ؛ عِلْمًا وعِبَادَةً وَأَخلاقًا.

الثَّانِي: الأُمَرَاءُ المنَفِّذُونَ لِشَرِيعَةِ الله.

وَمِنْ هُنَا يُقَالُ: العُلَمَاءُ مُبَيِّنُونَ، وَالأُمَرَاءُ مُنَفِّذُونَ.

سابعا: النَّصِيحَةُ للأمراء لازِمَةٌ عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ إِذَا عُلِمَ أَنَّهُ يُقْبَلُ نُصْحُهُ، وَيُطَاعُ أَمْرُهُ، وأَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ المكْرُوهَ، فَإِنْ خَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ أذًى، فَهوَ فِي سَعَةٍ.

من أقوال السلف فيما يتعلق بالحديث:

- قالَ الْفُضَيْلُ بن عياضٍ: مَا أَدْرَكَ عِنْدَنَا مَنْ أَدْرَكَ بِكَثْرَةِ الصَّلاةِ والصِّيَامِ، وإِنَّما أَدْرَكَ بِسَخَاءِ الأَنْفُسِ، وسَلامَةِ الصَّدْرِ وَالنُّصْحِ لِلأمَّةِ.

- وقالَ الفضيلُ أيضا: المؤمنُ يسْتُرُ وينصحُ، والفاجِرُ يَهتكُ ويُعيِّرُ.

- وقال ابن علَيَّة في قولِ أبي بكر المزَنِيِّ: ما فاقَ أبو بكرٍ -رضي الله عنه- أصحابَ رسولِ الله ﷺ بصومٍ ولا صلاةٍ، ولكنْ بشيءٍ كانَ في قلبِهِ، قالَ: الذي كانَ في قلبِهِ الحبُّ للهِ عزَّ وجلَّ، والنصيحةُ في خَلقهِ.

لطائف من حياة الراوي:

تَمِيمٌ الدَّارِي:

(تَدَبُّرُهُ لِلقُرْآنِ): عن مَسْرُوقٍ: قَالَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: هَذَا مَقَامُ أَخِيكَ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، صَلَّى لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ أَوْ كَادَ، يَقْرَأُ آيَةً يُرَدِّدُهَا، وَيَبْكِي.

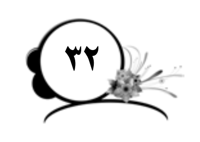
لطائف من رجال السند:

(ابْنُ عُيَيْنَةَ):

مِنْ أَقْوَالِهِ:

أ ـ (المَعصِيَةُ أَنْوَاعٌ):

مَنْ كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ فِي الشَّهْوَةِ فَارْجُ لَهُ، وَمَنْ كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ فِي الكِبْرِ، فَاخْشَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ آدَمَ عَصَى مُشْتَهِيًا، فَغُفِرَ لَهُ، وَإِبْلِيسَ عَصَى مُتَكَبِّرًا فَلُعِنَ.



ب ــ (الوَرَعُ):

هُوَطلَبَ ُالعلِمْ ِالذَّي به ِيعُرْفَ ُ الوَرَعُ.

جـــ (الزُهْدُ هُوَ):

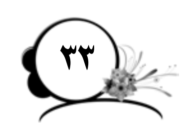
قَالَ أَحْمَدُ بِنْ نَصْرٍ: سَأَلْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ فَقُلْتُ كيفَ َ حَدِيث عَبْدُ اللهِ عَنِ النَّبِـيَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَحْمِلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَع**».

وَحديِث: «**إِنَّ قُلُوبَ العِبَادِ بِيَّنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابعَ الرَحْمَنِ**».

وَحَدِيثَ: «**إِنَّ اللهَ يَعْجَبُ أَوْ يَضْحَكُ مِمَّنْ يَذْكُرَهُ فِي الأَسْوَاقِ**».

فَقَالَ سُفْيَانُ هِيَ كَمَا جَاءَتْنقرِ ُبُّهاِ َونحَدُثُ ِّّ بهاِ َبلاِ كَيفَ َ .









روى الإمَـامُ النَّـوَويُّ بِـسَنَدِهِ إلى الإمَـامِ الْبُخَارِيِّ - رَحِمَهُ الله تَعَالَى - بِسَنَدِهِ إِلى ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلا بِحَقِّ الإِسْلامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله**»(١).

❀ ❀ ❀

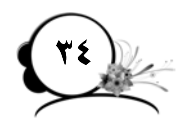
اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْبَلُ مِنْ كُلِّ مَنْ جَاءَهُ يُرِيدُ الدُّخُولَ فِي الإِسْلامِ الشَّهَادَتَيْنِ فَقَطْ، وَيَعْصِمُ بِذَلِكَ دَمَهُ وَيَجْعَلُهُ مُسْلِمًا، ثُمَّ يُلْزِمُ بِشَرَائِعِ الإِسْلامِ بَعْدَ ذَلِكَ.

ثانيا: قَوْلُهُ ﷺ: «**وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ**» يَعْنِي: أَنَّ الشَّهَادَتَيْنِ مَعَ إقامَ الصلاةِ وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ تَعْصِمُ دَمَ صَاحِبِهَا وَمَالَهُ فِي الدُّنْيَا، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ مَا يُبِيحُ دَمَهُ، وَأَمَّا فِي الآخِرَةِ فَحِسَابُهُ عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا أَدْخَلَهُ اللهُ بِذَلِكَ الجَنَّةَ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبا فَإِنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ المنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ.

ثالثا: عَلَى الدَّاعِي أَنْ يؤدِّيَ ما أوجبَهُ اللهُ عليهِ وهوَ البلاغُ، حَيْثُ بَرِئَتْ ذِمَّتُهُ عِنْدَمَا قَامَ بِالتَّبْلِيغِ عَلَى النَّهجِ الَّذِي بَيَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ.

رابعاً: قوله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ**»، فيهِ تنبيهٌ: أَنَّهُ ليسَ كلُّ منْ جازتْ مقاتلتهُ جازَ قتلهُ، فقتلُ المعيّنِ أضيقُ من المقاتلةِ العامة، فأبو بكرٍ -رضي الله عنه- قاتلَ مانعي الزكاةِ؛ لأنَّهم خرجُوا على الإمامِ بشُبهةٍ، ولمْ يقتلهمْ.



(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) بلفظ «إلا بحقها» وأبو داود (٢٦٤٠)، والترمذي (٢٦٠٦).





روى الإِمَامُ النَّوَوِيُّ بِسَنَدِهِ إلى الإمَامِ الْبُخَارِيِّ - رَحِمَهُ الله تَعَالَى - بسنده إلى أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا أَهَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُؤَالُهُمْ وَاخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ، فأتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»[١].

❁ ❁ ❁

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: انْقَسَمَ النَّاسُ فِي السُّؤَالِ عَلَى أَقْسَام:

أ - مِنْهُمْ مَن سَدَّ بَابَ المسَائِلِ، حَتَّى قَلَّ فَهْمُهُ وَعِلْمُهُ لِحُدُودِ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ.

ب - مَنْ تَوَسَّعَ فِي تَوْلِيدِ المسَائِلِ قَبْلَ وُقُوعِهَا، فَأَخَذَ يَسْأَلُ عَمَّا يَقَعُ فِي الْعَادَةِ وَمَا لا يَقَعُ، وَاشْتَغَلَ بِتكَلُّفِ الجوَابِ عَلَى ذَلِكَ، فإنَّ ذلك سيؤدي إلى انتشار الْخُصُومَاتُ، وَكَثْرَةُ الجدَلُ، وَتَولَّدَ بِسَبَبِ ذَلِكَ افْتِرَاقُ الْقُلُوبِ، وَكَثُرَتِ الشَّحْنَاءُ وَالْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ، وَاقْتَرَنَ ذَلِكَ بِنِيَّةِ الْمُغَالَبَةِ، وَطَلَبِ الْعُلُوِّ وَالمبَاهَاةِ وَصَرْفِ وُجُوهِ النَّاسِ.

جـ - هُنَاكَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ هَمُّهُمُ الْبَحْثُ عَنْ مَعَانِي كِتَابِ الله، وَمَا يفَسِّرُهُ مِنَ السُّنَنِ الصَّحِيحَةِ وكَلامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَمَعْرِفَةِ الصَّحِيحِ مِنَ السَّقِيمِ، وَهَؤُلاءِ هُمُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ وَرِثُوا الأَنْبِيَاءَ.

ثانيا: الْفَرْقُ بَيْنَ المنْهِيَّاتِ وَالمأْمُورَاتِ: أَنَّ المنْهِيَّاتِ قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «فَاجْتَنِبُوهُ»؛ لأنه كَفٌّ وَامْتِنَاعٌ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ يَسْتَطِيعُهُ، وَأَمَّا المأْمُورَاتُ، فَإِنَّهَا إِيجَادٌ وَفِعْلٌ، قَدْ يُسْتَطَاعُ أَدَاؤُهُ وَالاسْتِمْرارُ عَلَيْهِ، وَقَدْ لا يُسْتَطَاعَ ولذلك جاء «**فأتو منه ما استطعتم**».

ثالثا: عَلَى المسْلِمِ إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى فِعْلِ الْوَاجِبِ كُلِّهِ، فَلْيَفْعَلْ مَا اسْتَطَاعَ؛ كَمَنْ لا

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨) واللفظ له، ومسلم (١٣٣٧).



يستطِيْعَ الوُقوْفُ طويلًا ، فَهَذَا يَبْدَأُ الصَّلاةَ قَائِمًا، ثُمَّ يَجْلِسُ، وَإِذَا قَارَبَ الرُّكُوعَ قَامَ وَرَكَعَ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِحَسَبِ اسْتِطَاعَتِهِ.

رابعًا: الأَصْلُ فِي المسْلِمِ إِذَا سَمِعَ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَسْتَجِيبَ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[1]؛ وَلِقَوْلِهِ ﷺ: «**فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُم**»؛ وَذَلِكَ حِينَ سَمَاعِهِ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»[2]، و«**خُذُوا عَنِّى مَنَاسِكَكُمْ**»[3].

أَمَّا التَّفْصِيلُ كَمَا فِي كُتُبِ الْفِقْهِ، فَهَذَا عَلَى وَجْهِ التَّعْلِيمِ وَالاحْتِيَاجِ.

خامسًا: إِنَّ التَّفَقُّهَ فِي الدِّينِ وَالسُّؤالَ عَنِ الْعِلْمِ، إِنَّمَا يُحْمَدُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ لِلْعَمَلِ لَا لِلْمِرَاءِ وَالجَدَلِ.

سادسًا: النَّهْيُ يَتَنَاوَلُ مَعْنَيَيْنِ: الْكَرَاهَةَ وَالتَّحْرِيمَ:

ـ مِثَالُ الأَولِ: النَّهْيُ عَنْ تَصَرُّفَاتٍ قَامَتِ الأَدِلَّةُ عَلَى أَنَّ هَذَا النَّهْيَ لِلْكَرَاهَةِ لا لِلتَّحْرِيم، كالنَّهْيِ عَنْ أَكْلِ الْبَصَلِ أَو الثَّوْمِ لِمَنْ أَرَادَ حُضُورَ الْجُمُعَةِ وَالجَمَاعَةِ.

ـ مِثَالُ الثَّانِي: النَّهْيُ عَنْ تَصَرُّفَاتٍ قَامَتِ الأَدِلَّةُ عَلَى حُرْمَةِ فِعْلِهَا، وَتَرَتَّبَ عَلَى فِعْلِهَا عُقُوبَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، كَالنَّهْيِ عَنِ الزِّنَى وَالخَمْرِ وَالرِّبَا وَالسَّرِقَةِ.. إلخ.

سابعًا: الضَّرُورَاتُ تُبِيحُ المحْظُورَاتِ، وَالضَّرُورَةُ تُقَدَّرُ بِقَدْرِهَا.

ثامنًا: دَرْءُ المفَاسِدِ مُقَدَّمٌ عَلَى جَلْبِ المصَالِحِ، وَلَا اعْتِبَارَ لِلْمَصْلَحَةِ المرْجُوحَةِ.

تاسعًا: السُّؤالُ فِي الدِّينِ لَهُ ثَلاثَةُ أَحْكَامٍ:

١ ـ وَاجِبٌ وَهُوَ قِسْمَانِ:

أ ـ فَرْضُ عَيْنٍ: كَالسُّؤالِ عَمَّا يَجْهَلُهُ المسْلِمُ مِمَّا يَجِبُ فِعْلُهُ.

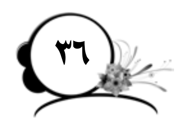
ب ـ فَرْضُ كِفَايَةٍ: كَالسُّؤَالِ مِنْ أَجْلِ التَّوَسُّعِ فِي الْفِقْهِ وَمَعْرِفَةِ أَحْكَامِ الشَّرْعِ مِنْ أَجْلِ الْفَتْوَى وَالْقَضَاءِ، وَحَمْلِ لِوَاءِ الدَّعْوَةِ وَتَعْلِيمِ المسْلِمِينَ.

---

(١) الأنفال: ٢٤.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣١) عن مالك بن الحويرث ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٩٧)، وأبو داود (١٩٧٠) عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما.



٢ ـ مَنْهِيٌّ عَنْهُ وَهُوَ قِسْمَانِ:

أ ـ حَرَامٌ: مِثْلُ السُّؤَالِ عَلَى وَجْهِ العَبَثِ وَالاسْتِهْزَاءِ، وَسُؤَالِ المعْجِزَاتِ وَالخَوَارِقِ، وَالسُّؤَالِ عَنِ الأَغَالِيطِ الَّتِي يُقْصَدُ بِهَا الإِحْرَاجُ وَلِيُهَيِّجَ بِذَلِكَ الشَّرَّ وَالْفِتْنَةَ.

ب ـ مَكْرُوهٌ: كَالسُّؤَالِ عَمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَلَا فَائِدَةَ عَمَلِيَّةً مِنْهُ، وَرُبَّمَا كَانَ فِي الجَوَابِ مَا يَسُوءُ السَّائِلَ، كَالسُّؤَالِ عَمَّا سَكَتَ عَنْهُ الشَّرْعُ مِنَ الحَلَالِ وَالحَرَامِ، وَهَذَا النَّهْيُ خَاصٌّ بِزَمَانِهِ ﷺ.

٣ ـ مُبَاحٌ: فِيمَا عَدَا مَا ذَكَرْنَاهُ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

عاشراً: من الْمُقَرَّرِ أنهُ يَحرُمْ التداوي بالمحرَّمِ، وأن ذلكَ لا يدخلُ في بابِ الضرورةِ؛ وذلكَ لأمرين:

أ ـ قدْ يبرأُ المريضُ بدونِ دواءٍ، وحينئذٍ لا ضرورةَ.

ب ـ قد يتداوى به المريضُ ولا يبرأ، وحينئذٍ لا تندفع الضرورة، بل يجب الكفُّ عنها.

حادي عشر: اجتنابُ المحرماتِ ـ وإن قلَّتْ ـ أفضلُ منَ الإكثارِ منْ نوافلِ الطاعاتِ، فإنَّ ذاكَ فرضٌ وهذا نفلٌ.

ثاني عشر: ما يحتاجُهُ الناسُ من المسائلِ الفقهيةِ لا حرجَ منَ السؤالِ عنها مع الحاجةِ لذلكَ، وأما إذا لْم يكنْ هناكَ حاجةٌ، فإنْ كانَ طالبَ علمٍ، فليسألْ وليبحثْ؛ لأنَّ طالبَ العلم مستعدٌّ لإفتاءِ منْ يستغيثُهُ، وأمَّا إذا كانَ غيرَ طالبِ علمٍ، فلا يُكْثِرِ السؤالَ.

ثالث عشر: الخطر إنمَّا هوَ في الخلافِ النابعِ عن الهوَى، أمَّا الخلافُ الناشئُ عن الدليلِ المستندِ إلى أصلٍ، فهوَ عنوانُ مرونةِ التشريعِ، وحريةُ الرأي فيه رمزُ الاستقامةِ في الأمةِ.

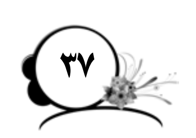
رابع عشر: الداعيةُ الناجحُ الذي يراعيْ قُدراتِ الناسِ فلا يُعَسِّرُ عليهم، ولا ينفرُهم فيفتنُهم ـ بتشدِيدهِ ـ عن دينِهم بتركِ الرُّخصِ واعتمادِ العزائمِ.

من أقوال السلف فيما يتعلق بمعنى الحديث:

* رُوِيَ عنْ عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ أنَّه ذكَرَ فِتَنًا تكونُ في آخِر الزَّمَانِ، فقالَ لهُ عُمَر: مَتَى ذلكَ يا عليُّ؟ قالَ: إذَا تُفُقِّهَ لغيرِ الدِّينِ، وَتُعَلِّمَ لغيرِ العملِ، وَالْتُمِسَتِ الدنيا بعملِ الآخرةِ.

---

(١) النحل: ٤٣.



* سُئِلَ عمرُ عن قومٍ يشتهونَ المعصيةَ ولا يعملونَ بها، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾(1).

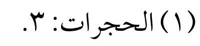
* قالَ الشعبيُّ: سُئل عمارٌ عنْ مسألةٍ، فقالَ: هلْ كانَ هذا بعدُ؟ قالوا: لا قالَ: فَدَعونَا حتى يكونَ، فإذا كان تجشمناهُ لكُم.

* قال الأوزاعيُّ: إنَّ اللهَ إذا أرادَ أن يَحْرِمَ عبدَهُ بركةَ العلمِ أَلْقَى على لسانهِ المغاليطَ، فلقدْ رأيتهُمْ أقلَّ الناسِ عِلمًا.

* قالَ إسحاقُ بنُ عيسى: كانَ مالكٌ يقولُ: المِراءُ والجدالُ في العلمِ يذهَبُ بنورِ العلمِ من قلبِ الرجلِ.

* قال ميمونُ بنُ مهرانَ: ذكْرُ اللهِ باللسانِ حسنٌ، وأفضلُ منهُ أنْ يذكرَ اللهَ العبدُ عندَ المعصيةِ فَيُمسكَ عنها.





(1) الحجرات: ٣.







روى الإمَامُ النَّوَويُّ بِسَنَدِهِ إلى الإمَامِ مُسْلِمٍ -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- بسَنَدِهِ إلى أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾[1]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[2]، **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!**»[3].

❀ ❀ ❀

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: إِجَابةُ آكِلِ الحَرَامِ مُسْتَبْعَدَةٌ، حَتَّى وَإِنْ عَمِلَ مِنْ أَسْبَابِ الإِجَابَةِ مَا عَمِلَ، فَالنَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَ فِي الحَدِيثِ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، وَهَذِهِ أَسَبَابٌ تُعِينُ عَلَى الإجَابَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ قَالَ: «**فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ**»، هَذَا، وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ الإِجَابَةَ غَيْرُ مُسْتَحِيلَةٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي الحَدِيثِ أَرَادَ أَنْ يُنَفِّرَ مِنْ أَكْلِ الحَرَامِ.

ثانيا: كُلُّ أَسْمَاءِ الله حُسْنَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾[4]، وَمِنْ أَسْمَائِهِ: «الطَّيِّبُ»؛ لِقَوْلِهِ ﷺ فِي الحَدِيثَ: «**إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ**»، وَهَذَا يَشْمَلُ طِيبَ ذَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ.

ثالثا: بَابُ الصِّفَاتِ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ الأَسْمَاءِ، فَكُلُّ اسْمٍ مُتَضَمِّنٌ لِصِفَةٍ، وَأَفْعَالُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ لَا مُنْتَهى لَهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[5]، وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[6]، فَالْمُسْلِمُ

---

(١) المؤمنون: ٥١.

(٢) البقرة: ١٧٢.

(٣) أخرجه مسلم (١٠١٥)، والترمذي (٢٩٨٩).

(٤) الأعراف: ١٨٠.

(٥) الفجر: ٢٢.

(٦) البروج: ١٢.



يصف الله تَعَالَى بِهَذِهِ الصِّفَاتِ عَلَى الْوَجْهِ الْوَارِدِ وَلَا يُسَمِّيهِ بهَا، فَلا نَقُولُ: مِنْ أَسْمَائِهِ «البَاطِشُ»، وَإِنْ كُنَّا نُخْبِرُ بِذَلِكَ عَنْهُ سُبْحَانَهُ، وَنَصِفُهُ بِهِ، وَهُنَاكَ صِفَاتٌ يَذْكُرُهَا اللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ لا عَلَى وَجْهِ الإِطْلاقِ، وَلِكنْ عَلَى وَجْهِ المقَابَلَةِ فِي المعَامَلَةِ بِالْمِثْلِ، فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ فَاعِلَهَا قَادِرٌ عَلَى مُقَابَلَةِ عَدُوِّهِ بِمِثْلِ فِعْلِهِ أَوْ أَشَدَّ، كَمَا قَالَ تعَالَى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾(١).

رابعا: اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَفْعَلُ إِلَّا خَيْرًا، فَأَفْعَالُهُ وَأَحْكَامُهُ كُلُّهَا مُتَضَمِّنَةٌ لِمَصْلَحَةِ الْعِبَادِ فِي مَعَاشِهِم وَمَعَادِهِم، صَالَحِةٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَحَالٍ فهوَ ـ جلَّ وعلاَ ـ كَامِلٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ، غَنِيٌّ عَنْ خَلْقِهِ.

خامسا: المؤْمِنُ كُلُّهُ طَيِّبٌ: قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ وَجَسَدُهُ، وبِمَا سَكَنَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الإِيمَانِ، وَظَهَرَ عَلَى لِسَانِهِ مِنَ الذِّكْرِ، وَعَلَى جَوَارِحِهِ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي هِيَ ثَمَرَةُ الإِيمَانِ وَدَاخِلَةٌ فِي اسْمِهِ؛ وَلِذَلِكَ تَقُولُ الملائِكَةُ عِنْدَ المَوْتِ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الجَسَدِ الطَّيِّبِ، وَالملائِكَةُ تُسَلِّمُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ دُخُولِ الجنَّةِ فَتَقُولُ: طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ.

سادسا: الصَّدَقَةُ بِالمالِ الحَرَامِ تَقَعُ عَلَى وَجْهَيْنِ:

ـ أَحَدُهُمَا: أَنْ يَتَصَدَّقَ بِهِ الخَائِنُ أَوِ الْغَاصِبُ وَنَحْوُهُمَا عَنْ نَفْسِهِ، فَهَذَا المرَادُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ وَأَمْثَالِهِ أَنَّهُ لَا يُتَقَبَّلُ منْهُ فلاَ يُؤْجَرُ عَلَيْهِ، بَلْ يَأْثَمُ بِتَصُدُّقِهِ فِي مَالِ غَيْرِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، وَلَا يَحْصُلُ لِلْمَالِكِ بِذَلِكَ أَجْرٌ؛ لِعَدَمِ قَصْدِهِ وَنِيَّتِهِ.

ـ وَثَانِيهِمَا: أَنْ يَتَصَدَّقَ بِهِ عَنْ صَاحِبِهِ إِذَا عَجَزَ عَنْ رَدِّهِ إِلَيْهِ أَوْ إِلَى وَرَثَتِهِ، فَهَذَا جَائِزٌ عِنْدَ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ عَمَّنْ عِنْدَهُ مَالٌ حَرَامٌ لاَ يعرَفُ أَرْبَابَهُ وَيُرِيدُ الْخُرُوجَ مِنْهُ، قَالَ: يَتَصَدَّقُ بِهِ وَلا أَقُولُ: إِنَّ ذَلِكَ يُجْزِئُ عَنْهُ. قَالَ مَالِكٌ: كَانَ هَذَا الْقَوْلُ مِنْ عَطَاءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ وَزْنِهِ ذَهَبًا.

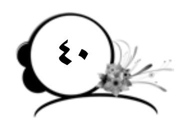
سابعا: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعَةً مِنْ أَسْبَابِ الإِجَابَةِ فِي هَذَا الحَدِيثِ:

١ ـ السَّفَرُ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ حَدِيثُ النَّبِيِّ ﷺ: «**ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ لا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ المَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ المسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ**»(٢).

---

(١) الأنفال: ٣٠.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٣٦)، وابن ماجه (٣٨٦٢)، والترمذي (١٩٠٥)، وحسنه أبو هريرة ﷺ.



٢ ـ التَّوَسُّلُ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ أَسْبَابِ الإِجَابَةِ، وَيَكُونُ التَّوَسُّلُ إِلَيْهِ بِرُبُوبِيَّتِهِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «**يَا رَبِّ، يَا رَبِّ**»، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الإِجَابَةِ؛ لِذَا نَجِدُ أَكْثَرَ الأَدْعِيَةِ المَوْجُودَةِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ مُصَدَّرَةً بـ «يَا رَبِّ»، ولـمَّا سَمِعَ أَحَدُ السَّلَفِ دَاعِيًا يَقُولُ: يَا سَيِّدِي، قَالَ لَهُ: لا تَقُلْ هَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ مَا قَالَتِ الرُّسُلُ: «يَا رَبِّ».

٣ ـ رَفْعُ الْيَدَيْنِ مِنْ أَسْبَابِ الدُّعَاءِ، وَفِي الحَدِيثِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»(١).

ـ وَرَفْعُ الْيَدَيْنِ مُسْتَحَبٌّ فِي الاسْتِسْقَاءِ وَالنَّوَازِلِ وَعَلَى الصَّفَا وَالمرْوَةِ وَفِي يَوْمِ عَرَفَةَ، أَمَّا فِي خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ فَلَمْ يَرِدْ فِيهِ نَصٌّ وَإِنَّمَا يُشِيرُ بِأُصْبُعِهِ.

ثامنا: قَالَ ابْنُ رَجَبٍ الحنْبَلِيُّ: قَوْلُهُ ﷺ: «**فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ**» مَعْنَاهُ كَيفَ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ فَهُوَ اسْتِفْهَامٌ وَقَعَ عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ وَالاسْتِبْعَادِ، وَلَيْسَ صَرِيحًا فِي اسْتِحَالَةِ الاسْتِجَابَةِ، وَمَنْعِهَا بِالْكُلِّيَّةِ، فَيُؤْخَذُ مِنْ هَذَا أَنَّ التَّوَسُّعَ فِي الحَرَامِ وَالتَّغَذِّيَ بِهِ مِنْ جُمْلَةِ مَوَانِعِ الإِجَابَةِ، وَقَدْ يُوجَدُ مَا يَمْنَعُ هَذَا المانِعَ مِنْ مَنْعِهِ.

مِنْ أَقْوَالِ السَّلَفِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالحَدِيثِ:

ـ قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ البَاجِيُّ الزَّاهِدُ: «خَمْسُ خِصَالٍ بِهَا تَمَامُ الْعَمَلِ: الإِيمَانُ بِمَعْرِفَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ومَعرِفةِ الحقِّ، وَإِخْلاصُ الْعَمَلِ للهِ، وَالْعَمَلُ عَلَى السُّنَّةِ، وَأَكْلُ الحَلالِ، فَإِنْ فُقِدَتْ وَاحِدَةٌ، لَمْ يَرْتَفِعِ الْعَمَلُ».

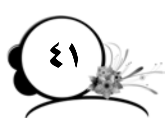
ـ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ: «يَكْفِي مِنَ الدُّعَاءِ مَعَ الْوَرَعِ الْيَسِيرُ».

ـ قِيلَ لِسُفْيَانَ: «لَوْ دَعَوْتَ اللهَ»، قَالَ: «إِنَّ تَرْكَ الذُّنُوبِ هُوَ الدُّعَاءُ».

ـ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «لا تَسْتَبْطِئِ الإِجَابَةَ، وَقَدْ سَدَدْتَ طُرُقَهَا بِالمعَاصِي».



(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٨)، وأبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وصححه الألباني.







روى الإمَامُ النَّوويُّ بِسَنَدِهِ إلى الإمَامِ التِّرْمِذِيِّ ـ رَحِمَهُ الله تَعَالَى ـ بِسَنَدِهِ إلى أَبِي الحَوْرَاءِ السَّعْدِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأنِينَةٌ، وإنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ**»(١).

❀ ❀ ❀

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: إذَا أَرَادَ المسْلِمُ الطُّمَأنِينَةَ وَالاسْتِرَاحَةَ، فَلْيَتْرُكِ المشْكُوكَ فِيهِ وَيطْرَحْهُ جَانِبًا، خَاصَّةً إِنْ كَانَ مَا يَرِيبُهُ شَيْءٌ فِي عِبَادَةٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهَا، وَمِثَالُ ذَلِكَ: رَجُلٌ صَلَّى ثُمَّ بَعْدَ الانْتِهَاءِ شَكَّ فِي هَلْ كَانَ مُتَوَضِّئًا أمْ لا؟ فَعَلَيْهِ إِذَنْ أَنْ يَتْرُكَ هَذَا الشَّكَّ وَلا يَلْتَفِتَ إِلَيْهِ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا تَيَقَّنَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى وُضُوءٍ. وَلْيَقِسْ عَلَى ذَلِكَ فِي الْعِبَادَاتِ.

ثانيا: الحَلالُ الْمَحْضُ لا يَحْصُلُ لِلْمُؤْمِنِ فِي قَلْبِهِ مِنْهُ رَيْبٌ، بَلْ تَسْكُنُ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَيَطْمَئِنُّ بِهِ الْقَلْبُ، وَأَمَّا الْمُشْتَبِهَاتُ وَالحَرَامُ وَالْكَذِبُ فَيَحْصُلُ بِهَا لِلْقَلْبِ الْقَلَقُ وَالاضْطِرَابُ الْمُوجِبُ لِلشَّكِّ.

ثالثا: يَقُولُ الْعُلَمَاءُ: الشكَّ إِذَا كَثُرَ، فلا عِبْرَةَ بِهِ؛ لأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَكُونُ وَسْوَاسًا، وَعَلَى المسْلِمِ أَنْ لا يَلْتَفِتَ إِلَيْهِ بَلْ يَطْرَحُهُ.

رابعا: الْخُرُوجُ مِنِ اخْتِلافِ الْعُلَمَاءِ أَفْضَلُ وَأَسْلَمُ؛ لأَنَّهُ أَبْعَدُ عَنِ الشُّبْهَةِ، إِلَّا مَا ثَبَتَ فِيهِ رُخْصَةٌ لَيْسَ لَهَا مُعَارِضٌ فاتِّبَاعُهَا أَوْلَى، وَإِنْ لَمْ تَبْلُغْ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ.

خامسا: إذَا تَعَارَضَ الشَّكُّ وَالْيَقِينُ، أُخِذَ بِالْيَقِينِ؛ إِذْ (الْيَقِينُ لا يَزُولُ بالشَّكِّ).

سادسا: يَجِبُ أَنْ تُبْنَى الأُمُورُ عَلَى الْيَقِينِ وَالاطْمِئْنَانِ، وَلا قِيمَةَ لِلشَّكِّ وَالتَّرَدُّدِ.

سابعا: مَنِ اعْتَادَ الشُّبُهَاتِ، فَقَدْ يَجْتَرِئُ عَلَى الْحَرَامِ.

ثامنا: إِنَّ الأُمَّةَ فِي كُلِّ عَصْرٍ بِحَاجَةٍ إِلَى الْقُدْوَةِ الصَّالِحَةِ وَالنَّمُوذَجِ الإسْلامِيِّ الْمُتَمَثِّلِ

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (٥٧١١)، والحديث صحيح. انظر: أنيس الساري (٢٠٦٤).

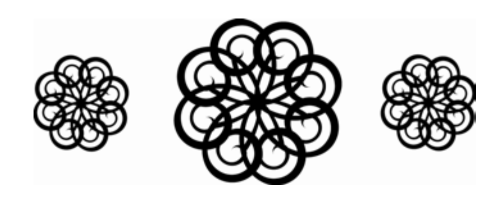


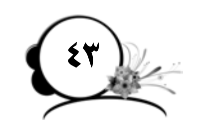
فِي الحَاكِمِ العَادِلِ وَالعَالِمِ الوَاقِفِ عِنْدَ حُدُودِ الحَلالِ الطَّيِّبِ الزَّاهِدِ فِي الحَرَامِ الخَبِيثِ، فَإِنْ لَمَ يَتَحَرَّجْ أَمْثَالُ هَؤُلاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ سَيخُوضُونَ وَيَرْتَعُونَ؛ لافْتِقَادِهِمُ الْمُرْشِدَ وَالنَّاصِحَ.

ـ قَالَ حَسَّانُ بْنُ أَبِى سِنَانٍ: «مَا شَيْءٌ أَهْوَنُ مِنَ الْوَرَعِ: إِذَا رَابَكَ شَيْءٌ فَدَعْهُ».

لطائف من حياة الراوي (الحَسَنُ بِن عَلِي):

خَطَبَ الحَسَنُ بِن عَلِي بِالكُوفَةَ، فَقَالَ: إِنَّ الحِلْمَ زِينَةٌ، وَالوَقَارَ مُرُوءَةٌ، وَالعَجَلَةَ سَفَهٌ، وَالسَّفَهَ ضَعفٌ، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الدَنَاءَةِ شَيْنٌ، وَمُخَالَطَةَ الفُسَّاقِ رِيبَةٌ.









روى الإِمَامُ النَّوَوِيُّ بِسَنَدِهِ إلى الإِمَامِ التِّرْمِذِيِّ - رَحِمَهُ الله تَعَالَى - بسنده إلى أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ**»(١).

❁ ❁ ❁

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: إنَّ الإِسْلامَ جَمَعَ المَحَاسِنَ كُلَّهَا، قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾(٢).

ثانيا: مِنْ صِفَاتِ المسْلِمِ: الاشْتِغَالُ بِمَعَالِي الأُمُورِ، وَالبُعْدُ عَنِ السَّفَاسِفِ وَمُحَقِّرَاتِ الشُّؤُونِ.

ثالثا: مِنْ كَمَالِ خُلُقِ المسْلِمِ: عَدَمُ اللَّغَطِ، وَالخَوْضِ فِي الْقِيلِ وَالْقَالِ.

رابعا: إِنَّ تَرْكَ مَا لَا يَعْنِي يُمَكِّنُنَا مِنْ رَاحَةٍ نَفْسِيَّةٍ تَامَّةٍ - بِحَيْثُ نَنَامُ وَنَحْنُ نَتَمَتَّعُ بِاطْمِئْنَانٍ تَام، وَنَأْكُلُ ونَشْرَبُ بانشراح وَحَيَوِيَّةٍ، فِي حِينِ أَنَّ الْفُضُولِيَّ المتَطَلِّعَ إِلَى مَا لَا يَعْنِيهِ يَعِيشُ فِي قَلَقٍ دَائِمٍ.

خامسا: أَكْثَرُ مَا يُقْصَدُ بِتَرْكِ مَا لَا يَعْنِي الإِنْسَانَ هُوَ حِفْظُ اللِّسَانِ مِنْ لَغوِ الْكَلامِ.

سادسا: الإسلامُ الحَسَنُ الْكَامِلُ هُوَ المعْتَبَرُ وَالمقْصُودُ، وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ سَبَبًا لِمُضَاعَفَةِ الثَّوَابِ وَتَكْفِيرِ الذُّنُوبِ وَالخَطَايَا، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَحسَنَ أَحَدُكُمْ إِسلامَهُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكتَبُ بِمِثْلِهَا، حَتَّى يَلْقَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ**»(٣).

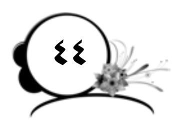
- رُوِيَ عَنِ الحَسَنِ الْبَصْرِيِّ - رَحِمَهُ الله - أَنَّهُ قَالَ: «مِنْ عَلامَةِ إِعْرَاضِ الله عَنِ الْعَبْدِ، أَنْ يَجْعَلَ شُغْلَهُ فِيمَا لا يَعْنِيهِ». وَذَكَرَ مَالِكٌ فِي «الموَطَّأ»: «قِيلَ لِلُقْمَانَ: ما بلغَ بكَ ما

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٧): وقال: «حسن غريب»، انظر: أنيس الساري (٣٤٧٢).

(٢) النحل: ٩٠.

(٣) أخرجه البخاري (٤٢)، ومسلم (١٢٩).

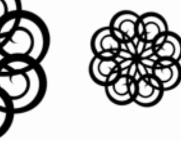


نَرَى؟ ـ يُرِيدُونَ مِنَ الْفَضْلِ ـ فَقَالَ لُقْمَانُ: صِدْقُ الحَدِيثِ، وَأَدَاءُ الأَمَانَةِ، وَتَرْكُ ما لَا يَعْنِينِي».

لطائف من حياة رجال السند:

عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي (يِجْلِسُ بَعْدَ الفَجْر):

قَالَ الوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ: رَأَيْتُ الأَوْزَاعِي يَثْبُتَ فِي مُصَلاهُ، يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسَ، ويَخْبِرْنا عنَ السلَفَ: أَنَّ ذَلِكَ كَانَ هَدْيَهُمْ، فَإِذَا طَلَعَتْ الشَّمْسُ، قَامَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ، فَأَفَاضُوا فِي ذِكْرِ اللهِ، وَالتَفَقُّهَ فِي دِينِهِ.





روى الإمَـامُ النَّـوَويُّ بِـسَنَدِهِ إلى الإمَـامِ الْبُخَارِيِّ- رَحِمَهُ الله تَعَالَى- بسنده عَـنْ أَنَـسٍ- رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَـدُكُمْ حَتَّـى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[1].

۞ ۞ ۞

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: المُجْتَمَعُ الْفَاضِلُ هُوَ الَّذِي تَسْرِي المحَبَّةُ بَيْنَ أَفْرَادِهِ، وَيَنْتَشِرُ بَيْنَهُمُ الخَيْرُ، وَهُوَ المُجْتَمَعُ الَّذِي يُعْطِي الصُّورَةَ الحَقِيقِيَّةَ لِلْمُسْلِمِينَ الْوَارِدَةَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**مَثَلُ المؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**»[2].

ثانيا: إِذَا انْتَفَى حُبُّ الخَيْرِ لِلْمُؤْمِنِ فِي نَفْسٍ كَانَ صَاحِبُهَا حَسُودًا يَتَمَنَّى زَوَالَ النِّعْمَةِ عَنْ غَيْرِهِ وَحُصُولَهَا لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ ارْتِفَاعَ غَيْرِهِ عَلَيْهِ فِي الحَظِّ وَالمنْزِلَةِ.

ثالثا: عَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يُعَالِجَ نَفسَهُ وَيَحْمِلَهَا عَلَى الرِّضَا بِالْقَضَاءِ، وَالْفَرَحِ بِمَا يَنَالُهُ النَّاسُ مِنَ الخَيْرِ.

رابعا: الدُّعَاءُ لِلْكَافِرِ بِالْهِدَايَةِ مُسْتَحَبٌّ؛ لأَنَّهُ مِنْ حُبِّ الخَيْرِ لِلنَّاسِ جَمِيعًا.

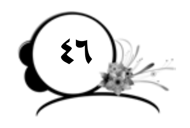
خامسا: دَلِيلُ كَمَالِ الإِيمَانِ: أَنْ يَسُوءَهُ مَا يَسُوءُ أَخَاهُ، وَيَسُرَّهُ مَا يَسُرُّ أَخَاهُ، وَهَذَا دَلِيلُ سَلامَةِ الصَّدْرِ مِنَ الْغِشِّ وَالغِلِّ وَالحَسَدِ.

سادسا: المُرَادُ بِنَفْيِ الإِيمَانِ نَفْيُ بُلُوغِ حَقِيقَتِهِ وَنِهَايَتِهِوقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مُرْتَكِبِ الْكَبَائِرِ: هَل يُسَمَّى مُؤْمِنًا نَاقِصَ الإِيمَانِ، أَمْ لا يُسَمَّى مُؤْمِنًا وَإِنَّمَا يُقَالُ: هُوَ مُسْلِمٌ وَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، وَهُمَا رِوَايَتَانِ عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ. فأَمَّا مَنِ ارْتَكَبَ الصَّغَائِرَ، فَلا يَزُولُ عَنْهُ اسْمُ الإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ، بَلْ هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، يَنْقُصُ مِنْ إيمانه بِحَسَبِ مَا ارتكَبَ مِنْ ذَلِكَ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢) واللفظ له، ومسلم (٦٤) بلفظ «لجاره»، والترمذي (٢٥١٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٦)، وأحمد (٤/ ٢٧٠).



سابعاً: ينبغي للمؤمنِ أن لا يزالَ يرى نفسَهُ مقصرًا عن الدرجاتِ العاليةِ فيستفيدَ بذلكَ أمرينِ نفيسينِ: الاجتهادَ في طلبِ الفضائلِ والازديادِ منها، والنظرَ إلى نفسِه بعينِ النقصِ، وينشأُ مِنْ هذا أنْ يحبَّ للمؤمنينَ أنْ يكونوا خيرًا منهُ، لأنهُ لا يرضى لهمْ أنْ يكونوا على مثلِ حالهِ، كما أنَّه لا يرضى لنفسهِ بما هيَ عليهِ، بل يجتهدُ في إصلاحِهَا، وقدْ قالَ محمدُ بنُ واسعٍ لابنهِ: أمَّا أبوكَ فلا كثَّرَ اللهُ في المسلمينَ مثلهُ.

من أقوال السلف فيما يتعلقُ بمعنى الحديث:

ـ قال ابن عباس –رضي الله عنهما: «إنِّي لأمُرُّ على الآية منْ كتابِ الله فأودُّ أنَّ الناسَ كلَّهُم يعلمونَ منها ما أعلمُ».

– وقال الشافعيُّ: «وَددْتُ أن الناسَّ تعلَّمُوا هذا العلمَ، ولم يُنْسَبْ إليَّ منهُ شيءٌ».

لطائف من حياة الراوي (أنس بن مالك –ﷺ–):

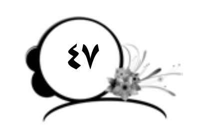
(رُؤْيَةُ الحَبِيبِ):

قَالَ المُثَنَّى بْنُ سَعِيد: سَمِعْتُ أَنَسَاً يَقُولُ: «مَا مِنْ لَيْلَةٍ إِلاَّ وَأَنَا أَرَى فِيهَا حَبِيبِي». ثُمَّ يَبْكِي.

(قَالُوا عَنْ صَلاتِهُ):

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه–: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ صَلاةً بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ ابْنِ أُمِّ سُلَيم، يَعْنِي: أَنَسَ بْنَ مَالكٍ.









روى الإِمَامُ النَّوَويُّ بِسَنَدِهِ إلى الإمَامِ الْبُخَارِيِّ - رَحِمَهُ الله تَعَالَى - بسنده عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله إِلَّا بِإِحْدَى ثلاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمارِقُ مِنَ الدِّينِ، التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ**»[1].

۞ ۞ ۞

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: هَذَا الحَدِيثُ بَيَانٌ إِسْلامِيٌّ عَظِيمٌ، وَقَاعِدَةٌ تَشْرِيعِيَّةٌ مُحْكَمَةٌ فِي صِيَانَةِ حَيَاةِ الْفَرْدِ وَالمُجْتَمَعِ، وَالَّتِي تُؤَدِّي بِطَبِيعَةِ الحَالِ إِلَى تَحْقِيقِ الأَمْنِ فِي المُجْتَمَعِ، طَالَمَا كَانَ الإِنْسَانُ مُسْلِمًا سَوِيًّا لَا يَضُرُّ غَيْرَهُ أَوْ يُسِيءُ إِلَى نَفْسِهِ، أَمَّا إِذَا أَصْبَحَ ضَرَرًا عَلَى غَيْرِهِ، وَأَتَى مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُفْسِدُ دِينَهُ وَتَضُرُّ بِحَيَاةِ الجمَاعَةِ فِي دِينِهَا وَأَخْلاقِهَا وَأَعْرَاضِهَا، فَهَذَا يُوجِبُ صِيغَةً أُخْرَى مِنَ التَّعَامُلِ، قَدْ يَكُونُ اسْتِحْلالُ دَمِهِ فِيهَا هُوَ السَّبِيلُ لأَمْنِ الْبِلادِ وَالعِبَادِ.

ثانيا: إِقَامَةُ الْحُدُودِ مَسْؤُولِيَّةُ الحَاكِمِ، فَلَيْسَ لِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يُقِيمَ الحَدَّ إِلَّا الإِمَامُ أَوْ مَنْ يَنُوبُ عَنْهُ، وَلَوْ قُلْنَا لِكُلِ إِنْسَانٍ أَنْ يَقْتُلَ هَذَا الزَّانِيَ؛ لأَنَّ دَمَهُ هَدرٌ، لَحَصَلَ مِنَ الْفَوْضَى وَالشَّرِّ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ.

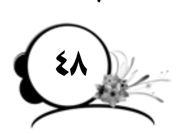
ثالثا: فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**وَالمارِقُ مِنَ الدِّينِ، التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ**»، الْخُلاصَةُ فيه: أَنَّ المُرْتَدَّ عَنْ دِينِهِ يُقْتَلُ، وَلكِنْ هَلْ يُسْتَتَابُ أَوْ لا؟ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ قَالَ يُسْتَتَابُ ثَلاثًا، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لا يُسْتَتَابُ، وَالصَّحِيحُ: أَنَّ الأَمْرَ يَرْجِعُ لاجْتِهَادِ الحَاكِمِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ.

رابعا: اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي قَتْلِ المرْأَةِ إِذَا ارْتَدَّتْ، فَذَهَبَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّهَا تُقْتَلُ كَالرَّجُلِ؛ لِعُمُومِ الأَدِلَّةِ، وَقَالَ الحَنَفِيَّةُ: لَا تُقْتَلُ وَإِنَّمَا تُحْبَسُ حَتَّى تُسْلِمَ أَوْ تَمُوتَ فِي الحَبْسِ.

خامسا: أَجْمَعَ المسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ حَدَّ الثَّيِّبِ الزَّانِي الرَّجْمُ حَتَّى يَمُوتَ، وَقَدْ رَجَمَ النَّبِيُّ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٧٠) واللفظ له، ومسلم (٣١٧٥) بلفظ مختلف، والترمذي (١٤٠٢)، وأبو داود (٤٣٥٢).



ﷺ مَاعزًا وَالْغَامِدِيَّةَ، وَكَانَ فِي الْقُرْآنِ الَّذِي نُسِخ لَفْظُهُ، وَثَبُتَ حُكْمَهُ: «وَالشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ الله واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

وقد استنبطَ ابنُ عباس الرجمَ منَ القرآنِ مِنْ قولهَ تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ ﴾[1].

قال: فمَنْ كفرَ بالرجمِ، فقدْ كفرَ بالقرآنِ منْ حيثُ لا يحتسبُ، ثمَّ تلا هذهِ الآيةَ وقالَ: كانَ الرجَمُ مما أخفوا.

سادساً: وتركُ الدينِ، ومفارقةُ الجماعةِ، معناهُ: الارتدادُ عنْ دينِ المسلمينَ ولو أتى بالشهادتينِ، فَلَوْ سَبَّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ وهو مُقِرٌّ بالشهادتينِ، أُبِيحَ دمُهُ؛ لأنهُ قدْ تَرَكَ بِذَلكَ دِينَهُ.

سابعاً: وكذلكَ لو استهانَ بالمُصْحَفِ، وألقاهُ في القاذوراتِ، أو جَحَدَ مَا يُعْلَمُ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ كَالصَّلاةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلكَ مِمَّا يُخْرِجُ مِنَ الدِّينِ.

لطائف من حياة الراوي (ابن مسعود رضي الله عنه):

من أقواله: (هُمَا ضُرَّتَانِ):

قالَ -رضي الله عنه-: مَنْ أَرَادَ الآَخِرَةَ أَضَرَّ بِالدُّنْيَا، وَمَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا أَضَرَّ بِالآخِرَةِ، يَا قَوْم فَأَضِرُّوا بِالفَانِي لِلبَاقِي.



(١) المائدة: ١٥.





الحديث الخامس عشر

روى الإمَامُ النَّوويُّ بِسَنَدِهِ إلى الإمَامِ الْبُخَارِيِّ -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(١).

❀ ❀ ❀

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: هَذَا الحدِيثُ اشْتَمَل عَلَى ثَلاثِ خِصَالٍ تَجْمَعُ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ، وَهِيَ الصمْتُ إلا عَنِ الحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَإِكْرَامُ الضَّيْفِ، وَإِكْرَامُ الجارِ، فَهَذِهِ الثَّلاثَةُ جُعِلَتْ مِنْ ظَوَاهِرِ الإِيمَانِ بِالله تَعَالَى.

ثانيا: الخَيْرُ المَعْنِيُّ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**فَلْيَقُلْ خَيْرًا**» نَوْعَانِ: خَيرٌ فِي المقَالِ ذَاتِهِ، وَخَيْرٌ فِي المُرَادِ بِهَذَا المَقَالِ. فَالخَيْرُ فِي المقَالِ كَالتَّسْبِيحِ، وَالتَّحْمِيدِ، وَالتَّهْلِيلِ، فَهَذِهِ صِيغٌ فِي ذَاتِهَا خَيْرٌ، أَمَّا الخَيْرُ لِغَيْرِهِ فَقَدْ يَكُونُ قَوْلًا عَادِيًّا لا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذَاتِهِ ثَوَابٌ، وَلَكِن يُقْصَدُ مِنْهُ حُصُولُ الأُلْفَةِ وَإِزَالَةُ الْوَحْشَةِ بَيْنَ الْمُتَجَالِسِينَ، فَيَكُونُ مِنَ الخَيْرِ.

ثالثا: لَيْسَ المقْصُودُ مِنْ «جَارَهُ» الجَارُ فِي المنْزِلِ فَقَطْ، بَلْ يَشْمَلُ كَذَلِكَ الجارَ فِي المتْجَرِ وَالْعَمَلِ وَغْيرِهِمَا، وَكُلَّمَا قَرُبَ الجَارُ، عَظُمَ حَقُّهُ.

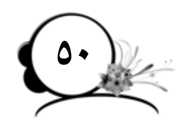
رابعا: إِكْرَامُ الضَّيْفِ وَاجِبٌ لكِن تَطْبِيقُ هَذَا الْوَاجِبِ يُرْجَعُ فِيهِ إِلَى مَا تَعَارَفَ عَلَيْهِ النَّاسُ فِي بِلادِهِم وَمُجْتَمَعَاتِهِم، وأَقَلُّ هَذَا الإِكْرَامِ بَشَاشَةُ الْوَجْهِ وَطِيبُ الحَدِيثِ مَعَهُ.

خامسا: اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ - رَحِمَهُمُ الله - فِي الضِّيَافَةِ عَلَى مَنْ تَجِبُ: هَلْ عَلَى سُكَّانِ الحَاضِرَةِ وَالبَادِيَةِ؟ أَمْ عَلَى أَهْلِ الْبَوَادِي فَحَسْبُ؟ فَذَهَبَ الإمام الشافعى إِلَى أَنَّهَا عَلَى الحَاضِرِ وَالْبَادِي. وَذَهَبَ مَالِكٌ إِلَى أَنَّهَا عَلَى أَهْلِ الْبَوَادِي؛ لأَنَّ الْمُسَافِرَ يَجِدُ فِي الحَاضِرَةِ المنَازِلَ وَالْفَنَادِقَ وَمَوَاضِعَ النُّزُولِ وَمَا يُشْتَرَى مِنَ الأَسْوَاقِ.

سادسا: اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي: هَلْ يُكْتَبُ عَلَى الإِنْسَانِ كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ، أَوْ لا يُكْتَبُ إِلَّا مَا

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٥٩) واللفظ له، ومسلم (٦٧).



فِيهِ ثَوَابٌ أَوْ عِقَابٌ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ مَشْهُورَيْنِ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنه- قَالَ: يُكْتَبُ كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، حَتَّى إِنَّهُ لَيُكْتَبُ قَوْلُهُ: أَكَلْتُ وَشَرِبْتُ وَذَهَبْتُ وَجِئْتُ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الخَمِيسِ عُرِضَ قَوْلُهُ وَعَمَلُهُ، فأُقِرَّ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ أو شَرٍّ، وَأُلْقِيَ سَائِرُهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾(١).

سابعا: الكَفُّ عَنِ المَعَاصِي أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِ الطَّاعَات، فَعَلَى المَرْءِ أَنْ يَحْرِصَ عِنْدَ الْكَلامِ عَلَى مَا فِيهِ نَفْعٌ، وَلا يَتَكَلَّمَ إِلَّا عِنْدَمَا تَدْعُو الحَاجَةُ، وَألا يُكْثِرَ مِنَ الكَلَامِ المُبَاحِ.

ـ قَالَ بعَضُ السَّلَفِ: يُعْرَضُ عَلَى ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاعَاتُ عُمُرِهِ، فَكُلُّ سَاعَةٍ لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهَا تَتَقَطَّعُ نَفْسُهُ عَلَيْهَا حَسَراتٍ.

ـ وَقَالَ الحَسَنُ: «لَيْسَ حُسْنُ الْجِوَارِ كَفَّ الأَذَى، وَلَكِنِ احْتِمَالُ الأَذَى».

ـ ونُقِلَ عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيِّ قَوْلُهُ: «السُّكُوتُ فِي وَقْتِهِ صِفَةُ الرِّجَالِ، كَمَا أَنَّ النُّطْقَ فِي مَوْضُوعِهِ مِنْ أَشْرَفِ الْخِصَالِ».

من أقوالِ السلف فيما يتعلقُ بمعنى الْحَديث:

* قال مجاهدٌ: «ما جلسَ قومٌ مجلسًا، فتفرقوا قبلَ أن يذكروا اللهَ، إلا تفرقوا عنْ أنتنِ من ريحِ الجيفةِ، وكانَ مجلِسُهُم يشهدُ عليهم بغفلتِهم، وما جلسَ قومٌ مجلسًا فذكروا اللهَ قبلَ أن يتفرقوا إلا تفرقوا عنْ أطيبَ منْ ريحِ المسكِ، وكانَ مجلسُهُم يشهدُ لهُم بذكرِهِم».

* وقالَ شُميطُ بنُ عجلانَ: «يا ابنَ آدمَ، إنكَ ما سكتَّ فأنتَ سالمٌ، فإذا تكلمتَ فخذْ حذْركَ، إما لكَ، وإما عليكَ».

* قالَ ابنُ مسعودٍ: «إيَّاكُمْ وَفُضُولَ الْكَلامِ، حَسْبُ امْرِئٍ ما بلَّغَ حاجتَهُ».

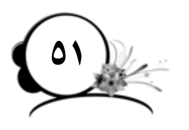
* قالَ عمرُ -رضي الله عنه-: «مَنْ كَثُرَ كلامهُ، كَثرَ سَقَطَهُ، ومنْ كَثرَ سَقَطُهُ كثرتْ ذنوبهُ، ومن كثرتْ ذنوبُهُ، كانتِ النَّارُ أَوْلَى بهِ».

* قالَ الفضيلُ بن عياضٍ: «ما حجٌّ ولا رباطٌ ولا جهادٌ أشدُّ من حبسِ اللسانِ، ولو أصبحتَ يهمُّكَ لسانكَ، أصبحتَ في هَمٍّ شديدٍ».

* قالَ الأحنفُ: النُّطقُ أفضلُ منَ الصَّمْتِ؛ لأنَّ فضلَ الصَّمْتِ لا يعدو صاحبهُ، والمنطقُ الْحَسَنُ ينتفعُ بهِ منْ سَمِعَهُ».

---

(١) الرعد: ٣٩.





الحديث السادس عشر

روى الإمَامُ النَّوويُّ بِسَنَدِهِ إلى الإمَامُ الْبُخَارِيُّ- رَحِمَهُ الله تَعَالَى- بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّ رجلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: «**لا تَغْضَبْ**»، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**»(١).

❀ ❀ ❀

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: الظَّاهِرُ أَنَّ المقْصُودَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**لَا تَغْضَبْ**»، لَيْسَ نَهْيًا عَنِ الْغَضَبِ الَّذِي هُوَ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ فِي الإنْسَانِ، لَكِنْ نَهْيٌ عَنْ مَا يَقْتَضِيهِ الْغَضَبُ، وَهَذَا قَدْ بَيَّنَهُ حَديثُ الصُّرْعَة حِينَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا تَعُدُّونَ الصُّرْعَةَ فِيكُمْ؟**»... ثُمَّ أَجَابَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ «... **الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**»(٢).

ثانيا: قَوْلُهُ ﷺ لِمَنِ اسْتَوْصَاهُ: «**لَا تَغْضَبْ**» يَحْتَمِلُ أَمْرَيْنِ:

- أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ الأَمْرَ بِالأَسْبَابِ الَّتِي تُوجِبُ حُسْنَ الْخُلُقِ مِنَ الْكَرَمِ وَالْحِلْمِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الأَخْلاقِ الجمِيلَةِ فالتَخَلُّقُ بِهَا يُوْجِبُ دَفْعَ الْغَضَبِ عِنْدَ حُصُولِ أَسْبَابِهِ.

- وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ المُرَادُ: لَا تَعْمَلْ بِمُقْتَضَى الْغَضَبِ إِذَا حَصَلَ لَكَ، بَلْ جَاهِدْ نَفْسَكَ عَلَى تَرْكِ تَنْفِيذِهِ وَالْعَمَلِ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ. فَإِذَا جَاهَدَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ انْدَفَعَ عَنْهُ شَرُّ الْغَضَبِ.

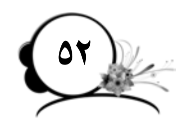
ثالثا: مِنَ الْقَوَاعِدِ المُهِمَّةِ: أَنَّ المُخَاطَبَ يُخَاطَبُ بِمَا يَقْتَضِيهِ حَالُهُ، فَقَدْ يَسْأَلُ زَيْدٌ الْوَصِيَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: «لَا تَغْضَبْ»، وقَدْ يَسْأَلُ عُمَرُ الْوَصِيَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: «أَحْسِنْ عِشْرَةَ أَهْلِكَ»، وَهَذَا المفْهُومُ عَلَّمَنَا إِيَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَكَانَ يُجِيبُ كُلَّ إِنْسَانٍ بِمَا يَنْفَعُهُ وَيُصْلِحُهُ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى مُعَايَشَةِ النَّاسِ وَالدِّرَايَةِ بِأَحْوَالِهِمْ وَمَا يَنْفَعُهُمْ.

رابعا: الْوَاجِبُ عَلَى المُؤْمِنِ أَنْ تَكُونَ شَهْوَتُهُ مَقْصُورَةً عَلَى طَلَبِ مَا أَبَاحَهُ اللهُ لَهُ، وَأَنْ يَكُونَ غَضَبُهُ دَفْعًا لِلأَذَى فِي الدِّينِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٥)، والترمذي (٢٠٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).



خامسا: قَدْ يُجَابُ دُعَاءُ الْغَضْبَانِ إِذَا صَادَفَ سَاعَةَ إِجَابَةٍ، فَلْيَتَجَنَّبِ الدُّعَاءَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ فِي حَالِ الْغَضَبِ.

سادسا: لِلْغَضَبِ أَضْرَارٌ وَآثَارٌ سَيِّئَةٌ:

١- فِي النَّفْسِ وَالْجِسْمِ؛ إِذْ يَتَغَيَّرُ اللَّوْنُ وتنْتَابُهُ رِعْدَةٌ وَانْتِفَاخٌ وَاضْطِرَابٌ فضلًا عَنْ فُحْشِ الْقَوْلِ والتلفُّظ بكلام مُحَرَّم.

٢- وَأضرارٌ فِي المجْتَمَعِ: إِذْ يُوَلِّدُ الْحِقْدَ فِي الْقُلُوبِ وَإِثَارَةَ الْعَدَاوةِ وَالْبَغْضَاءِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ الغضب: الْكِبْرُ، وَالتَّعَالِي، وَالْهُزْءُ وَالسُّخرِيَةُ، وَكَثْرَةُ المِزَاحِ، وَالجَدَلُ، وَالمسْلِمُ مَطْلُوبٌ مِنْهُ أن يتخلَّصَ من هذه الأخلاق الذَّمِيمَةِ.

سابعا: أَنْوَاعُ الْغَضَبِ:

١- الْغَضَبُ المذْمُومُ: مَا كَانَ انْتِقَامًا لِلنَّفْسِ.

٢- الْغَضَبُ المحْمُودُ: مَا كَانَ بِسَبَبِ التَّعَدِّي عَلَى حُرُمَاتِ الدِّينِ أَوْ فِيهِ النَّيْلُ مِنْ نَفْسِ مُسْلِمٍ أَوْ عِرْضِهِ أَوْ مَالِهِ.

ثامنا: السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ تَصِفُ الدَّاءَ وتُعَيِّنُ الدَّوَاءَ، وَأَدْوَاءُ الْغَضَبِ كَثِيرَةٌ، كَمَا وَرَدَتْ فِي الأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيحَةِ، مِنْهَا الْقَوْلِيُّ وَالْفِعْلِيُّ.

١- فالْقَوْلِيُّ: مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ لِرَجُلٍ غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا: «**إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ** -يَعْنِي: الْغَضَبَ- **لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»(١).

٢- وَمِنَ الدَّوَاءِ الْفِعْلِيِّ: أَنَّ الْغَاضِبَ إِنْ كَانَ وَاقِفًا، فَلْيَجْلِسْ، وَإِنْ كَانَ جَالِسًا فَلْيَتَّكِئْ أَوْ يَتَوَضَّأْ، فَالْغَضَبُ مِنَ الشَّيْطَانِ وإنما خُلِقَ الشَّيْطَانُ مِنَ النَّارِ، وَالْماء فِي الْوُضُوءِ يُطْفِئُ هَذِهِ النَّارَ.

تاسعا: عِنْدَ النَّظَرِ إِلَى الشَّرِيعَةِ الإسْلامِيَّةِ السَّمْحَةِ نَجِدُهَا لَا تَحْظُرُ الْغَرَائِزَ، وَلَا تَعْمَلُ عَلَى كَبْتِهَا وَتَجَاهُلِهَا، بَلْ تَسْعَى دَوْمًا إِلَى تَهْذِيبِهَا وَتَصْرِيفِهَا فِي مَصَارِفِهَا المعْقُولَةِ.

١- فَهِيَ غريزة الْجِنْسِ مثلًا فِي الإِنْسَانِ، قَدْ نَظَّمَهَا الإسْلامُ وَبَيَّنَ مَصَارِفَهَا.

٢- وَالْغَضَبُ هُوَ الآخَرُ فِيهِ المحْمُودُ أَيْضًا إِنْ كَانَ لله حِينَما تُنْتَهَكُ حُدُودُ الله، قَالَ

(١) أخرجه البخاري (٦١١٥)، ومسلم (٢٦١٠).



تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ ﴾[1]، وَمِنْ قَبِيلِهِ غَضَبُ سَيِّدِ الخلق - عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ. سُئِلَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ -رضي الله عنها - عَنْ خُلُقِهِ، فَقَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ يَرْضَى لِرِضَاهُ، وَيَسْخَطُ لِسَخَطِهِ[2].

وقَدْ دَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ -رضي الله عنها - فرَأَى سِتْرًا فِيهِ تَصَاوِيرُ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ وَهَتَكَهُ، وَقَالَ: «**إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ**»[3].

ـ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ: «إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُؤَاخِي أَخًا، فَأَغْضِبْهُ، فَإِنْ أَنْصَفَكَ وَهُوَ مُغْضَبٌ، وَإِلَّا فَاحْذَرْهُ».

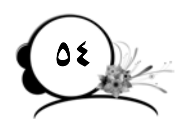
ـ وَقَالَ الحَسَنُ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ عَصَمَهُ الله مِنَ الشَّيْطَانِ وَحَرَّمَهُ عَلَى النَّارِ: مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ».



(١) الأعراف: ١٥٤.

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٣٠٩، ٣١٠) عن أبي الدرداء ﷺ، وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٨/ ٢٤٣) لابن المنذر وابن مردويه.

(٣) أخرجه البخاري (٦١٠٩).







روى الإمَامُ النَّوَويُّ بِسَنَدِهِ إلى الإِمَامِ مُسْلِمٍ- رَحِمَهُ الله تَعَالَى- بسندهِ إلى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**»(١).

❁ ❁ ❁

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: الإِحْسَانُ فِي الْفِعْلِ يَكُونُ بِإِيقَاعِهِ عَلَى مُقْتَضَى الشَّرْعِ. وَالْفِعْلُ:

١إما أَن يَتعَلَقَ بِمَعَاشِ الإنْسَانِ وَسِيَاسَتِهِ فِي أَهْلِهِ وَإِخْوَانِهِ.

٢أو يَتعَلَقَ بِمعَادِهِ ويدخُل فيه عَمَلُ الْقَلْبِ أَوْ عَمَلُ الجَوَارِحِ.

ثانيا: حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الإِحْسَانِ،وضَرَبَ لِذلِكَ مَثلاً، فِيمَا لا يُمْكِنُ أَنْ يَتَصَوَّرَ أَحَدٌ أَنْ يَكُونَ مَحَلَّ إِحْسَانٍ، وَهُوَ الذَّبْحُ أَوِ الْقَتْلُ، وَمَا هَذَا إلا لِيُؤَكِّدَ ﷺ عَلَى ضَرُورَةِ الإِحْسَانِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى فِي الذَّبْحِ أَوِ الْقَتْلِ. فَالْقَاتِلُ أَوِ الذَّابِحُ لَا يُبَالِي إِلَّا بِالْقَضَاءِ عَلَى فَرِيسَتِهِ، وَمَعَ هَذَا فَهُوَ مَأْمُورٌ بِأَنْ يُحْسِنَ الذَّبْحَ؛ لأَنَّ الإِحْسَانَ مَكْتُوبٌ عَلَى الإِنْسَانِ.

ثالثا: شُرُوطُ الذَّبِيحَةِ عَلَى الْوَجْهِ الإِسْلامِيِّ المشروع لابُدَّ لَهَا مِنْ تَوَافُرِ عِدَّةِ أُمُورٍ، هِيَ:

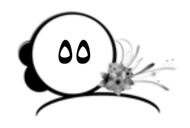
أ ـ أَهْلِيَّةُ الذَّابِحِ: بِأَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا أَوْ كِتَابِيًّا.

ب – أَنْ تَكُونَ الآلَةُ مِمَّا يُبَاحُ الذَّبْحُ بِهَا: وَهِيَ مَا أَنْهَرَ الدَّمَ، وَيُسْتَثْنَى مِنْ ذَلِكَ: السِّنُّ، وَالظُّفْرُ فلا يَجُوزُ اسْتِخْدَامُهمَا.

جـ ـ إِسَالَةُ الدَّمِ بِقَطْعِ الْوَدَجَيْنِ، وَهُمَا الْعِرقَانِ الْغَلِيظَانِ المحيطَانِ بِالْحُلْقُوم، وَإِذَا فَرَّ الثَّوْرُ وَتَعَذَّر ذَبْحُهُ، فَيُمْكِنُ رَمْيُهُ بِالرَّصَاصِ مَعَ التَّسْمِيَةِ، وَأَكْلُهُ حَلالٌ؛ لأَنَّهُ غَيْرُ مَقْدُورٍ عَلَى ذَبْحِهِ.

د ـ ذِكْرُ اسْمِ الله عِنْدَ الذَّبْحِ، وَهَذَا الشَّرطُ لا يَسْقُطُ بِالسَّهْوِ وَلَا النِّسْيَانِ، وَلَكِنْ يَرْفَعُ

(١) أخرجه مسلم (١٩٥٥)، وأبو داود (٢٨١٥)، والنسائي (٤٤٠٥).



الإثمَ عَنْ ذَابِحِ الذَّبِيحَةِ، وَمَعَ الجهْلِ بِالنِّسْبةِ لِلآكِلِ يَأْكُلُ عِنْدَ عَدْمِ مَعْرِفَتِهِ بِأَنْ سَمَّى أَوْ لَمْ يُسَمِّ عَلَيْهَا.

رابعا: مِنْ صُورِ الإحْسَانِ فِي الْغَزْوِ وَالْجِهَادِ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً تَغْزُو فِي سَبِيلِ الله قَالَ لَهُمْ: «**لا تُمَثِّلوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا**»[1]، كَمَا أَنَّهُ قَدْ نَهَى عَنِ الحَرْقِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «**لا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ الله**»[2].

خامسا: ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنْ صَبْرِ الْبَهَائِمِ[3]، أَيْ: جَعْلِهَا غَرَضًا يُرْمَى، أَوْ حَبْسِهَا حَتَّى تَمُوتَ.

سادسا: مَنْ يَرْحَمِ الحَيَوَانَ وَلَا يُعَذِّبُهُ يَرْحَمْهُ اللهُ تَعَالَى، فَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رجَلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي لأَذْبَحُ الشَّاةَ وأَنَا أَرْحَمُهَا. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللهُ**»[4].

ـ وقالَ مطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ الله: «إِنَّ اللهَ لَيَرْحَمُ بِرَحْمَةِ الْعُصْفُورِ».

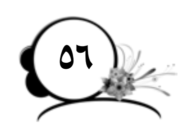


(١) أخرجه مسلم (١٧٣١)، وأبو داود (٢٦١٣)، والترمذي (١٤٠٨، ١٦١٧)، وابن ماجه (٢٨٥٨)، وأحمد (٥/ ٣٥٨) عن بريدة ﵁.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠١٧)، وأبو داود (٤٣٥١)، والترمذي (١٤٥٨)، والنسائي (٤٠٦٠)، وأحمد (١/ ٢١٧) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

(٣) أخرجه البخاري (٥٥١٣)، ومسلم (١٩٥٦) عن أنس ﵁.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٧٣)، وأحمد (٣/ ٤٣٦، ٥/ ٣٤)، والحاكم (٤/ ٢٣١)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٦٤).







روى الإمَامُ النَّوَويُّ بِسَنَدِهِ إلى الإمَامِ التِّرْمِذِيِّ- رَحِمَهُ الله تَعَالَى- عَنْ مَيْمُونِ ابْنِ أَبِي شَبِيبٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: **«اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»**(١).

❁ ❁ ❁

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولًا: قَوْلُهُ ﷺ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ**» وَصِيَّةٌ عَظِيمَةٌ جَامِعَةٌ لِحُقُوقِ الله وَحُقُوقِ الْعِبَادِ، وَالتَّقْوَى هِيَ وَصِيَّةُ الله لِلأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾(٢). وَتَقْوَى الْعَبْدِ لِرَبِّهِ: هُوَ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَخْشَاهُ مِنْ رَبِّهِ، مِنْ غَضَبِه وَسَخَطِهِ وَعِقَابِهِ وِقَايَةً تَقِيهِ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ فِعْلُ طَاعَتِهِ وَاجْتِنَابُ مَعَاصِيهِ.

ثانيًا: يَدْخُلُ فِي التَّقْوَى الْكَامِلَةِ فِعْلُ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكُ المُحَرَّمَاتِ وَالشُّبُهَاتِ، وَرُبَّمَا دَخَلَ فِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ فِعْلُ المنْدُوبَاتِ وَتَرْكُ الْمكْرُوهَاتِ، وَهُوَ أَعْلَى دَرَجَاتِ التَّقْوَى.

ثالثًا: إظْهَارُ التَّقْوَى فِي مَكَانِ التَّأَسِّي وَالاتِّبَاعِ أَفْضَلُ، وَإِلا فَالإِسْرَارُ أَفْضَلُ؛ لِتَفْصِيلِهِ ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الإسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بها بَعْدَهُ...**»(٣)، وَقَوْلِهِ فِيمَنْ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تنْفُقُ يَمِينُهُ**»(٤).

رابعًا: يَغْلُبُ اسْتِعْمَالُ التَّقْوَى عَلَى اجْتِنَابِ المُحَرَّمَاتِ.

خامسًا: قَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصِيبُ الذَّنْبَ فِي السِّرِّ، فَيُصْبِحُ وَعَلَيْهِ مَذَلَّتُهُ. وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبينَ الله، ثُمَّ يَجِيءُ إِلى إِخْوَانِهِ، فَيَرَوْنَ أَثَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ.

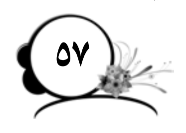
---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢) النساء: ١٣١.

(٣) أخرجه مسلم (١٠١٧)، والنسائي (٢٥٥٤)، عن جرير رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.



سادسًا: حُسْنُ الْخُلُقِ جَمَعَهُ الحَسَنُ البصري -رحمه الله- فِي «بَسْطِ الْوَجْهِ، وَبَذْلِ النَّدَى، وكَفِّ الأَذَى». قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[1].

سابعًا: الحسنَةُ تُمَحْوُ السيِّئَةَ مَا كانَتْ مُتعُلَقةً بحَقِّ اللهِ تَعَالَى، أَمَّا المتَعَلِّقَةُ بِحَقِّ الْعِبَادِ مِنَ الْغَضْبِ وَالْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، فَلا يَمْحُوهَا إِلَّا الاسْتِحَلالُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَا بُدَّ أَنْ يُعَيِّنَ لَهُ جِهَةَ الظلامَةِ، فَيَقُولَ لَهُ: قُلْتُ عَلَيْكَ كَيْتَ وَكَيْتَ.

ثامنًا: الأعْمَالُ الصَّالِحَةُ تُكَفِّرُ الصَّغَائِرَ، أَمَّا الْكَبَائِرُ فَلا بُدَّ لَهَا مِنْ تَوْبَةٍ. وَالتَّوْبَةُ فَرْضٌ، وَلَا بُدَّ فِيهَا مِنْ نِيَّةٍ، وَالْحُدُودُ كَفَّارَاتٌ.

تاسعًا: عَدَمُ الإفْرَاطِ فِي مُعَاتَبَةِ المُسِيئِينَ وَتوْبِيخِ المذْنِبِينَ؛ لأَنَّ ذَلِكَ يُورِثُ الْبَعْضَ مِنْهُمُ الانْكِسَارَ وَالمَذَلَّةَ، وَيُحفِّزُ الْبَعْضَ عَلَى الإِصْرَارِ فِي الإِسَاءَةِ.

عاشرًا: الخُلُقُ الحَسَنُ بَعْضُهُ جِبِلِّيٌّ فُطِرَ الإِنْسَانُ عَلَيْهِ، وَبَعْضُهُ يَحْصُلُ بِالْكَسْبِ، فلا يَعْتذِرُ أَحَدٌ عَن سُوءِ خُلُقِهِ كَالْغَضَبِ وَالغِلْظَةِ وَرفْعِ الصوْتِ بِغيرِ حقٍّ بِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ طَبْعِهِ، فَالأَخْلاقُ الحَسَنَةُ يَتَمَرَّنُ عَلَيْهَا الإِنْسَانُ.

ـ قَالَ الحسَنُ: «مَا زَالَتِ التَّقْوَى بِالمتَّقِينَ حَتَّى تَرَكُوا كَثِيرًا مِنَ الحَلالِ مَخَافَةَ الحرَامِ».

ـ وقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: «لَيْسَ تَقْوَى الله بِصِيَامِ النَّهَارِ وَلَا بِقِيَامِ اللَّيْلِ وَالتَّخْلِيطِ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ تَقْوَى الله تَرْكُ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَأَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللهُ، فَمَنْ رُزِقَ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ إِلَى خَيْرٍ».

ـ وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مَهْرَانَ: «المُتَّقِي أَشَدُّ مُحَاسَبَةً لِنَفسِهِ مِنَ الشَّرِيكِ الشَّحِيحِ لِشَرِيكِهِ».





(١) الأعراف: ١٩٩.







روى الإِمَامُ النَّوَويُّ بِسَنَدِهِ إلى الإِمَامِ التِّرْمِذِيِّ- رَحِمَهُ الله تَعَالَى - بِسَنَدِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «**يَا غُلامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»(١).

❀ ❀ ❀

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: عَلَى الدَّاعِيَةِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنَ الشَّبَابِ الجَانِبَ الأَوْفَى مِنْ رَصِيدِهِ فِي العَمَلِ الإِسْلامِيِّ؛ لأَنَّهُمْ طَاقَةُ الأُمَّةِ، وَأَمَلُهَا الْكَبِيرُ، وَأَنْ لا يَسْتَنْكِفَ مِنْ مُجَالَسَتِهِمْ وَمُخَالَطَتِهِمْ، فَهَذَا سَيِّدُ الْخَلْقِ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يُرْدِفُ غُلامًا يَافِعًا وَيُحَادِثُهُ.

ثانيا: حِفْظُ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بِحِفْظِ حُقُوقِهِ وَحُدُودِهِ وَأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَحِفْظُ ذَلِكَ هُوَ الوُقُوفُ عِنْدَ أَوَامِرِهِ بِالامْتِثَالِ، وَعِنْدَ نَوَاهِيهِ بِالاجْتِنَابِ.

ثالثا: حِفْظُ الله لِعَبْدِهِ يَدْخُلُ فِيهِ نَوْعَانِ:

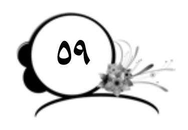
ـ أَحَدُهُمَا: حِفْظُهُ لَهُ فِي مَصَالِحِ دُنْيَاهُ، كَحِفْظِهِ فِي بَدَنِهِ وَوَلَدِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، وَقَدْ يَحْفَظُ اللهُ الْعَبْدَ بِصَلاحِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي ذُرِّيَّتِهِ.

ـ وَثَانِيهِمَا: حِفْظُ الله لِلْعَبْدِ فِي دِينِهِ وَإِيمَانِهِ، فَيَحْفَظُهُ فِي حَيَاتِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ المُضِلَّةِ، وَمِنَ الشَّهَوَاتِ المُحَرَّمَةِ، وَيَحْفَظُ عَلَيْهِ دِينَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ، فَيَتَوَفَّاهُ عَلَى الإِيمَانِ.

رابعا: مَنْ حَفِظَ اللهَ فِي صِبَاهُ وَقُوَّتِهِ، حَفِظَهُ اللهُ فِي حَالِ كِبَرِهِ وَضَعْفِ قُوَّتِهِ، وَمَتَّعَهُ بِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَعَقْلِهِ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وقال: «حديث حسن صحيح»، قال الشيخ نبيل في «أنيس الساري» (٢٤٧): «حسن».



خامسا: مِنْ أَعْظَمِ مَا يَجِبُ حِفْظُهُ:

١ـ أَوَامِرِ الله: كالصَّلاةُ وَالإيمَانُ.

٢ـ حفظه لأعضائِهِ فِي بُعْدِهَا عَنِ الحرَامِ: الرَّأْسُ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنُ وَمَا حَوَى، وَاللِّسَانُ، وَالْفَرْجُ.

سادسا: قَوْلُـهُ ﷺ: «تَجِدْهُ تُجَاهَكَ» ـ وَفِي رِوَايـةٍ: «تَجِـدْهُ أَمَامَـكَ» - مَعْنَاهَـا: أَنَّ مَـنْ حَفِظَ حُدُودَ الله، وَرَاعَى حُقُوقَهُ، وَجَدَ اللهَ مَعَهُ فِي كُـلِّ أَحْوَالِـهِ، يَحُوطُـهُ وَيَنْـصُرُهُ وَيَحْفَظُـهُ وَيُوَفِّقُهُ وَيُسَدِّدُهُ.

سابعا: مَنْ ضَيَّعَ اللهَ ضَيَّعَهُ اللهُ، فَضَاعَ بَيْنَ خَلْقِهِ حَتَّى يُدْخِلَ عَلَيْـهِ الـضَّرَرَ وَالأَذَى مِمَّـنْ يَتَوَقَّعُ مِنْهُمُ النَّفْعَ مِنْ أَهْلِهِ وَغَيْرِهِمْ. قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «إِنِّي لأَعْصِي اللهَفأعَرْفُ ذَلِـكَ فِـي خُلُقِ خَادِمِـي وَدَابَّتِي».

ثامنا: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ، نَوْعَانِ:

-الأولَى: مَعْرِفَةٌ عَامَّةٌ: مَعْرِفَةُ الإِقْرَارِ وَالتَّصْدِيقِ وَالإِيمَانِ، وَهِيَ عَامَّةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ.

- الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةٌ خَاصَّةٌ، تَقْتَضِـي مَيْلَ الْقَلْـبِ إِلَـى الله تَعَـالَى بِالْكُلِّيَّـةِ، وَالانْقِطَـاعَ إِلَيْـهِ، وَالأُنْسَ بِهِ، وَالطُّمَأْنِينَةَ بِذِكْرِهِ، وَالحَيَاءَ مِنْهُ، وَالْهَيْبَةَ لَهُ.

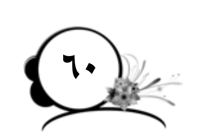
تاسعا: مَعْرِفَةُ الله تَعَالَى لِعَبْدِهِ نَوْعَانِ:

أ ـ مَعْرِفَةٌ عَامَّةٌ بِعِبَادِهِ واطِّلاعُهُ عَلَيْهِمْ عَلَى مَا أَسَرُّوا وَأَعَلَنُوا.

ب ـ مَعْرِفَةٌ خَاصَّةٌ، وَهِيَ تَقْتَضِي مَحَبَّةَ الله تَعَالَى لِعَبْدِهِ، وَتَقْـرِيبَـهُ مِنْهُ، وإِجَابَتَـهُ لِدُعَائِـهِ، وَهِي مَرْتَبَةُ الْوِلَايَةِ.

عاشرا: سُؤالُ الله تَعَالَى دُونَ خَلْقِهِ هُوَ الْمُتَعَيِّنُ؛ لأَنَّ السَّؤَالَ فِيهِ إِظْهَارُ الذُّلِّ والافْتِقَارِ مِنَ السَّائِلِ، وَلا يَصْلُحُ الذُّلُّ وَالافْتِقَارُ إِلَّا لله وَحْدَهُ.

حادي عشر: الاسْتِعَانَةُ لا تَكُونُ إلا بِالله تَعَـالَى، فَالْعَبْـدُ عَاجِزٌ عَـنَ الاسـتْقلاَلِ بِجَلْـبِ مَصَالِحِهِ وَدَفْعِ مَضَارِّهِ، ولا مُعِينَ لَهُ علَى مَـصَالِحِ دِينِـهِ وَدُنْيَـاهُ إلا اللهُ، فَمَـنْ أَعَانَـهُ الله فَهُـوَ المُعَانُ، ومَنْ خَذَلَهُ فَهُوَ المخْذُولُ. ومَنْ تَرَكَ الاسْتِعَانَةَ بالله وَاسْتَعَانَ بِغَيْرِهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى مَـنْ اسْتَعَانَ بِهِ، فَصَارَ مَخْذُولًا، لَكِنَّ هَذَا لا يَمْنَعُ الاسْتِعَانَةَ بالإنسان بما يقدر عليـه لِقَـوْلِ النَّبِـيِّ



ﷺ: «وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ، صَدَقَةٌ»[1].

ثاني عشر: يَقُولُ ابْنُ رَجَبٍ الحَنْبَلِيُّ: «لِلْمُؤْمِنِ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ دَرَجَتَانِ:

١ ــ الرِّضَا: وَهِيَ دَرَجَةٌ عَالِيَةٌ رَفِيعَةٌ، وَهِيَ دَرَجَةٌ مَنْدُوبٌ إِلَيْهَا.

٢ ـ الصَّبْرُ عَلى الْبَلاءِ: وَهِيَ دَرَجَةٌ وَاجِبَةٌ عَلَى المؤْمِنِ.

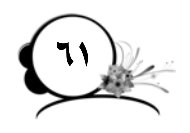
وَالْفَرْقُ بَيْنَ الرِّضَا وَالصَّبْرِ: أَنَّ الصَّبْرَكَفُّ النَّفْسِ وَحَبسُهَا عَنِ التَّسَخُّطِ مَعَ وُجُودِ الأَلَمِ، وَتَمَنِّي زَوَالِ ذَلِكَوكَفُّ الجَوَارِحِ عَنِ الْعَمَلِ بِمُقْتَضَى الجَزَعِ. وَالرِّضَا: انْشَراحُ الصَّدْرِ وَسَعَتُهُ بِالْقَضَاءِ، وَتَرْكُ تَمَنِّي زَوَالِ ذَلِكَ المؤْلِمِ، وَإِنْ وَجَدَ الإِحْسَاسَ بِالأَلَمِ. والرِّضَا يُخَفِّفُ الألم؛ لِمَا يُبَاشِرُ الْقَلْبَ مِنْ رُوحِ الْيَقِينِ وَالمعْرِفَةِ، وَإِذَا قَوِيَ الرِّضَا، فَقَدْ يُزِيلُ الإِحْسَاسَ بِالأَلَمِ بِالْكُلِّيَّةِ.

ثالث عشر: قَوْلُهُ ﷺ: «رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»: كِنَايَةٌ عَنْ تَقَدُّمِ كِتَابَةِ المقَادِيرِ كُلِّهَا وَالْفَرَاغِ مِنْهَا مِنْ أَمَدٍ بَعِيدٍ. وَقَدْ دَلَّ الحَدِيثُ عَلَى أَنَّ مَا يُصِيبُ الْعَبْدَ فِي دُنْيَاهُ مِمَّا يَضُرُّهُ أَوْ يَنْفَعُهُ، فَكُلُّهُ مُقَدَّرٌ عَلَيْهِ، وَلَا يُصِيبُ الْعَبْدَ إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ.

ـ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ --رضي الله عنه-: «لَوْ أَنَّ العُسْرَ دَخَلَ فِي جُحْرٍ لَجَاءَ الْيُسْرُ حَتَّى يَدْخُلَ مَعَهُ»، ثُمَّ قَالَ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[2].



(١) أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) الشرح: ٥، ٦.





الحديث العشرون

روى الإِمَامُ النَّوَوِيُّ بِسَنَدِهِ إلى الإمَامِ الْبُخَارِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - بسنده عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، قال: حَدَّثَنَا أَبُو مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**»(١).

❁ ❁ ❁

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: قَوْلُهُ ﷺ: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى**» يُشِيرُ إِلَى أَنَّ هَذَا مَأْثُورٌ عَنِ الأَنْبِياءِ المُتَقَدِّمِينَ، وَأَنَّ النَّاسَ تَدَاوَلُوهُ، وَتَوَارَثُوهُ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ.

ثانيا: قَوْلُهُ: «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ» يَحْمِلُ مَعْنَيَيْنِ:

ـ الأَوَّلُ: إِذَا لَمْ تَكُنْ ذَا حَيَاءٍ صَنَعْتَ مَا تَشَاءُ، فَيَكُونُ الأَمْرُ هُنَا فِي قَوْلِهِ: «فَاصْنَعْ» لِمُجَرَّدِ الإِخْبَارِ بِأَنَّ الَّذِي لَا يَسْتَحْيِي يَصْنَعُ مَا يَشَاءُ.

ـ الثَّانِي: إِذَا كَانَ الْفِعْلُ لَا يُسْتَحْيَا مِنْهُ فَاصْنَعْهُ وَلا تُبَالِ، أَيْ: لَا تَتْرُكْ شَيْئًا إِذَا كَانَ لَا يُسْتَحْيَا مِنْهُ.

ثالثا: الحياءُ نَوْعَانِ مِنْ حَيْثُ تَعَلُّقِهِ:

ـ الأَوَّلُ فيما يتعلَّقُ بِالله عَزَّ وَجَلَّ، فَيَجِبُ أَنْ تَسْتَحْيِيَ مِنَ اللهِ فلا يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ وَلَا يَفْقِدُكَ حَيْثُ أَمَرَكَ.

ـ الثَّانِي فيما يتعلَّقُ بحقِّ المخْلُوقِ وذَلِكَ بِأَنْ يَكُفَّ المرْءُ عَنْ كُلِّ ما يخَالِفُ المرُوءَةَ وَالأَخْلاقَ.

رابعا: الحياءُ خُلُقٌ فَضِيلٌ، إلا إِذَا مَنَعَ مِمَّا يَجِبُ، أَوْ أَوْقَعَ فِيمَا يَحْرُمُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ حَيَاءً مَذْمُومًا، كَأَنْ يَسْتَحْيِي مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ، أَوْ لا يَسْأَلَ عَمَّا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٢٠).



خامسا: لا حَيَاءَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَتَعَلُّمِ وَتَعْلِيمِ أَحْكَامِ الدِّينِ وطَلَبِ الحق . قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ﴾(١).

سادسا: هُنَاكَ نَوْعَانِ لِلْحَيَاءِ مِنْ حَيْثُ جِنْسِهِ:

ـ أَحَدُهُمَا: غَرِيزِيٌّ طَبِيعِيٌّ، تَجِدُ فِيهِ الشَّخْصَ حَيِيًّا مِنْ صِغَرِهِ.

ـ ثَانِيهِمَا: مُكْتَسَبٌ يَتَمَرَّنُ عَلَيْهِ الإنْسَانُ، كَأَنْ يُغَيِّرَ مِنْ طِبَاعِهِ نَتِيجَةَ مُصَاحَبَةِ أَهْلِ الخيرِ والصلاحِ، فَيَكْتَسِبُ مِنْ أَخْلاقِهِم. وَنَتِيْجةَ مَعْرِفَتِهِ بِالله وَعَظَمَتِهِ وَعِلْمِهِ وَاطِّلاعِهِ، وَهَذَا مِنْ أَعَلَى خِصَالِ الإِيمَانِ.

سابعا: الحَيَاءُ أَصْلُ الأَخْلاقِ الْكَرِيمَةِ، وَكُلُّهُ خَيْرٌ، فَمَنْ كَثُرَ حَيَاؤُهُ كَثُرَ خَيْرُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ خَيْرُهُ.

ثامنا: مِنْ ثَمَرَاتِ الْحَيَاءِ: الْعِفَّةُ وَالْوَفَاءُ، أما مَا يُذَمُّ من الحياء فهو مَا يَكُونُ ضَعْفًا أَوْ عَجْزًا؛ لأَنَّهُ يَدْفَعُ إِلَى التَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِ الله أَوْ حُقُوقِ عِبَادِهِ، وَهَذَا هُوَ الخَجَلُ الَّذِي يَحُولُ دُونَ تَعَلُّمِ الْعِلْمِ أَوْ تَحْصِيلِ الرِّزْقِ، وَهَذَا مَذْمُومٌ؛ لأَنَّهُ يَصِلُ بِصَاحِبِهِ إِلَى الاضْطِرَابِ وَالْحَيرَةِ وَالْعَجْزِ. أَمَّا المَمْدُوحُ من الحياء فِي كَلامِ النَّبِيِّ ﷺ فهو الْخُلُقُ الَّذِي يَحُثُّ عَلَى فِعْلِ الْجَمِيلِ وَتَرْكِ الْقَبِيحِ.

تاسعا: عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ: إِن اللَّه إِذَا أَرادَ بعَبدٍ هلاكًا نَزَعَ مِنْهُ الحَيَاءَ، فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الحَيَاءَ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقِيتًا مُمَقَّتًا، فَإِذَا كَانَ مَقِيتًا مُمَقَّتًا، نَزَعَ مِنْهُ الأَمَانَةَ، فَلَمْ تَلْقَهُ إِلَّا خَائِنًا مَخُونًا، فَإِذَا كَانَ خَائِنًا مَخُونًا نَزَعَ مِنْهُ الرَّحْمَةَ، فَلَمْ تَلْقَهُ إِلا فَظًّا غَلِيظًا، فإذَا كَانَ فَظًّا غَلِيظًا، نزعَ رِبقَ الإِيمَانِ مِنْ عُنُقِه، فإِذَا نَزَعَ رِبقَ الإيمَانِ مِنْ عُنُقِهِ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا شَيْطَانًا لعِينًا مُلَعَّنًا.



(١) الأحزاب: ٥٣.







روى الإِمَامُ النَّوَوِيُّ بِسَنَدِهِ إلى الإِمَامِ مُسْلِمٍ - رَحِمَهُ الله تَعَالَى - بِسَنَدِهِ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ الله الثَّقَفِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، قُلْ لِي فِي الإِسْلامِ قَوْلًا لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ قَالَ: «**قُلْ آمَنْتُ بِالله ثُم اسْتَقِمْ**»(١).

❁ ❁ ❁

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: الإيمانَ بُالله يسبُقِ الطَّاعَاتِ، فَأَصْلُ الاسْتِقَامَةِ: اسْتِقَامَةُ الْقَلْبِ عَلَى التَّوْحِيدِ.

ثانيا: أَعْظَمُ مَا يُرَاعَى اسْتِقَامَتُهُ بَعْدَ الْقَلْبِ مِنَ الجوَارِحِ اللِّسَانُ؛ فَإِنَّهُ تَرْجُمَانُ الْقَلْبِ وَالمعَبِّرُ عَنْهُ.

ثالثا: الاسْتِقَامَةُ: ثَبَاتٌ وَانْتِصَارٌ وَرُجُولَةٌ وَفَوْزٌ فِي مَعْرَكَةِ الطَّاعَاتِ وَالأَهْوَاءِ.

رابعا: مِنَ الْفِقْهِ الدَّعَوِيِّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنْ يَتَجَنَّبَ الدَّاعِيَةُ الإِطْنَابَ المُمِلَّ فِي خُطَبِهِ وَمَوَاعِظِهِ، وَلَعَلَّ الْحِكْمَةَ الشَّرْعِيَّةَ حِيْنَ اقْتَضَتْ خُطْبَتَيْنِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ دُونَ سَائِرِ الأَيَّامِ أَرَادَتْ أَنْ تُرْشِدَ الدُّعَاةَ إِلَى عَامِلٍ نَفْسَانِيٍّ مُهِمٍّ، أَلا وَهُوَ جَذْبُ النُّفُوسِ، وَشَدُّ الأَذْهَانِ.

وَهَا نَحْنُ نَجِدُ الإِمَامَ عَبْدَ الله بْنَ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه- يَتَحَيَّنُ الْفُرَصَ، وَيَجْلِسُ لِلنَّاسِ كُلَّ خَمِيسٍ، مُرَاعَاةً مِنْهُ -رضي الله عنه- لِهَذَا الجانِبِ الْخَطِيرِ.

- قَالَ الحسَنُ: «لـمَّا نَزَلَتْ آيَةُ ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾(٢)، شَمَّرَ رَسُولُ الله ﷺ، فَمَا رُؤِيَ ضَاحِكًا».

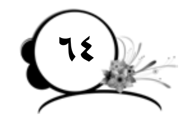
- قِيلَ: الاسْتِقَامَةُ لا يُطِيقُهَا إِلا الأَكَابِرُ؛ لأَنَّهَا الْخُرُوجُ عَنِ المعْهُودَاتِ، وَمُفَارَقَةُ الرُّسُومِ وَالْعَادَاتِ، وَالْقِيَامُ بَيْنَ يَدَي الله تَعَالَى عَلَى حَقِيقَةِ الصِّدْقِ.



---

(١) أخرجه مسلم (٣٨).

(٢) هود: ١١٢.





الحديث الثاني والعشرون

روى الإِمَامُ النَّوَوِيُّ بِسَنَدِهِ إلى الإِمَامِ مُسْلِمٍ - رَحِمَهُ الله تَعَالَى- بِسَنَدِهِ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ المكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْتُ الحَلالَ، وَحَرَّمْتُ الحَرَامَ، ولَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا، أَأَدْخُلُ الجَنَّةَ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**نَعَمْ**» قَالَ: وَالله لا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا[١].

❀ ❀ ❀

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: قَوْلُهُ: «حَرَّمْتُ الحَرَامَ»؛ أَي: اجْتَنَبْتُ الحَرَامَ مُعْتَقِدًا تَحْرِيمَهُ.

ثانيا: إذا اقتصَرَ المسلمُ عَلَى الصلاَةِ المكْتُوبَةِ وَلَمْ يَأْتِ بِالنَّوَافِلِ فلا لَوْمَ عَلَيْهِ، وَلَا يُحْرَمُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ؛ وقول الإمام أَحْمَدَ فِيمَنْ تَرَكَ الْوِتْرَ: هُوَ رَجُلُ سُوءٍ! لا يَمْنَعُهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ، وَمَا كَانَ سُوءًا إلا لأنه تَرَكَ عَملاً عَلَيْهِ خَيْرٌ كَبِيرٌ، وَهُوَ عَمَلٌ قَلِيلٌ؛ حَيْثُ إِنَّ أَقَلَّ الْوِتْرِ رَكْعَةٌ.

ثالثا: مَنْ قَامَ بِالْوَاجِبَاتِ وَانْتَهَى عَنِ المحَرَّمَاتِ دَخَلَ الجَنَّةَ.

رابعا: فِي الحَدِيثِ إِشْكَالٌ، وَهُوَ: أَنَّ الرَّجُلَ تَرَكَ أَرْكَانًا مُهِمَّةً لَمْ يَضُمَّهَا إِلَى سِيَاقِ كَلامِهِ وَسُؤَالِهِ، وَهِيَ: «الحَجُّ»، و«الزَّكَاةُ»، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَ هَذَا أَقَرَّ لَهُ بِدُخُولِ الجَنَّةِ إِنْ هُوَ الْتَزَمَ بِذَلِكَ. وَالجَوَابُ عَلَى ذَلِكَ مُرْتَبِطٌ بِحَالِ السَّائِلِ، فَرُبَّمَا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ ذَا مَالٍ لِتَجِبَ عَلَيْهِ الزَّكَاةُ أَوِ الحَجُّ، فَأَقَرَّ لَهُ بِذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّ قَوْلَهُ: «حَرَّمْتُ الحَرَامَ» يَدْخُلُ فِيهِ الزَّكَاةُ؛ لأَنَّ مَنْعَ الزَّكَاةِ مِنَ الحَرَامِ.

خامسا: عَلَى المُتَعَلِّمِ أَنْ يَسْأَلَ إِذَا كَانَ يَجْهَلُ، وَعَلَى المُعَلِّمِ أَنْ يُبَشِّرَ وَيَأْخُذَ بِاليُسْرِ وَالتَّرْغِيبِ.

سادسا: مُرَادُ الأَعْرَابِيِّ أَنَّهُ لا يَزِيدُ عَلَى الصَّلاةِ المَكْتُوبَةِ، وَالزَّكَاةِ المَفْرُوضَةِ، وَصِيَامِ

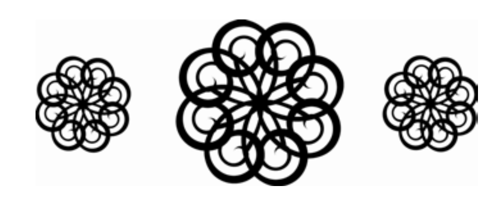
(١) أخرجه مسلم (١٥).

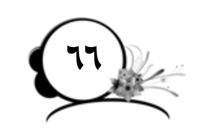


رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، شَيْئًا مِنَ التَّطَوُّعِ الخَاصِّ بِهَذِهِ الفَرَائِضِ؛ لا أَنَّهُ لَيْسَ مُرَادُهُ أَنَّهُ لا يعمَلَ بشَيءٍ مِن شَرائعِ الإسلامِ وَوَاجِبَاتِهِ غَيْرَ ذَلِكَ.

ـ قِيلَ لِلْحَسَنِ: إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ: مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَأَدَّى حَقَّهَا وَفَرْضَهَا دَخَلَ الجَنَّةَ.

ـ قِيلَ لِوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: أَلَيْسَ لا إِلَهَ إِلا اللهُ مِفْتَاحُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: بَلَى وَلَكِنْ مَا مِنْ مِفْتَاحٍ إِلا وَلَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ.







الحديث الثالث والعشرون

روى الإِمَامُ النَّوَوِيُّ بِسَنَدِهِ إِلى الإِمَامُ مُسْلِمٍ - رَحِمَهُ الله تَعَالَى- بسنده إِلى أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالحمْدُ لله تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ الله وَالحَمْدُ لله تَمْلآَنِ- أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**»(١).

❁ ❁ ❁

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ**»: الطُّهُورُ هُنَا قَدْ يُقْصَدُ بِهِ الطُّهُورُ والوضوء لِلصَّلاةِ، وَقَدْ يُقْصَدُ به مَعْنًى آخَرُ وَهُوَ طَهَارَةُ المؤْمِنِ مِنْ كُلِّ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾(٢)، وَطَهَارَةُ المؤْمِنِ تَعْنِي: التَّخْلِيَةَ مِنْ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ، وَالتَّحْلِيَةَ بِأَلْوَانِ الطَّاعَاتِ.

ثانيا: التَّسْبِيحُ دُونَ التَّحْمِيدِ فِي الْفَضْلِ، وَسَبَبُ ذَلِكَ: أَنَّ التَّحْمِيدَ إِثْبَاتُ المحَامِدِ كُلِّهَا لله، فَيَدْخُلُ فِيهِ إِثْبَاتُ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَنُعُوتُ الجَلالِ كُلِّهَا، والتَّسْبِيحُ هُوَ تنْزِيهُ الله عَنِ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ وَالآفَاتِ، وَالإِثْبَاتُ أَكْمَلُ مِنَ السَّلْبِ.

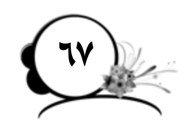
ثالثا: «**الصَّلاةُ نُورٌ**»: مُطْلَقًا؛ سَوَاءٌ كَانَتِ الْفَرِيضَةَ أَوْ النَّافِلَةَ، وَالنُّورُ فِي الْقَلْبِ، وَعَلَى الْوَجْهِ، وَنُورٌ فِي الْقَبْرِ، وَيَوْمَ الحَشْرِفالَصلَّاة نُور مُطْلق ، فَهِيَ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا نُورٌ فِي قُلُوبِهِمْ وَبَصَائِرِهِمْ تُشْرِقُ بِهَا قُلُوبُهُمْ، وَتَسْتَنِيرُ بَصَائِرُهُمْ، وَلِهَذَا كَانَتْ قُرَّةَ عَيْنِ المُتَّقِينَ، وَحَتَّى تَكُونَ الصَّلاةُ نُورًا لابُدَّ أَنْ تُؤَدَّى بِحُضُورِ الْقَلْبِ، وَخُشُوعِ الْجوَارِحِ.

رابعا: «**الصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ**» عَلَى الإِيمَانِ؛ لأَنَّ المالَ مَحْبُوبٌ، وَإِنْفَاقَهُ فِي سَبِيلِ الله انْتِصَارٌ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣)، والترمذي (٣٥١٧).

(٢) التوبة: ٢٧.



لِلإِيمَانِ عَلَى حُبِّ المالِ، وَالله تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1]، فَالمَالُ مَحْبُوبٌ وَلَا يُبْذَلُ إِلَّا لِطَلَبِ مَا هُوَ أَحَبُّ.

خامسا: الصبرُ الموصُوفُ بِأَنَّهُ ضِيَاءٌ، هُوَ حَبْسُ النَّفْسِ عَمَّا يَجِبُ الصَّبْرُ عَنْهُ وَعَلَيْهِ، وَهُوَ ثَلاثَةُ أَنْوَاعٍ:

١ ـ صَبْرٌ عَنْ مَعْصِيَةِ الله.

٢ ـ صَبْرٌ عَلَى طَاعَةِ الله.

٣ ـ صَبْرٌ عَلَى أَقْدَارِ الله.

وَهُنَاكَ مَرْتَبَةٌ فَوْقَ الصَّبْرِ خَاصَّةً فِي النَّوْعِ الثَّالِثِ، وَهِيَ: «الرِّضَا»، فَالرَّاضِي بِقَضَاءِ الله أَكْمَلُ حَالًا مِنَ الصَّابِرِ.

سادسا: قَوْلُهُ ﷺ: «**وَالصَّلاةُ نُورٌ... وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ**» هذا تقسيم وتوصيف غَايَةٌ فِي الدِّقَّةِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَالصَّلاةُ نُورٌ مُشِعٌّ يُنِيرُ الْقَلْبَ وَالْوَجْهَ، أَمَّا الصَّبْرُ: فَهُوَ ضِيَاءٌ فِيهِ حَرَارَةٌ وَمَرَارَةٌ نَاتِجَةٌ عَنْ حَبْسِ النَّفْسِ عَنْ أُمُورٍ رُبَّمَا تَكُونُ مُحَبَّبَةً إِلَيْهَا.

سابعا: يَكُونُ الْقُرْآنُ حَجَّةً لِلْعَبْدِ إِذَا قَامَ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ فِيهِ، بِأَنْ يُحِلَّ مَا أَحَلَّ، وَيُحَرِّمَ مَا حَرَّمَ، أَوْ يَنْصَحَ لله فِيهِ، كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ النَّصِيحَةِ: لِكِتَابِه[2].

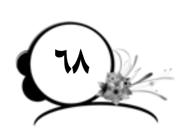
ثامنا: الْبَيْعُ لَا يَكُونُ إِلا لله تَعَالَى، فَالمؤْمِنُ عَزِيزٌ كَرِيمٌ، رَفِيعُ الْقَدْرِ، نَفِيسُ الثَّمَنِ، وَيَأْبَى أَنْ يبيعَ نفسَهُ إلا لله تعالى، والصفقةُ قد تمتْ فعلاً، فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[3].



(١) آل عمران: ٩٢.

(٢) هو الحديث السابع من الأربعين النووية.

(٣) التوبة: ١١١.







روى الإمَامُ النَّوَويُّ بِسَنَدِهِ إلى الإمَامِ مُسْلِمٍ ـ رَحِمَهُ الله تَعَالَى ـ بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلا تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ الله، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ**»(١).



اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: لقَدَ اختلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي بَيَانِ مَفْهُومِ الحديثِ الْقُدْسِيِّ، وَأَفْضَلُ مَا يُقَالُ فِيهِ: أَنَّهُ مَا رَوَاهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ رَبِّ الْعِزَّةِ. وَنَقْتَصِرُ عَلَى هَذَا، وَلا نَبْحَثُ: هَلْ مِنْ قَوْلِ الله لَفْظًا وَمَعْنًى، أَوْ مَعْنًى مِنَ الله وَلَفْظًا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَفِي ذَلِكَ نَوْعٌ مِنَ التَّكَلُّفِ، وَقَدْ نُهِينَا عَنْ هَذَا التَّكَلُّفِ.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).



وَمِنْ فَوَارِقِ الحَدِيثِ الْقُدْسِي عَنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَا يَلِي:

أ ـ أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ لِلتَّحَدِّي وَالإِعْجَازِ بِكَامِلِهِ وَبِأَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْهُ بِخِلافِ الحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ.

ب ـ وَالْقُرْآنُ يَحْرُمُ حَمْلُهُ وَقِرَاءَتُهُ عَلَى الْجُنُبِ، بِخِلافِ الحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ.

جـ ـ وَلا يُتَعَبَّدُ بِالحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ بِعَكْسِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

ثانيا: تَحْرِيمُ الله لِلظُّلْمِ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ قُدْرَتِهِ وَصْفُ مَدْحٍ؛ حَيْثُ لا يُوجَدُ مِنْ صِفَاتِ الله- عَزَّ وَجَلَّ - نَفْيٌ إِلا لِثُبُوتِ ضِدِّهِ، فَنَفْيُ الظُّلْمُ يَعْنِي: ثُبُوتَ الْعَدْلِ الْكَامِلِ.

ثالثا: الظُّلْمُ نَوْعَان:

ـ ظُلْمٌ لِلنَّفْسِ: بِأن يُورِدَ الإنْسَانُ نَفْسَهُ مَوَارِدَ الْعِصْيَانِ وَالضَّلالِ، أَوْ أَنْ يُشْرِكَ بِالله تَعَالَى، وَهَذَا أَعْظَمُ الظُّلْمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(١).

ـ ظُلْمٌ لِلآخَرِينَ: وَهَذَا أَمْرُهُ عَظِيمٌ؛ لأَنَّ التَّائِبَ مِنْهُ لَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ إِلَّا بِمُسَامَحَةِ المظْلُومِ.

رابعا: الْهِدَايَةُ نَوْعَانِ:

أ ـ هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ إِلَى الطَّاعَةِ: وَهِيَ لا تُطْلَبُ إِلَّا مِنَ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ. وَهِيَ مُجْمَلَةٌ وَمُفَصَّلَةٌ: فَالمُجْمَلَةُ هِيَ الْهِدَايَةُ لِلإِسْلامِ وَالإِيمَانِ. وَالمُفَصَّلَةُ هِيَ هِدَايَتُهُ إِلَى مَعْرِفَةِ تَفَاصِيلِ أَجْزَاءِ الإِيمَانِ وَالإِسْلامِ، وَإِعَانَتُهُ عَلَى فِعْلِ ذَلِكَ.

ب ـ هِدَايَةُ الدَّلالَةِ وَالْفَهْمِ: وَهِيَ تَصِحُّ أَنْ تُطْلَبَ مِنْ غَيرِ الله تَعَالَى، بِأَنْ تُطْلَبَ فَتْوًى أَوْ نَصِيحَةً يَنْصَلِحُ بِهَا الحَالُ.

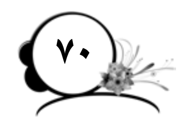
خامسا: «**كُلُّكُمْ ضَالٌّ**»: نَفْهَمُ هَذَا الْقَوْلَ أَنَّهُ حِكَايَةٌ عَلَى مَا كَانَ، فَالْكُلُّ كَانَ ضَالًا، لَكِنَّ الله- عَزَّ وَجَلَّ- هَدَانَا إِلَى الْفِطْرَةِ، وَهَذَا الحَدِيثُ لا يُعَارِضُ حَدِيثَ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ**»(٢)، وَرُبَّمَا يَكُونُ الْخِطَابُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**كُلُّكُمْ ضَالٌّ**»؛ لِعُمُومِ المكَلَّفِينَ الَّذِينَ تَغَيَّرَتْ فِطْرَتُهُم إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُهُمْ.

سادسا: «**فَاسْتَغْفِرُوني أَغْفِرْ لَكُمْ**»، «فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ» هُنَا نُلاحِظُ أَنَّ الْغُفْرَانَ جَاءَ بَعْدَ

---

(١) لقمان: ١٣.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨)، عن أبي هريرة ﷺ.



الاسْتِغْفَارِ وَدُونَ فَاصِلٍ بَيْنَهُمَا، وَكَذَلِكَ الْهِدَايَةُ، وَهَذَا عَرْضٌ سَخِيٌّ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَمَنْ طلبَ المغفرة بحق نَالَهَا؛ وَلِهَذَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ يَقُولُ: «أَنَا لا أَحْمِلُ هَمَّ الإِجَابَةِ، وَلَكِنْ أَحْمِلُ هَمَّ الدُّعَاءِ»، وَفِي الحَدِيثِ دَعْوَةٌ صَرِيحَةٌ مِنَ الله تَعَالَى إِلَى الاسْتِغْفَارِ وَطَلَبِ الْهِدَايَةِ.

سابعا: يَنْبَغِي الإِكْثَارُ مِنْ طَلَبِ المغْفِرَةِ مِنَ الله تَعَالَى، فَهِيَ أَحْوَجُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعَبْدُ؛ لأَنَّهُ يُخْطِئُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى رَبِّكُم، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**». وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِي: «**فَإِنِّى أَتُوبُ إِلَى الله وَأَسْتَغْفِرُهُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ**»(١).

ثامنا: عَلَى الإِنْسَانِ عِنْدَمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ شَيْئًا أَنْ يَعْزِمَ المسْأَلَةَ، فَاللهُ لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَبَدًا، بَلْ هُوَ عَلَى كَلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. قَالَ ﷺ: «**إِذَا دَعَا أَحْدُكُم فَلا يَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ المسْأَلَةَ، وَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ**»(٢).

تاسعا: الأَصْلُ فِي التَّقْوَى وَالْفُجُورِ هُوَ الْقَلْبُ، فَإِذَا بَرَّ وَاتَّقَى بَرَّتِ الجوارِحُ، وإِذَا فَجَرَ الْقَلْبُ فَجَرَتِ الجوارِحُ، وَهَذَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﷺ: «**عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ**»، وَقَوْلُهُ: «**عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ**».

عاشرا: يُوْلَدُ الإِنْسَانُ مَفْطُورًا عَلَى قَبُولِ الحق، فَإِنْ هَدَاهُ الله سَبَّبَ لَهُ مَنْ يُعَلِّمُهُ الْهُدَى، فَصَارَ مَهْدِيًّا بِالْفِعْلِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ مَهْدِيًّا بِالْقُوَّةِ، وَإِنْ خَذَلَهُ اللهُ قَيَّضَ لَهُ مَنْ يُعَلِّمُهُ مَا يُغَيِّرُ فِطْرَتَهُ.

حادي عشر: إِنَّ الْحُجَّةَ قَائِمَةٌ عَلَى الْعَبْدِ بِإِنْزَالِ الْكِتَابِ وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ، فَمَا بَقِي لأَحَدٍ حُجَّةٌ عَلَى الله بَعْدَ الرُّسُلِ.

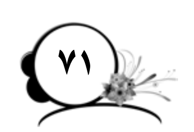
ـ كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَسْأَلُ اللهَ فِي صَلاتِهِ جُلَّ حَوَائِجِهِ حَتَّى مِلْحَ عَجِينِهِ وعلف شَاتِهِ.

ـ كَانَ عَامِرُ بْنُ قَيْسٍ يَقُولُ: «وَالله لأَجْتَهِدَنَّ، ثُمَّ وَالله لأَجْتَهِدَنَّ، فَإِنْ نَجَوْتُ فَبِرَحْمَةِ الله، وَإِلا لَمْ أَلُمْ إِلَّا نَفْسِي».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٢)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٣٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٩).







روى الإمَـامُ النَّـوَوِيُّ بِـسَنَدِهِ إلى الإمَـامِ مُسْلِمٍ ـ رَحِمَهُ الله تَعَالَى ـ بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِـي ذَرٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَـالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ الله، ذَهَـبَ أَهْـلُ الـدُّثُورِ بِـالأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ ﷺ: **«أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ: إِنَّ بِكُلِّ تَـسْبِيحَةٍ صَـدَقَةً، وَكُـلِّ تَكْبِيـرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالمعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»**، قَالُوا: يَـا رَسُـولَ الله، أَيَـأْتِي أَحَـدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟! قَالَ: **«أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَـانَ عَلَيْـهِ فِيهَـا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الحلالِ كَانَ لَهُ أَجْـرٌ »**[1].

❁ ❁ ❁

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: إِنَّ هَذِهِ الفَضَائِلَ التِّي يتضَمَّنُهَا الحدَيثُ الشَّرِيفُ لَيْسَتْ لِلْفُقَـرَاءِ دُونَ الأَغْنِيَاءِ، بَلْ هِـي عَطَايَـا مَعْرُوضَـةٌ لِلْجَمِيعِ، وَفِـي ذَلِـكَ فَلْيَتَنَـافَسِ المتَنَافِسُونَ. وَسُؤَالُ الْفُقَرَاءِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَذِكْرُهُم لأَهْلِ الدُّثُورِ لَيْسَ حَسَدًا وَلا اعْتِرَاضًا، لَكِنَّهُ سُؤَالُ التَّنَافُسِ فِي الطَّاعَةِ.

ثانيا: المقْصُودُ بِـ «**كُلِّ تَكْبِيرَةٍ**» فِي الحَدِيثِ، هِيَ قَوْلُ الْعَبْدِ: «**اللهُ أَكْبَرُ**»، وَ«كُلِّ تَحْمِيدَةٍ»، هِيَ: قَوْلُ الْعَبْدِ: «**الحَمْدُ لله**»، وَ«**كُلِّ تَهْلِيلَةٍ**»، هِيَ قَوْلُ الْعَبْدِ: «**لا إِلَهَ إلا اللهُ**».

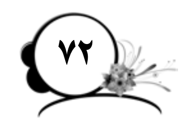
ثالثا: الأَمْرُ بِالمعْرُوفِ لَهُ شَرْطَانِ:

ـ الأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ الأمر عَالِمًا يَقِينًا بِأَنَّ هَذَا مَعرُوفٌ.

ـ الثَّانِي: أَلا يَأْمُرَ بِمَعْرُوفٍ وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَهُ وَلا يَفْعَلُهُ، فَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2].

(١) أخرجه مسلم (١٠٠٦).

(٢) البقرة: ٤٤.



رابعا: النَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ لَهُ شُرُوطٌ:

ـ الأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ النَّاهِي عَنِ المُنْكَرِ عَالِمًا يَقِينًا بِأَنَّ مَا يَنْهَى عَنْهُ مُنْكَرٌ.

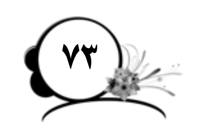
ـ الثَّانِيأن َيْتَحَقق َّ النَّاهِي عَنِ المُنْكَرِ أَنَّ مَنْ يَنْهَاهُ قَدْ وَقَعَ بِالْفِعْلِ فِي المُنْكَرِ.

ـ الثَّالِثُ: أَلا يَتَرَتَّبَ عَلَى إِزَالَةِ المُنْكَرِ مُنْكَرٌ أَعْظَمُ مِنْهُ.

خامسا: فِي الأَمْرِ بِالمعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، قَدْ يَكُونُ الْعَمَلُ بِدْعَةً لَكِنَّ صَاحِبَهُ لَيس بِمُبْتَدِعٍ؛ لأَنَّه قَدْ لا يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْعَمَلَ بِدْعَةٌ، وَهُنَا يَظْهَرُ فِقْهُ المسْلِم فِي الْحُكْمِ عَلَى الأَفْعَالِ لا الأَشْخَاصِ كَمَا قَرَّرَ الْعُلَمَاءُ.

سادسا: سَعَةُ فَضْلِ الله تَعَالَى وَكَثْرَةُ أَبْوَابِ الخَيْرِ الَّتِي فَتَحَهَا لِعَبَادِهِ.







الحديث السادس والعشرون

روى الإمَامُ النَّوَوِيُّ بِسَنَدِهِ إلى الإمَامِ مُسْلِمٍ - رَحِمَهُ الله تَعَالَى - بِسَنَدِهِ عن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ**»، قال: «**وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**»[1].

❁ ❁ ❁

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: لقد خلق الله الإنْسَانَ وَفِيهِ ثَلاثُمِائَةٍ وَستُّونَ عَظْمًا، وَعَلَى كُلِّ عَظْمٍ صَدَقَةٌ، فإِذَا حَكَمَ بالْعَدْلِ بَيْنَ مُتَخَاصِمَيْنِ، أَوْ أَعَانَ مُحْتَاجًا لِيحْمِلَهُ عَلَى دَابَّتِهِ أَوْ يَحْمِلَ مَعَهُ مَا بِيَدَيْهِ، أَوْ يُرْكِبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ أَوْ سَيَّارَتِهِ. إلخ وكذلك فِي القولِ الطيبِ، وبالمشي إلى المسجد لصلاةِ الجماعَةِ، وَفِي إِزَالَةِ مَا يُؤْذِي المارَّةَ فِي الطَّرِيقِ كُلُّ ذَلِكَ صَدَقَاتٌ وَحَسَنَاتٌ يُؤَدِّي بها شُكْرَ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ عَلَى نِعَمِهِ.

ثانيا: مِنْ جَمِيلِ فَضْلِ الله تَعَالَى، أَنَّ شُكْرَ نِعْمَتِهِ يَكُونُ بِأَعْمَالٍ بَسِيطَةٍ هَيِّنَةٍ، لَكِنَّ ثَوَابَهَا لا يُقَدِّرُهُ إلا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ وَإِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَإِعَانَةُ النَّاسِ... كُلُّ هَذِهِ أُمُورٌ يَسِيرَةٌ لَكِنَّ ثَوَابَهَا وَفِيرٌ.

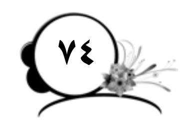
ثالثا: إِنَّ شُكْرَ الْعَبْدِ لِنِعَمِ الله تَعَالَى، يَحْفَظُهَا عَلَيْهِ وَيَزِيدُهَا، فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[2]، وَلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الشُّكْرُ عَلَى قَدْرِ الاسْتِطَاعَةِ، سَواءٌ كَانَ قَوْلًا أو عملًا.

رابعا: فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الأَسْوَدِ الدُّؤَلِي عَنْ أَبِي ذَرٍّ -رضي الله عنه-: «**وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَا الضُّحَى يَرْكَعُهُمَا**». وَمِنْ فِقْهِهَا أَنَّ أَقَلَّهَا رَكْعَتَانِ، وَأَكْثَرَهَا ثَمَانٍ، وَوَقْتَهَا يَبْدَأُ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩).

(٢) إبراهيم: ٧.



بارْتِفَاعِ الشَّمْسِ قَدرَ رُمْحٍ مِنْ رَأْيِ الْعَيْنِ وَيَنْتَهِي قُبَيْلَ أَذَانِ الظُّهْرِبِعشرْ دقائقَ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثلاثٍ: بِصِيَامِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَي الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ(١).

وَعنْ أَنَسٍ -رضي الله عنه- قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ فِي سَفَرٍ صَلَّى سُبْحَةَ الضُّحَى ثَمَانِي رَكَعَاتٍ، فلمَّا انصرَفَ قَالَ: «**إِنِّي صَلَّيْتُ صَلاةَ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ، سَأَلْتُ رَبِّي ثَلاثًا فأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً: سَأَلْتُهُ أَلا يَبْتَلِي أُمَّتِي بِالسِّنِينَ فَفَعَلَ، وَسَأَلْتُهُ أَلا يُظْهِرَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ فَفَعَلَ، وَسَأَلْتُهُ أَلا يَلْبِسَهُمْ شِيَعًا، فأَبَى عَلَيَّ**»(٢).

خامسا: لَا يُفْهَمُ مِنَ الحَدِيثِ حَصْرُ أَنْوَاعِ الصَّدَقَةِ فِيمَا ذُكِرَ فِيهِ، وَلَكِنْ يُفْهَمُ تَنَوُّعُهَا، فَقَدْ زَادَتْ عَلَى ذَلِكَ فِي أَحَادِيثَ أُخْرَى، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مُتَنَوِّعَةٌ، وَأَعْمَالُ الْبِرِّ لَا حَصْرَ لَهَا، طَالَمَا فِي نِطَاقِ الحَلالِ.

سادسا: الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ: كُلُّ مَا يُفْرِحُ الْقَلْبَ لَدَى المؤْمِنِ وَتَشْمَلُ: التَّوْحِيدَ ـ الذِّكْرَ ـ الدُّعَاءَ ـ الثَّنَاءَ ـ الشَّفَاعَةَ ـ النُّصْحَ... وَكُلَّ مَا يُجَمِّعُ الْقُلُوبَ.

سابعا: مِنْ أَنْوَاعِ الصَّدَقَةِ كفُّ الأَذَى عَنِ النَّاسِ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ، وَأَدَاءُ حُقُوقِ المسْلِمِ عَلَى المسْلِمِ.

ثامنا: لِلْبَدنِ زَكَاةٌ كَمَا أَنَّ لِلْمَالِ زَكَاةً، وَزَكَاةُ الْبَدَنِ: أَعْمَالُ الخَيْرِ، وَأَبْوَابُهَا كَثِيرَةٌ فِي الإِسْلامِ، وَمِنْهَا: أَنْوَاعُ الذِّكْرِ، الصلاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، تلاوَةُ الْقُرْآنِ، المَشْيُ إِلَى المسَاجِدِ، التَّوَاضُعُ فِي اللِّبَاسِ وَالمَشْيِ، في اكتِسَابِ الحلالِ وَالتَّحَرِّي فِيهِ، مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ. وَيُجْزِئُ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ: «**رَكْعَتَا الضُّحَى**».

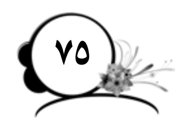
تاسعا: مَا مِنْ عَظْمٍ وَلَا عِرْقٍ وَلا عَصَبٍ إِلا وَعَلَيْهِ أَثَرٌ مِنْ صُنْعِ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ الشُّكْرُ عَلَى ذَلِكَ، وَالحَمْدُ لله عَلَى خَلْقِهِ سَوِيًّا صَحِيحًا، وَيَحْتَاجُ كُلُّ عَظْمٍ مِنْهَا إِلَى صَدَقَةٍ يَتَصَدَّقُ ابْنُ آدَمَ عَنْهُ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ شُكْرًا لِهَذِهِ النِّعْمَةِ.

عاشرا: الشُّكْرُ عَلَى دَرَجَتَيْنِ:

ـ إِحْدَاهُمَا: وَاجِبٌ، وَهُوَ أَنْ يَأْتِيَ بِالْوَاجِبَاتِ، وَيَجْتَنِبَ المحَارِمَ.

(١) أخرجه البخاري (١٩٨١)، ومسلم (٧٢١).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٦) وقال الأرناؤوط: «صحيح لغيره». والحاكم (٤/ ٥٦٢) وصححه.



ـ الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ مِنَ الشُّكْرِ: الشُّكْرُ المسْتَحَبُّ، وَهُوَ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ بَعْدَ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ، وَاجْتِنَابِ المحَارِمِ بِنَوَافِلِ الطَّاعَاتِ، وَهَذِهِ دَرَجَةُ السَّابِقِينَ الْمُقَرَّبِينَ، وقد كان النَّبِيُّ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الصَّلاةِ، وَيَقُومُ حَتَّى تَتفطَّرَ قَدَمَاهُ، فَإِذَا قِيلَ لَهُ: أَتَفْعَلُ هَذَا، وقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأخَّرَ؟ فَيَقُولُ: «أفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»(١).

ـ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْمُزَنِيُّ: «يَا بْنَ آدَمَ، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ قَدْرَ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكَ فَغَمِّضْ عَيْنَيْكَ».

ـ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما: «مَنْ مَشَى بحقِّ أَخِيهِ إِلَيْهِ لِيَقْضِيَهُ، فَلَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ صَدَقَةٌ».

ـ قَالَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ: قَالَ مُوسَى يَوْمَ الطُّورِ: يَا رَبِّ، إِنْ أَنَا صَلَّيْتُ فَمِنْ قِبَلِكَ، وإِنْ أَنَا تَصَدَّقْتُ فَمِنْ قِبَلِكَ، وَإِنْ أَنَا بَلَّغْتُ رِسَالَتَكَ فَمِنْ قِبَلِكَ فكَيْفَ أَشْكُرُكَ؟ قَالَ: الآنَ شَكَرْتَنِي.



(١) أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩) عن المغيرة بن شعبة ﷺ.







روى الإمَامُ النَّوَوِيُّ بِسَنَدِهِ إلى الإمَامِ مُسْلِمٍ - رَحِمَهُ الله تَعَالَى - بَسَنَدِهِ عن نَوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: أَقَمْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بِالمدِينَةِ سَنَةً، مَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْهِجْرَةِ إِلَّا المسْأَلَةُ، كَانَ أَحَدُنَا إِذَا هَاجَرَ لَمْ يَسْأَلْ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ شَيْءٍ، قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»**(1).

وَعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: «**جِئْتَ تَسْأَلُ عَنْ الْبِرِّ وَالإِثْمِ؟**». قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ فَضَرَبَ بِهَا صَدْرَهُ وَقَالَ: **«اسْتَفْتِ نَفْسَكَ، اسْتَفْتِ قَلْبَكَ يَا وَابِصَةَ**- ثلاثًا- **الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ»**(2).

❀ ❀ ❀



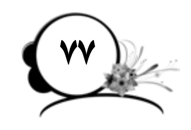
أولا: لَقَدْ فَسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الْبِرَّ فِي حَدِيثِ النَّوَّاسِ بِأَنَّهُ: «**حُسْن الْخُلُقِ**»، ثُمَّ فَسَّرَهُ فِي حَدِيثِ وَابِصَةَ بِأَنَّهُ: «**مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ**» ولا خِلافَ بَيْنَ التَّفْسِيرَيْنِ فالخُلُقُ الحَسَنُ هُوَ التَّصَرُّفُ الَّذِي تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ النَّفْسُ ويُوافِقُ الشَّرْعَ، وَرُبَّمَا يَكُونُ هَذَا مِنْ قَبِيلِ مُخَاطَبَةِ المُتَكَلِّمِ بِمَا يَحْتَاجُ.

ثانيا: «وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ»؛ أَيْ: تَرَدَّدَ فِيهَا وَلَّدَ فيها القَلَقَ وَالاضْطِرابَ؛ لأَنَّهُ مَحَلُّ عَيْبٍ وَذَمٍّ، وهذَا الْمِقْيَاسُ لِمَنْ كَانَ قَلْبُهُ سَلِيمًا صَافِيًا ذَا نَفْسٍ لَوَّامَةٍ، أَمَّا المُتَمَرِّدُونَ الخارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ الله وَالَّذِينَ لا يُبَالُونَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَالَّذِينَ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ فَأَصْبَحَتْ لا تَعرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا تُنْكِرُ مُنْكَرًا، فَلا يَنْفَعُهُمْ هَذَا الْمِيزَانُ؛ لأَنَّهُمْ يُوَافِقُونَ هَوَاهُمْ، وَرُبَّمَا قَادَهُمْ هَوَاهُمْ لِلْوُقُوعِ فِي الإِثْمِ.

---

(1) أخرجه مسلم (٢٥٥٣)، والترمذي (٢٣٨٩).

(2) قال الإمام النووي: «حديث حسن رويناه في مسندي الإمامين أحمد بن حنبل (١٧٣٥)، والدارمي (٢٤٢١)»، قال الشيخ الألباني: «حسن لغيره» صحيح الترغيب والترهيب (١٧٣٤)، انظر أنيس الساري (٣٧٤).



ثالثا: قَوْلُهُ ﷺ: «**وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**» إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الإِثْمَ مَا أَثَّرَ فِي الصَّدْرِ حَرَجًا وَضِيقًا وَقَلَقًا وَاضْطِرابًا، فلم يَنْشَرِحْ لَهُ الصَّدْرُ، وَمَعَ هَذَا، فَهُوَ عَيْبٌ مُسْتَنْكَرٌ، بِحَيْثُ يُنْكِرُونَهُ عِنْدَ اطِّلاعِهِمْ عَلَيْهِ، وَهَذَا أَعْلَى مَرَاتِبِ مَعْرِفَةِ الإِثْمِ عِنْدَ الاشْتِبَاهِ، وَهُوَ مَا اسْتَنْكَرَهُ النَّاسُ عَلَى فَاعِلِهِ وَغَيْرِ فَاعِلِهِ.

أَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «**وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ**» فَيَدُلُّ عَلَى المرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ فِي مَعْرِفَةِ الإِثْمِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ مُسْتَنْكَرًا عِنْدَ فَاعِلِهِ دُونَ غَيْرِهِ وَقَدْ جَعَلَهُ أَيْضًا إِثْمًا.

رابعاالبرّ يُطْلَقُ بِاعْتِبَارَيْنِ:

ـ أَحَدُهُمَا: بِاعْتِبَارِ مُعَامَلَةِ الخَلْقِ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَرُبَّما خُصَّ بِالإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ، فَيُقَالُ: بِرُّ الْوَالِدَيْنِويطْلَقُ كَثِيرًا عَلَى الإِحْسَانِ إِلَى الخَلْقِ عُمُومًا، وَيُقَدَّمُ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى غَيْرِهِمَا مِنَ الخَلْقِ. فَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: «**أُمَّكَ**» قُلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**أُمَّكَ**»، قُلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**أُمَّكَ**»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَبَاكَ**» قَال: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ الأَقْرَبَ فَالأَقْرَبَ**»(١).

ـ وَالمعْنَى الثَّانِي مِنْ مَعْنَى الْبِرِّ: أَنْ يُرَادَ بِهِ فِعْلُ جَمِيعِ الطَّاعَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾(٢).

خامسا: لَا يَجُوزُ الاسْتِدْلالُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**اسْتَفْتِ قَلْبَكَ**» عَلَى أَنَّ الذَّوْقَ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ يُرْجَعُ إِليهفالشَّرْعُ يُعْرَفُ مِنَ الله وَرَسُولِهِ، وَلَا حَرَجَ عَلَى مَنْ لا يَطْمَئِنُّ لِلْفَتْوَى مِنَ عالِمٍ أَنْ يَسْأَلَ عَالِمًا آخَرَ.

سادسا: وَجُوبُ النَّظَرِ فِي الْفَتْوَى قَبْلَ الْعَمَلِ بِهَا، وَاتِّبَاعُ الأَتْقَى وَالأَوْرَعِ فِي الدِّينِ، فَالْفَتْوَى لا تُزِيلُ الشُّبْهَةَ.

سابعا: تَبْدُو قِيمَةُ الْقَلْبِ وَاسْتِفْتَاؤُهُ قَبْلَ الْعَمَلِ لَا بَعْدَهُواهتمَامَ الإِسلامِ بِتَرْبِيَةِ الْوَازِعِ

(١) أخرجه أبو داود (٥١٣٩)، والترمذي (١٨٩٧) واللفظ له، وأحمد (٥/ ٣) عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وصححه الحاكم ٣/ ٦٤٢ ووافقه الذهبي.

(٢) البقرة: ١٧٧.



الدِّينِيِّ الدَّاخِلِيِّ يَبْدُو وَاضِحًا؛ لِيَجْعَل الْقَلْبَ رَقِيبًا عَلَى الإِنْسَانِ مِنْ دَاخِلِهِ، بِخِلافِ الْقَانُونِ، فَإِنَّهُ يَحْكُمُ النَّفْسَ مِنْ خَارِجِهَا، فَتُحَاوِلُ التَّخَلُّصَ وَالتَّحَايُلَ.

ثامنا: وَتَقُومُ الأَخْلاقُ الإِسْلامِيَّةُ عَلَى عِدَّةِ مَحَاوِرَ:

أ ـ التَّخَلُّقِ مَعَ رَبِّ الْكَوْنِ بِالإِيمَانِ بِهِ وَحَمْدِهِ عَلَى نِعَمِهِ وَامْتِثَالِ شَرِيعَتِهِ.

ب ـ التَّخَلُّقِ مَعَ المخْلُوقِينَ بِفِعْلِ الْخَيْرِ أَوْ حَتَّى بِمَحَبَّتِهِ لَهُمْ كَفِّ الأَذَى عَنْهُمْ.

جـ ـ التَّخَلُّقِ مَعَ النَّفْسِ بِقِيَادَتِهَا إِلَى مَا يُرْضِي رَبَّهَا، وَعَدَمِ إِلْقَائِهَا فِي التَّهْلُكَةِ.

ـ كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: الْبِرُّ شَيْءٌ هَيِّنٌ؛ وَجْهٌ طَلِيقٌ، وكَلامٌ لَيِّنٌ.







الحديث الثامن والعشرون

روى الإمَامُ النَّوَوِيُّ بِسَنَدِهِ إلى الإمَامِ أَبِي دَاودَ - رَحِمَهُ الله تَعَالَى - بِسَنَدِهِ عن عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ وَحُجْرِ بْنِ حُجْرٍ قَالا: أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾(١)، فَسَلَّمْنَا وَقُلْنَا أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَعَائِدِينَ وَمُقْتَبِسِينَ. فَقَالَ الْعِرْبَاضُ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: **«أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي، فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ المهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»**(٢).

۞ ۞ ۞

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: حَتَّى تَكُونَ الموْعِظَةُ مُؤَثِّرَةً، تُوقِظُ النُّفُوسَ اللاهِيَةَ وَالضَّمَائِرَ الميِّتَةَ، لَابُدَّ لَهَا مِنْ وَاعِظٍ تَتَوَافَرُ فِي شَخْصِهِ عِدَّةُ صِفَاتٍ، أَهَمُّهَا: أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا بِكَلامِهِ، مُحْتَرِقًا إِلَى إِيصَالِهِ إِلَى نُفُوسِ سَامِعِيهِ، أَنْ يَكُونَ ذَا قَلْبٍ نَاصِحٍ سَلِيمٍ، أَنْ يَخْرُجَ كَلامُهُ مِنْ قَلْبِهِ الصَّادِقِ فيلامسَ شِغَافَ القُلُوبِ. وَأَخِيرًا لابُدَّ أَنْ يُطَابِقَ قَوْلُهُ عَمَلَهُ.

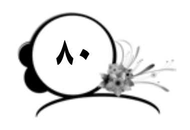
ثانيا: لِينُ الْقَلْبِ وَخُشُوعُهُ دَلِيلٌ عَلَى صِحَّتِهِ الإيمَانِيَّةِ وَشَفَافِيَّتِهِ وَإِخْلاصِهِ، وَلأَنَّ الْعِبْرَةَ عِنْدَ الله بِهَذِهِ المُضْغَةِ امْتَدَحَ المؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ حِينَ خَشَعَتْ قُلُوبُهُمْ، وَاقْشَعَرَّتْ جُلُودُهُمْ، وفاضَت أعينُهُم وجلاً مِنَ الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾(٣).

---

(١) التوبة: ٩٢.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وصححه الألباني، وانظر: أنيس الساري (٤٢٣٨).

(٣) الأنفال: ٢.



فَمَحَطُّ الْخُشُوعِ هُوَ الْقَلْبُ وَالجوارِحُ المُتَّصِلَةُ بنِيَاطِ الْقَلْبِ، هيَ حَيَّةٌ بحَيَاتِهِ، صَالِحةٌ بصلاحِهِ، أَوْ مَيِّتَةٌ بمَوْتِهِ، وَسَاكِنَةٌ بِرُكُودِهِ، وَلَعَلَّ الْعَيْنَ هِيَ أَكْبَرُ تَرْجُمَانٍ لِمَا يَعْتَرِي الْقَلْبَ؛ لِذَا جَاءَ ذِكْرُهَا بَعْدَ ذِكْرِ الْقَلْبِ لا قَبْلَهُ، ففى حَدِيثِ أَبِي نَجِيحٍ هَذَا: «**وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ**». وَلِذَا قَالَ عُمَرُ فِي رَجُلٍ رَآهُ يُصَلِّي ـ وَهُوَ يَعْبَثُ بِلِحْيَتِهِ وَأَطْرَافِهِ: «**لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ**».

ثالثا: قَوْلُهُ ﷺ: «**وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا**» وَفِي رِوَايَةٍ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِي، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»[1]. فَالْعَبْدُ لا تَصِحُّ وِلايَتُهُ، وَلَكِنَّ هَذَا الْكَلامَ مِنْ قَبِيلِ ضَرْبِ المثَلِ بِغَيْرِ الْوَاقِعِ عَلَى طَرِيقِ التَّقْدِيرِ وَالفَرْضِ، فَالنَّبِيُّ ﷺ ضَرَبَ مَثَلاً عَلَى شَيْءٍ لا يَقَعُ، لِكَيْ يُؤَكِّدَ عَلَى أَهَمِيَّةِ شَيْءٍ آخَرَ وَهُوَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَمِنْ هَذَا أَيْضًا قَوْلُهُ: «**مَنْ بَنَى لله مَسْجِدًا كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ لِبَيْضِهَا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ**»[2]، فَهَلْ يَبْنِي أَحَدٌ مَسْجِدًا كَمِفْحَصِ قَطَاةٍ؟!

رابعا: لَقَدْ قَرَنَ النَّبِيُّ ﷺ سُنَّةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بِسُنَّتِهِ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى عِلْمِهِ ﷺ بِعَدَالَتِهِم وَصِحَّةِ طَرِيقَتِهِم، وَقَدْ قَالَ ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[3]. فَالأَذَانُ الأَوَّلُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، سُنَّةُ عُثْمَانَ، فَيُتَّبَعُ فِيهِ، وَسَبَبُهُ هُوَ اتِّسَاعُ المدِينَةِ فِي عَهْدِهِ عَمَّا كَانَتْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهَذَا الأَذَانُ شَبِيهٌ بِأَذَانِ بِلالٍ قَبْلَ الْفَجْرِ قَبْلَ أَذَانِ عَبْدِ الله ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ ـ رضي الله عنهما ـ لِلْفجْرِ.

خامسا: الْبِدْعَةُ الَّتِي حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهَا، لَهَا مَعْنَيَانِ:

ـ الأَوَّلُ: لُغَوِيٌّ، وَهُوَ مَا كَانَ مُخْتَرَعًا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، وَهَذَا يُفَسِّرُ اسْتِحْسَانَ عُمَرَ ابْنِ الخَطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ لَمَّا جَمَعَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ النَّاسَ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ، فَقَالَ: «نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ».

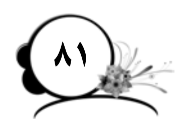
ـ الثَّانِي: مَعْنَىً شَرْعِيٌّ: وَهُوَ مَا أُحْدِثَ عَلَى خِلافِ أَمْرِ الشَّارِعِ سُبْحَانَهُ، وَفِي هَذَا جَاءَ كَلامُ النَّبِيِّ ﷺ: «**وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**».

---

(1) أخرجه البخاري (٧١٤٢).

(2) أخرجه ابن ماجه (٧٣٨) عن جابر بن عبد الله –وفي الزوائد: «إسناده صحيح ورجاله ثقات»، وأحمد (١/ ٢٤١) عن ابن عباس – رضي الله عنهما– وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٢٩).

(3) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.



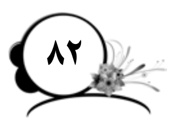
سادسا: أَمِيرُ السَّفَرِ تَلْزَمُ طَاعَتُهُ فِي الأَمُورِ المُتَعَلِّقَةِ بِالسَّفَرِ، لا فِي كُلِّ شَيْءٍ.

سابعا: إِنَّ الدَّعْوَةَ فِي سَبِيلِ الله –سبحانه– هى: لِسَانٌ بَلِيغٌ، وَعَقْلٌ نَاضِجٌ، وَحِكْمَةٌ بَالِغَةٌ، وحَنْكِةَ وُمعَانَاةَ وُخَلُقٌ، وَعِلْمٌ نَافِعٌ، وَتَخْطِيطٌ مُحْكَمٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾(١).

ثامنا: قَوْلُهُ ﷺ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْـخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ...**» جاءَ بَعْدَ الأَمْرِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لأُولِي الأَمْرِ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ لا طَاعَةَ لأُولِي الأَمْرِ إِلَّا في طَاعَةِ الله، كَمَا صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المعْرُوفِ**»(٢).



(١) النحل: ١٢٥.
(٢) أخرجه البخاري (٤٣٤٠)، ومسلم (١٨٤٠).







رَوى الإمَامُ النَّوَوِيُّ بِسَنَدِهِ إِلى الإِمَامِ التِّرْمِذِيِّ – رَحِمَهُ الله تَعَالَى – بِسَنَدِهِ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -ﷺ- قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ وَلا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَلا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الماءُ النَّارَ، وَصَلاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ**». قَالَ: ثُمَّ تَلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

ثُمَّ قَالَ: «**أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟**»، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَلا أُخْبِرُكَ بِمِلاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟** »، قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ الله، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، وقَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟! فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ـ أَوْ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ ـ إلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»[2].

❁ ❁ ❁

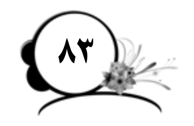


أولا: قَوْلُهُ: «**وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ**» إشارة إِلَى أن التوفيق كُلَّهُ بِيَدِ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَنْ يَسَّر اللهُ عَلَيْهِ الْهُدَى اهْتَدَى، وَمَنْ لَمْ يُيَسِّرْهُ عَلَيْهِ، لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ ذَلِكَ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾

---

(١) السجدة: ١٦، ١٧.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٦) وقال: «حديث حسن صحيح». انظر: أنيس الساري (١٦٠٢).



﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾[1]، وَقَالَ ﷺ: «**اعْمَلُوا فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِقَ لَهُ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**، ثم تَلَا هَذِهِ الآيَةَ»[2]. وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «**وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى لِي**»[3]، وَأَخْبَرَ اللهُ عَنْ نَبِيِّهِ مُوسَى -عَلَيْهِ السَلام- أَنَّهُ قَالَ فِي دُعَائِهِ: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾[4]، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَدْعُو: «اللَّهُمَّ يَسِّرْنِي لِلْيُسْرَى وَجَنِّبْنِي الْعُسْرَى».

ثانيا: خَتَمَ النَّبِيُّ ﷺ كَلامَهُ لِمُعَاذٍ، فَبَيَّنَ لَهُ الْمِفْتَاحَ الَّذِي يمكِنُ أنْ يَضْبِطَ كَلَّ مَا سَبَقَ، فَقَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»، وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ، فَتَعَجَّبَ مُعَاذٌ وَحُقَّ لَهُ أَنْ يَتَعَجَّبَ؛ إذ كَيْفَ لِلِّسَانِ أَنْ يَكُونَ مِلاكَ هَذِهِ الأُمُورِ كُلِّهَا؟ لَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَنْكِرُ عَلَيْهِ تَعَجُّبَهُ، وَيَقُولُ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»، وَلا عَجَبَ فِي ذَلِكَ، فَقَوْلُ اللِّسانِ يَدْخُلُ فِيهِ الشِّرْكُ الَّذِي يَهْدِمُ التَّوْحِيدَ، وَيَدْخُلُ فِيهِ أَيْضًا قَوْلُ الزُّورِ والقَذْفُ ... وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْكَبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الحَدِيثِ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**»[5].

ثالثا: الْجِهَادُ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ بَعْدَ الْفَرائِضِ.

رابعا: وَفُ اللَّيلِ إذا أُطْلِقَ فالمُرَادُ بِهِ وَسَطُهُ، فَلَوْ افْتَرَضْنَا أَنَّ المغْرِبَ يُؤَذَّنُ لَهُ السَّاعَةَ الخامسة مساءً مَثَلًا، وَالْفَجْرَ يُؤَذَّنُ لَهُ السَّاعَةَ الخامسة فَجْرًا فَاللَّيْلُ اثْنَا عَشَرَ سَاعَةً، فَيَكُونُ منتصَفُ الليلِ عِنْدَ الساعَةِ الحادية عشر ليلًا، وَيَكُونُ الثُّلُثُ الأَخِيرُ عِنْدَ السَّاعَةِ الثانية، وَهُوَ الْوَقْتُ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ التَّنَزُّلُ الَّذِي وَرَدَ فِي الحَدِيثِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ**»[6].

---

(١) الليل: ٥-١٠.

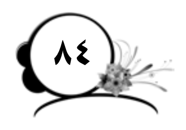
(٢) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧) عن علي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (١٥١١)، والترمذي (٣٥٥١)، وابن ماجه (٣٨٣٠) عن ابن عباس -رضي الله عنما، وصححه الألباني.

(٤) طه: ٢٥، ٢٦.

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٧٤) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٦) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).



ـ وَقَدْ قِيلَ: إِنْ جَوْفَ اللَّيلِ إِذا أُطْلِقَ، فَالمرَادُ بِهِ وَسَطُهُ، وَإِنْ قِيلَ: جَوْفُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَالمرَادُ وَسَطُ النِّصْفِ الثَّانِي، وَهُوَ السُّدُسُ الخَامِسُ مِنْ أَسْدَاسِ اللَّيْلِ، وَهُوَ الْوَقْتُ الَّذِي وَرَدَ فِيهِ النُّزُولُ الإِلَهِي.

مِنْ أَقْوَالِ السَّلَفِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَعْنَى الحَدِيثِ:

ـ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: فَضْلُ صَلاةِ اللَّيلِ عَلَى صَلاةِ النَّهَارِ كَفَضْلِ صَدَقَةِ السِّرِّ عَلَى صَدَقَةِ الْعَلانِيَةِ.

ـ وَقَالَ ابنُ بُرَيْدَةَ: رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاس -رضي الله عنهما- وقد أَخَذَ بِلِسَانِهِ وَهُوَ يَقُولُ: وَيْحَكَ! قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ، أَوْ اسْكُتْ عَنْ سُوءٍ تَسْلَمْ، وَإِلا فَاعْلَمْ أَنَّكَ سَتَنْدَمُ. قَالَ: وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ -ﷺ- يَحْلِفُ بِالله الَّذِي لا إِلهَ إِلا هُوَ، مَا عَلَى الأَرْضِ شَيْءٌ أَحْوَجُ إِلَى طُولِ سِجْنٍ مِنْ لِسَانٍ.





الحديث الثلاثون

رَوى الإِمَامُ النَّوَوِيُّ بِسَنَدِهِ إِلى الإِمَامِ الدَّارَقُطْنِيِّ - رَحِمَهُ الله تَعَالَى - بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:

«إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ فَرَائِضَ، فَلا تُضَيِّعُوهَا، وَحَرَّمَ حُرُمَاتٍ فَلا تَنْتَهِكُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلا تَعْتَدُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ فَلا تَبْحَثُوا عَنْهَا»(1).

❁ ❁ ❁

اللَّطَائِفُ النُّورانِيَّةُ

أولا: لَقَدْ جَاءَ التَّقْسِيمُ بِثَلاثَةِ أَرْكَانٍ: فَرَائِضَ، وَحُدُودٍ، وَأَخِيرٍ مَسْكُوتٍ عَنْهُ. وَسُكُوتُ الله - عَزَّ وَجَلَّ - هُنَا سُكُوتُ رَحْمَةٍ، وَقَدْ عَلَّلَهَا نَصُّ الحَدِيثِ بِقَوْلِهِ ﷺ: «**رَحْمَةً بِكُمْ**»، وَكُلُّ الشَّرْعِ رَحْمَةٌ، فَمِنْ رَحْمَتِهِ أَنْ جعلَ الثوابَ أَضْعَافَ الأَعْمَالِ، فَالحَسَنَةُ بِعَشَرَةٍ، وَالْعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا تُضَاعَفُ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، والله يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ.

ثانيا: هَلِ الْفَرْضُ وَالْوَاجِبُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ؟ أَو الْفَرْضُ غَيْرُ الْوَاجِبِ؟ مَعَ التَّحْقِيقِ يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ الْفَرْضَ وَالْوَاجِبَ مِنْ حَيْثُ التَّأْثِيمِ بالترك وَاحِدٌ. أَمَّا مِنْ حَيْثُ الْوَصْفِ فَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ، فَقَالَ بَعْضُهُم: الْفَرْضُ مَا كَانَ دَلِيلُهُ قَطْعِيًّا، وَالْوَاجِبُ مَا كَانَ دَلِيلُهُ ظَنِّيًّا، وَقَالَ آخَرُونَ: الْفَرْضُ مَا ثَبَتَ بِالْقُرْآنِ، وَالْوَاجِبُ مَا ثَبَتَ بِالسُّنَّةِ، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّ الْفَرْضَ وَالْوَاجِبَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ.

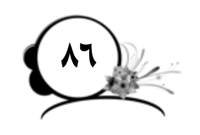
ثالثا: يُمكِنُ أَنْ نُطْلِقَ لَفْظَ «الْحُدُودِ» عَلَى الْوَاجِبَاتِ وَعَلَى الْمُحَرَّمَاتِ، لَكِنِ الْفَارِقُ بَيْنَهُمَا، أَنَّ الْوَاجِبَاتِ حُدُودٌ لا تُتَعَدَّى، أَمَّا المحَرَّمَاتُ، فَحُدُودٌ لا تُقْرَبُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(2)، وكانَ سِياقُ الْكَلامِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ، وفي المقابل قَالَ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ﴾(3)، وَكَانَ سِيَاقُ الْكَلامِ عَمَّا يَجِبُ فِعْلُهُ.

---

(1) أخرجه الدارقطني (٤/ ١٨٣)، وحسنه، وقال الشيخ نبيل: ضعيف، انظر: أنيس الساري (١١٨١).

(2) البقرة: ١٨٧.

(3) البقرة: ٢٢٩.



رابعا: رُبَّمَا كَانَ المقْصُودُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ نِسْيانٍ فَلا تَبْحَثُوا عَنْهَا» أَنْ يَكُونَ خَاصًا بِعَهْدِ الصَّحَابَةِ؛ لأنَّ ذَلِكَ عَهْدُ نُزُولِ الْوَحْيِ، فَقَدْ يَسْأَلُ الإنْسَانُ عَنْ أمْرٍ لَمْ يُحَرَّمْ فَيُحَرَّمُ مِنْ أَجْلِ سُؤَالِهِ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الحَجِّ، لَمَّا قَامَ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ وَقَالَ لِلرَّسُولِ ﷺ: أَفِي كُلِّ عَامٍ؟ وَهَذَا سُؤَالٌ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ، فَقَالَ ﷺ: «**لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُم**»(١). أَمَّا بَعْدَ عَهْدِ الرِّسَالةِ، فَلا بَأْسَ أَنْ يَبْحَثَ المسْلِمُ، ولكِن هَذَا متوقِّفٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْبَحْثُ لِلاتِّسَاعِ فِي الْعِلْمِ كَمَا يَفْعَلُ طَلَبَةُ الْعِلْمِ، أَمَّا إِذَا لَمْ يَنْبَنِ عَلَى المسْأَلَةِ عَمَلٌ فالتوقُّفُ أَوْلَى.

خامسا: مِنْ تَمَامِ وَصْفِ الله - عَزَّ وَجَلَّ - أَنَّه إِذَا شَاءَ تَكَلَّمَ، وَإِذَا شَاءَ لَمْ يَتَكَلَّمْ.

سادسا: فِي أُمُورِ الْعَادَاتِ الَّتِي لَمْ يَفْرِضِ اللهُ تَعَالَى فِيهَا فَرْضًا، وَلَمْ يَحُدَّهُ، فَهُوَ مُبَاحٌ مَسْكُوتٌ عَنْهُ، أَمَّا الْعِبَادَاتُ، فَالأَصْلُ فِيهَا المنْعُ حَتَّى يَقُومَ دَلِيلٌ عَلَيْهَا فلا يَجُوزُ أَنْ يَبْتَدِعَ فِي دِينِ الله مَا لَيْسَ مِنْهُ مِنْ اعْتِقَادٍ أَوْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

سابعا: فِي الحَدِيثِ نَفْيُ النِّسْيانِ عَنِ الله - عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾(٢)، أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾(٣)، فَمُرَادُهُ هُنَا: نِسْيَانُ التَّرْكِ، وَلَيْسَ الذُّهُولَ عَنْ شَيءٍ مَعْلُومٍ فهذا مما يُوصَفُ بِهِ الإِنْسَانُ.

ثامنا: النَّهْيُ عَنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَالْبَحْثِ، سَواءٌ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ بَعْدَهُ فِيمَا يَتَّصِلُ بِالأُمُورِ المتكلَّفة التِّي لا يتوقَّفُ عَلَى فَهْمِهَا وَتَوْضِيحِهَا عَمَلٌ أَوْ ثَوَابٌ.

تاسعا: كفُّ الصَّحَابَةِ - رضي الله عنهمْ - عَنْ إِكْثَارِ الأَسْئِلَةِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ حَتَّى كَان يُعْجِبُهُم أَنْ يَأْتِيَ الأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ ﷺ فَيُجِيبُهُمْ فَيَسْمَعُونَ وَيَعُونَ.

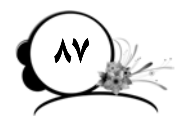
عاشرا: التَّنطعُ والتَّعمقُ والتكلُّفُ أُمُورٌ غَيْرُ مُسْتَحَبَّةٍ فِي الدِّينِ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه -: «إِيَّاكُم وَالتَّنَطُّعَ، إيَّاكُمْ وَالتعمُّقَ، عَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ - يَعْنِي مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ - رضي الله عنهمْ».



(١) أخرجه مسلم (١٣٣٧).

(٢) مريم: ٦٤.

(٣) التوبة: ٦٧.







رَوى الإمَامُ النَّوويُّ بِسَنَدِهِ إلى الإمَامِ ابْنِ مَاجَةَ - رَحِمَهُ الله تَعالَى - بِسَنَدِهِ عَنْ سَهْلِ ابْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ قَالَ: أَتى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ الله، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ**»(١).

❁ ❁ ❁

اللَّطائِفُ النُّورانِيَّةُ

أولا: لَقَدْ تَنَوَّعَتْ عِبَارَاتُ السَّلفِ وَالْعُلَمَاءِ الَّذِينَ جَاءُوا بَعْدَهُمْ فِي تَفْسِيرِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَكُلُّهَا تَرْجِعُ إِلَى مَا رَوَاهُ الإمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي إِدْرِيس الخَوْلانِيِّ -ﷺ- فَقَدْ قَالَ: «لَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا بِتَحْرِيمِ الحَلالَ وَلا إِضَاعَةِ المالِ، إِنَّمَا الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا أَنْ تكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللهِوثَـقَ مِنْكَ بِمَا فِي يَدَيْكَ، وَإِذَا أُصِبْتَ مُصِيبَةً كُنْتَ أَشَدَّ رَجَاءً لأَجْرِهَا وذُخْرِهَا مِنْ إِيَّاهَا لَوْ بَقِيَتْ لَكَ».

ثانيا: مِنَ الأُمُورِ الَّتِي تَحْمِلُ الإنْسَانَ عَلَى الزُّهْدِ:

ـ اسْتِحْضَارُ الآخِرَةِ ووُقُوفِهِ بَيْنَ يَدَيْ خَالِقِهِ يَوْمَ الْحِسَابِ.

ـ اسْتِحْضَارُ أَنَّ لَذَّاتِ الدُّنْيَا شَاغِلَةٌ لِلْقُلُوبِ عَنِ الله تَعالَى، وَمُنْقِصَةٌ لِلدَّرَجَاتِ عِنْدَهُ.

ـ اسْتِحْضَارُ حَقَارَةِ الدُّنْيَا وَأَنَّهَا لا تُسَاوِي عِنْدَ الله تَعَالَى جَنَاحَ بَعُوضَةٍفضْلاً عَنْ أَنَّهَا دَارُ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ وَالأَحْزَانِ.

ثالثا: الذَّمُّ الْوَارِدُ لِلدُّنْيَا فى الآثار والأحاديث لَيْسَ لِلزَّمَانِ وَلا لِلْمَكَانِ، فَهُوَ لا يَرْجِعُ إِلَى زَمَانِهَا الَّذِي هُوَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَوْ الدَّهْرُ، وَلا لِمَكانِهَا الَّذِي هُوَ الأَرْضُ، وإِنَّمَا لأَفْعَالِ النَّاسِ الْوَارِدَةِ فِيهَا؛ لأَنَّ غَالِبَهَامُخَالِفٌ لِمَا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ، فَتُذَمُّ الدُّنْيَا لِمَا فِيهَا مِنْ سَوْءَاتٍ قَدْ تُورِدُ الْعَبْدَ الْمَوَارِدَ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، قال الإمام النووي: «حديث حسن»، وانظر: أنيس الساري (٣٦٣).



رابعا: خَيْرُ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا وَفِيمَا فِي يَدِ النَّاسِ، هُوَ سَيِّدُ الخَلْقِ ﷺ، فَقَدْ عَلَّمَهُ رَبُّهُ وَأَدَّبَهُ، وَهُوَ قُدْوَةٌ لَنَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

خامسا: لا حَرَجَ عَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يَطْلُبَ أَنْ يُحِبَّهُ النَّاسُ بِبِرِّهِم بالْهَدَايَا وَالصَّدَقَاتِ وَالْعَدْلِ فِيهِمْ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ إِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْبَلَدِ: «**اللَّهُمَّ حبِّبْنَا إِلَى أَهْلِهَا، وَحَبِّبْ صَالِحِي أَهْلِهَا إِلَيْنَا**»[2]، فَقَدْ طَلَبَ المحبَّةَ الصَّادِرَةَ مِنْهُ لِصَالِحِي أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، وَالمحبَّةَ الصَّادِرَةَ لَهُ مِنَ النَّاسِ، فَلَمَّا أَرَادَ المحبَّةَ الصَّادِرَةَ مِنْهُ، قَالَ: «**صَالِحِي أَهْلِهَا**»، وَلَمَّا أَرادَ المحبَّةَ الصَّادِرَةَ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: «**حَبِّبْنَا إِلَى أَهْلِهَا**» مُطْلَقَةً.

سادسا: حَقِيقَةُ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ، وَأَوْلى النَّاسِ بِالزُّهْدِ وَأَحقُّهُمْ بِهِ: الحُكَّامُ وَالْعُلَمَاءُ، فَإِنْ زَهِدُوا أَحَبَّهُمُ النَّاسُ وَاتَّبَعُوهُمْ.

سابعا: الشُّكْرُ عَلَى النِّعْمَةِ الحَلالِ وَإِنْفَاقُهَا فِي وُجُوهِهَا الْمشْرُوعَةِ صُورَةٌ مِنْ صُوَرِ الزُّهْدِ كَذَلِكَ.

ثامنا: الدُّنْيَا مُبَغَّضَةٌ لأَوْلِيَاءِ الله، مُحَبَّبَةٌ لأَهْلِهَا، فَمَنْ شَارَكَهُمْ فِي مَحْبُوبِهِمْ أَبْغَضُوهُ.

تاسعا: الزَّاهِدُ الحقِيقيُّ هُوَ مَنْ أَتَتْهُ الدُّنْيَا بِخَيْرَاتِهَا، وَلَمْ تَشْغَلْهُ عَنْ رَبِّهِ وَلَمْ تَسْتهْوِهِ وَتَسْتَعْبِدْهُ، بَلْ مَلَكَ زِمَامَ نَفْسِهِ وَاسْتَصْغَرَهَا فِي عَيْنِهِ. وَلِهَذَا قِيلَ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَ أَزْهَدَ مِنْ أُوَيْسٍ.

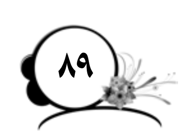
عاشرا: الأَحَادِيثُ الَّتِي فِي ذَمِّ الدُّنْيَا وَحَقَارَتِها عِنْدَ الله كَثِيرَةٌ جدًّا، مِنْهَا مَا فِي «صَحِيح مُسْلِمٍ» عَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ وَالنَّاسُ لعلها في كَنَفَتَيْهِ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَقْطُوع الأُذُنَيْنِ- مَيِّتٍ، فتَنَاوَلَهُ، فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، قَالَ: «**أَيُّكُمْ يحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟**» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّه لَنَا بِشَيْءٍ، وما نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «**أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟**» قَالُوا: وَالله لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ؛ لأَنَّهُ أَسَكُّ،فكَيفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «**وَالله لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ هَذَا عَلَيْكُم**»[3].

---

(١) الأحزاب: ٢١.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٤٧٥٥) عن ابن عمر – رضي الله عنهما –، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٣٤): «رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده جيد».

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٥٧).



حادي عشر: إِنَّ قُوَّةَ تَـأْثِيرِ الدَّاعِيَـةِ فِـيمَنْ يَـدْعُوهُم تَعْتَمِـدُ أَسَاسًـا عَلَـى مَحَــبَّتِهِم لَـهُ، وَإِكْبَارِهِم إِيَّاهُ، وَثِقَتِهِمْ بِهِ، وَلَنْ يَتَأَتَّى لَهُ ذَلِكَ مَا لَمْ يَتَنَزَّهْ عَنْ سَفَاسِفِ الدُّنْيَا، وَيَتَرَفَّعْ عَمَّا فِـي أَيْدِيهِمْ، لأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْكَفِيلُ بِبَقَاءِ عِزَّتِهِ وَكَرَامَتِهِ.

مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَالسَّلَفِ فِي مَعْنَى الحَدِيثِ الشَّرِيفِ:

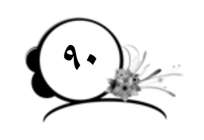
ـ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ: «الزُّهْدُ ثَلاثَةُ أَصْنَافٍ: زُهْدُ فَرْضٍ: وَهُوَ الزُّهْدُ فِي الحَرَامِ، وَزُهْـدُ فَضْلٍ: وَهُوَ الزُّهْدُ فِي الحَلالِ، وَزُهْدُ سَلامَةٍ: وَهُوَ الزُّهْدُ فِي الشُّبُهَاتِ».

ـ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ لأَصْحَابِهِ: «أَنْتُمْ أَكْثَرُ صَلاةً وَصَوْمًا وَجِهَادًا مِنْ أَصْـحَابِ مُحَمَّـدٍ ﷺ، وَهُمْ كَانُوا خَيْرًا مِنْكُمْ. قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: كَانُوا أَزْهَدَ مِنْكُمْ فِي الدُّنْيَا وَأَرْغَبَ مِنْكُم فِي الآخِرَةِ».

ـ وَسُئِلَ كَعْبٌ بِحَضْرَةِ عُمَرَ: «مَا يُذْهِبُ الْعِلْمَ مِنْ قُلُوبِ الْعُلَمَاءِ بَعْدَ أَنْ عَقَلُوهُ وَحَفِظُوهُ؟ قَالَ: يُذْهِبُهُ الطَّمَعُ وَشَرَهُ النَّفْسِ وَتَطَلُّبُ الحَاجَاتِ إِلَى النَّاسِ». قَالَ عُمَرُ: «صَدَقْتَ».

ـ قَالَ أَعْرَابِيٌّ لأَهْلِ الْبَصْرَةِ: «مَـنْ سَـيِّدُ أَهْـلِ هَـذِهِ الْقَرْيَـةِ؟ قَـالُوا: الحَـسَنُ -يقـصدون البصري- قَالَ: بِمَ سَادَهُمْ ؟ قَالُوا: احْتَاجَ النَّاسُ إِلَى عِلْمِهِ، وَاسْتَغْنَى هُوَ عَنْ دُنْيَاهُمْ».









الحديث الثاني والثلاثون

رَوى الإِمَامُ النَّوَويُّ بِسَنَدِهِ إِلى الإِمَام ابْنِ مَاجَةَ- رَحِمَهُ الله تَعَالَى - بِسَنَدِهِ عَنْ عُبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَضَى «**أَنْ لا ضَرَرَ وَلا ضِرَار**»(١).

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: اختلفَ الْعُلَمَاءُ: هَلْ بَيْنَ اللَّفْظَتَيْنِ «الضَّرَرَ وَالضِّرَارَ» فَرْقٌ أَمْ لا؟ فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: هُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ عَلَى وَجْهِ التَّأْكِيدِ، وَالمشْهُورُ أَنَّ بَيْنَهُمَا فَرْقًا، وهو: إِنَّ الضَّرَرَ هُوَ الاسْمُ، وَالضِّرَارُ هُوَ الْفِعْلُ، فَالمعْنَى أَنَّ الضَّرَرَ نَفْسُهُ مُنْتَفٍ فِي الشَّرْعِ، وَإِدْخَالُ الضَّرَرِ على الغيرِ بغيرِ حقٍّ كَذَلِكَ.

ـ وَقِيلَ: الضَّرَرُ: أَنْ يُدْخِلَ عَلَى غَيْرِهِ ضَرَرًا بِمَا يَنْتَفِعُ هُوَ بِهِ، وَالضِّرَارُ: أَنْ يُدْخِلَ عَلَى غَيْرِهِ ضَرَرًا بِمَا لا مَنْفَعَةَ لَهُ بِهِ، كَمَنْ مَنَعَ مَا لا يَضُرُّه وَيَتَضَرَّرُ بِهِ الممْنُوعُ، وَرَجَّحَ هَذَا الْقَوْلَ طَائِفَةٌ، مِنْهُمْ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، وَابْنُ الصَّلاحِ.

ثانيا: المنْفِيُّ فِي الحَدِيثِ هو الضرر إذا كان بغير حقٍّ، أما إلحاق الأذى بمن يستحق، كَمَنْ تَعَدَّى حُدُودَ الله، فَعُوقِبَ عَلَى جَرِيمَتِهِ أَوْ ظَلَمَ أَحَدًا فَعُومِلَ بِالْعَدْلِ وَالْقِصَاصِ، فَهَذَا غَيْرُ مُرَادٍ فِي الحَدِيثِ ؛ لأَنَّ الْحُدُودَ وَالقِصَاصَ شَرْعُ الله تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢).

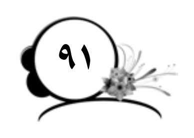
ثالثا: اللهُ- عَزَّ وَجَلَّ- لَمْ يَأْمُرْ عِبَادَهُ وَلَمْ يَطْلُبْ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا مَا يَضُرُّهُمْ فِي أَبْدَانِهِمْ. فَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ أُخْتَهُ نَذَرَتْ أَنْ تَمْشِيَ إِلَى الْبَيْتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَصْنَعُ بِشَقَاءِ أُخْتِكَ شَيْئًا، فَلْتَرْكَبْ**».

رابعا: هَذَا الحَدِيثُ اعْتُبِرَ قَاعِدَةً فِقْهِيَّةً رَئِيسَةً، وانبثقَ مِنْهَا عِدَّةُ قَوَاعِدَ أُصُولِيَّةٍ، مِنْهَا:

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٣٤٠)، والدارقطني (٣/ ٧٧) برقم (٨٣)، وأحمد (١/ ٣١٣)، وذكره الحاكم (٢/ ٥٧، ٥٨) وقال: «صحيح على شرط مسلم»، وذكره الإمام مالك في الموطأ (٢/ ٧٤٥) مرسلاً فأسقط أبا سعيد. وقال الإمام النووي: «له طرق يقوي بعضها بعضًا». انظر: صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٢٣٤٠) قال الألباني: «صحيح»، وانظر: السلسلة الصحيحة (٢٥٠)، والإرواء (٨٩٦).

(٢) البقرة: ١٧٩.



ـ الضَّرَرُ يُدْفَعُ بِقَدْرِ الإِمْكَانِ.

ـ الضَّرَرُ يُزَالُ.

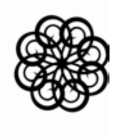
ـ الضرَّرَ ُالأشَدَ يُزَُالُ باُلِضرَّر اِلأخَفَ ِّ .

ـ إِذَا تَعَارَضَتْ مَفْسَدَتَانِ رُوعِيَ أَعْظَمُهُمَا ضَرَرًا.

ـ يُتَحَمَّلُ الضَّرَرُ الخَاصُّ لِدَفْعِ ضَرَرٍ عَامٍّ.

ـ دَرْءُ المفَاسِدِ مُقَدَّمٌ عَلَى جَلْبِ الْمصَالِحِ.







الحديث الثالث والثلاثون

رَوى الإِمَامُ النَّوَوِيُّ بِسَنَدِهِ إِلى الإِمَامِ مُسْلِمٍ - رَحِمَهُ الله تَعَالَى - بِسَنَدِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ رِجَالٍ وَأَمْوَالَهُم، وَلَكِنَّ الْيَمِينَ عَلَى المدَّعَى عَلَيْهِ**»(١).

❁ ❁ ❁

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: هَذَا الحَدِيثُ يُعَدُّ قَاعِدَةً عَظِيمَةً مِنْ قَوَاعِدِ أَحْكَامِ الشَّرْعِ. قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ: «هَذَا الحَدِيثُ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الأَحْكَامِ وَأَعْظَمُ مَرْجِعٍ عِنْدَ التَّنَازُعِ وَالْخِصَامِ»، وَهَذَا الحَدِيثُ يَضَعُ الْحُدُودَ عِنْدَ نِصَابِهَا، فَلا ادِّعَاءَ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ، وَإِلا لادَّعَى النَّاسُ مَا لَيْسَ لَهُمْ، وَمَنْ أَنْكَرَ شَيْئًا فَعَلَيْهِ بِالْيَمِينِ، وَقَدِ اتَّخَذَ الْعُلَمَاءُ هَذَا الحَدِيثَ أَصْلاً مِنْ أُصُولِ الأَحْكَامِ.

ثانيا: الإِسْلامُ مَنْهَجٌ مُتَكَامِلٌ لِلْحَيَاةِ، فِيهِ الْعَقِيدَةُ الصَّافِيَةُ، وَالْعِبَادَةُ الخَالِصَةُ، وَالأَخْلاقُ الْكَرِيمَةُ، وَالتَّشْرِيعُ الرَّفِيعُ، وَلَمَّا كَانَ الْقَضَاءُ هُوَ الأَسَاسَ فِي فَصْلِ المنَازَعَاتِ وَالْخُصُومَاتِ وَضَعَ الإِسلامُ قَوَاعِدَ تَمْنَعُ ذَوِي النُّفُوسِ المَرِيضَةِ مِنَ التَّطَاوُلِ وَالتَّسَلُّطِ، وَتَحْفَظُ الأُمَّةَ مِنَ الْعَبَثِ وَالظُّلْمِ.

ثالثا: أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ المُرَادَ بِالْبَيِّنَةِ: الشَّهَادَةُ؛ لأَنَّهَا غَالِبًا تظْهِرُ الحقَّ وَتُبَيِّنُ صِدْقَ المدَّعِي، وَهَذِهِ الْبَيِّنَةُ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلافِ الدَّعْوَى، فَفِي الزِّنَى بَيِّنَةٌ، وَفِي الْقَتْلِ بَيِّنَةٌ، وَفِي إِثْبَاتِ الْحُقُوقِ الماليَّة بَيِّنَةٌ وَرُبَّمَا تَخْتَلِفُ عَنْ بَيِّنَةٍ سَابِقَتِهَا.

رابعا: قَالَ الإِمَامُ مَالِكٌ: إِنَّمَا تَجِبُ الْيَمِينُ عَلَى المُنْكِرِ إِذَا كَانَ بَيْنَ المُتَدَاعِيَيْنِ نَوْعُ مُخَالَطَةٍ ؛خَوْفًا مِنْ أَنْ يَتَبَذَّلَ السُّفَهَاءُ عَلَى الرُّؤَسَاءِ بِطَلَبِ أَيْمَانِهِم. وَعِنْدَهُ: لَوِ ادَّعى عَلَى رَجُلٍ أَنَّهُ غَصَبَهُ أَوْ سَرَقَ مِنْهُ، وَلَمْ يَكُنِ المُدَّعَى عَلَيْهِ مُتَّهَمًا بِذَلِكَ لَمْ يُسْتَحْلَفِ المُدَّعَى عَلَيْهِ. بَلْ عِنْدَهُ أَنَّ المُدَّعَى عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ أَوْ مِمَّنْ لا يُشَارُ إِلَيْهِ بِذَلِكَ أُدِّبَ المُدَّعِي.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٢)، ومسلم (١٧١١).







الحديث الرابع والثلاثون

رَوى الإِمَامُ النَّوَوِيُّ بِسَنَدِهِ إِلى الإِمَامِ مُسْلِمٍ ـ رَحِمَهُ الله تَعَالَى ـ بِسَنَدِهِ عَنْ طَارِقِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلاةِ مَرْوَانُ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: الصَّلاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، فَقَالَ: قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ. فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»**(١).

❁ ❁ ❁

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: إِذَا رَأى المُسْلِمُ فِعْلَ حَرَامٍ أَوْ إِهْمَالَ وَاجِبٍ فَلا يَنْبَغِي لَهُ السُّكُوتُ عَنْهُ وَالرِّضَا بِهِ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي إِزَالَةُ المنْكَرِ وَإِقَامَةُ الْوَاجِبِ بِالْفِعْلِ وَالتَّنْفِيذِ، فَإِنْ عَجَزَ المسْلِمُ عَنْ ذَلِكَ، فَلْيُعْلِنْ مُعَارَضَتَهُ بِقَوْلٍ أَوْ وَعْظٍ أَوْ اسْتِغَاثَةٍ أَوْ تَذْكِيرٍ، فَإِنْ عَجَزَ عَنْ فِعْلِ ذَلِكَ، فَلَيْسَ لَهُ إِلا أَنْ يَكْرَهَ هَذَا الأَمْرَ وَيَمْقُتَهُ بِقَلْبِهِ، وَيَعْتَذِرَ إِلَى الله تَعَالَى عَنْ عَجْزِهِ فِي إِزَالَتِهِ أَوْ التَّذْكِيرِ وَالنُّصْحِ مِنْ أَجْلِ إِزَالَتِهِ، وثَوَابُهُ أَضْعَفُ مِنْ ثَوَابِ مَنْ سَبَقَهُ مِمَّنْ غَيَّرَ المنْكَرَ بِلِسَانِهِ أَوْ غَيَّرَهُ بِيَدِهِ.

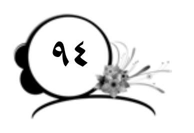
ثانيا: المرَادُ بِـ «مَنْ رَأَى»؛ أَيْ: مَنْ رَآهُ بِعَيْنِهِ، أَوْ عَلِمَهُ يَقِينًا وَإِنْ لَمْ يَرَهُ بِعَيْنِهِ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ قَالَ إِنَّ الإِنْكَارَ مَتَعَلِّقٌ بِالرُّؤْيَةِ، فَإِنْ كَانَ مَسْتُورًا وَلَمْ يَرَهُ فَلا يَتَعَرَّضُ لَهُ، وَلا يُفَتِّشُ عَمَّا اسْتَرَابَ بِهِ.

ثالثا: قَبْلَ إِزَالَةِ المنْكَرِ، لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُنْكَرًا وَاضِحًا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ الجَمِيعُ لا خِلافَ حَوْلَهُ؛ حَتَّى لا يُصْبِحَ المجْتَمَعُ سَاحَةً تُحَارَبُ فِيهَا أُمُورٌ مَشْرُوعَةٌ، ظَنًّا أَنَّهَا مُنْكَرٌ، لِمُجَرَّدِ أَنَّ هَذَا الشَّخْصَ اعْتَبَرَهَا ـ حَسْبَ مَذْهَبِهِ أَوْ رَأْيِهِ ـ مُنْكَرًا.

رابعا: قَوْلُهُ ﷺ عَنْ إِنْكَارِ الْقَلْبِ: **«إِنَّهُ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»** دَلَّ عَلَى أَنَّ الأَمْرَ بِالمعْرُوفِ

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).



وَالنَّهْيَ عَنِ المنْكَرِ مِنْ خِصَالِ الإِيمَانِ، فَهَذَا الإِيمَانُ لَهُ مَرَاتِبُ، فَالتَّغْيِيرُ بِالْيَدِ عَمَلٌ وَمَرْتَبَةٌ، وَباللِّسَانِ عَمَلٌ وَمَرْتَبَةٌ، وَبِالْقَلْبِ نِيَّةٌ.

خامساً: هَلْ قَوْلُهُ: «**فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ**» لِكُلِّ إِنْسَانٍ ؟ ظَاهِرُ الحَدِيثِ أَنَّهُ لِكُلِّ مَنْ رَأَى مُنْكَرًا، لَكِنْ إِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْقَوَاعِدِ الْعَامَّةِ، رَأَيْنَا أَنَّهُ لَيْسَ عَامًّا لِكُلِّ إِنْسَانٍ فِي مِثْلِ عَصْرِنَا هَذَا؛ لأَنَّنَا لَوْ قُلْنَا بِذَلِكَ لَكَانَ كُلُّ إِنْسَانٍ يَرَى شَيْئًا يَعْتَقِدُهُ مُنْكَرًا يَذْهَبُ وَيُغَيِّرُهُ، وَقَدْ لَا يَكُونُ مُنْكَرًا فَتَحْصُلُ الْفَوْضَى بَيْنَ النَّاسِ.

سابعاً: الإِنْكَارُ بِالْقَلْبِ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ حَالٍ، وَأَمَّا الإِنْكَارُ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ فَبِحَسَبِ الْقُدْرَةِ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِيقِ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالمعَاصِي، ثُمَ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا فلا يُغَيِّروا، إِلا يُوشك أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ**»(١).



(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤٠)، والترمذي (٢١٦٨)، وقال: «حديث صحيح»، وصححه الألباني.



الحديث الخامس والثلاثون

رَوى الإِمَامُ النَّوَوِيُّ بِسَنَدِهِ إِلى الإِمَامِ مُسْلِمٍ - رَحِمَهُ الله تَعَالَى - بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«لا تَحَاسَدُوا، وَلا تَنَاجَشُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَلا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا. المسْلِمُ أَخُو المسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ، وَلا يَخْذُلُهُ، وَلا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَاهُنَا** - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ - **بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المسْلِمَ. كُلُّ المسْلِمِ عَلَى المسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»**(١).

❁ ❁ ❁

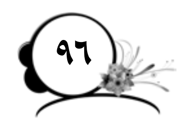
اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: «لا تَحَاسَدُوا... وَلا تَبَاغَضُوا...». لَيْسَ مُصَادَفَةً أَنْ يَبْدَأَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَنْهِيَّاتِهِ بِالحَسَدِ؛ لأَنَّهُ الدَّاءُ النَّفْسِيُّ الخَطِيرُ، وَالْبَاعِثُ لِلْمَرْءِ عَلَى ارْتِكَابِ الإِثْمِ الْكَبِيرِ؛ حَيْثُ يَبْدَأُ حَدِيثًا نَفْسِيًّا، ثُمَّ تَتَأَجَّجُ نِيرَانُهُ فِي مَيْدَانِ الْوَاقِعِ الملْمُوسِ لِتَأْتِيَ عَلَى الأَخْضَرِ وَالْيَابِسِ، وإتلاف الزَّرْعِ وَالضَّرْعِ، وَهَذِهِ كَفِيلَةٌ بِغَرْسِ الشَّحْنَاءِ وَالتَّقَاطُعِ وَالتَّدَابُرِ.

ثانيا: أَقْسَامُ النَّاسِ مَعَ الحَسَدِ:

- الأَوَّلُ: مَنْ لَا يُمْكِنُهُ إِزَالَةُ ذَلِكَ الحَسَدِ مِنْ قَلْبِهِ وَيَكُونُ مَغْلُوبًا عَلَى ذَلِكَ، فَلا يَأْثَمُ بِهِ، بِشَرْطِ بَذْلِ الْجُهْدِ فِي طَرْدِهِ عَنِ النَّفْسِ وَتَطْهِيرِهَا مِنْهُ.
- الثَّانِي: مَنْ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِالحَسَدِ اخْتِيارًا، وَيَظَلُّ يُعِيدُهُ وَيُبْدِئُهُ فِي نَفْسِهِ سَعِيدًا مُتَمَنِّيًا زَوَالَ نِعْمَةِ أَخِيهِ، فَهَذَا شبِيهٌ بِالْعَزْمِ المُصَمِّمِ عَلَى المعْصِيَةِ.
- الثَّالِثُ: قِسْمٌ إِذَا رَأى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ سَعَى فِي اكْتِسَابِ مِثْلِ فَضَائِلِهِ وَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ، فَإِنْ كَانَتِ الْفَضائِلُ دُنْيَوِيَّةً بَحْتَةً، فَلا فَضْلَ فِي ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَتْ فَضَائِلَ دِينِيَّةً فَهُوَ حَسَنٌ.
- الرَّابِعُ: قِسْمٌ إِذَا وَجَدَ فِي نَفْسِهِ الحَسَدَ سَعَى فِي إِزَالَتِهِ، وَفِي الإِحْسَانِ إِلَى المحْسُودِ

(١) أخرجه البخاري -بعضه- (٥٧١٨)، ومسلم (٢٥٦٤)، وأبو داود (٤٩١٠)، والترمذي (١٩٣٥).



بِإِبْدَاءِ الإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَالدُّعَاءِ لَهُ وَنَشْرِ فَضائِلِهِ.

ـ الخامِسُ: مَنْ يَسْعَى فِي زَوَالِ نِعْمَةِ الْـمَحْسُودِ بِالْبَغْيِ عَلَيْهِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَهَذَا هُوَ الحَسَدُ المذْمُومُ المنْهِيُّ عَنْهُ.

ثالثا: «لا تَحَاسَدُوا...» أَهْلُ الدُّنْيَا يَحْسُدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لأَجْلِ مَتَاعِ الدُّنْيَا، وَيَكِيدُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فِي ذَلِكَ، وَكَمَا قِيلَ:

حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ فَالْقَوْمُ أَعْدَاءٌ لَهُ وَخُصُومُ
كَضَرَائِرِ الحَسْنَاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا حَسَدًا وَبُغْضًا: إِنَّهُ لَذَمِيمُ

أَمَّا أَنْ يَحسُدَ عَالِمٌ عَالِمًا آخَرَ فَتِلْكَ هِي الطَّامَّةُ، وَمَرَدُّ ذَلِكَ إِلَى: التَّطَلُّعَاتِ الشَّخْصِيَّةِ وَالْحُظُوظِ النَّفْسِيَّةِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – فِي هَذَا الْـمِضْمَارِ: لا تَقْبَلُوا قَوْلَ الْعُلَمَاءِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، فَإِنَّهُمْ يَتَغَايَرُونَ، وَالغِيرَةُ فَرْعٌ مِنَ الحَسَدِ إِنْ لَمْ تَكُنْهُ.

رابعا: مِمَّا يُحْكَى مِنْ قَصَصِ الحَسَدِ مَا حَكَاهُ ابْنُ خِلِّكَانَ فيما جَرَى مَرَّةً بَيْنَ قُطْبَي النَّحْوِ: الْكِسَائِيِّ وَسِيبَوَيهِ، فَقَالَ: وَرَدَ سِيبَوَيْهِ إِلَى بَغْدَادَ مِنَ الْبَصْرَةِ وَالْكِسَائِيُ يُعَلِّمُ الأَمِينَ ـ ابْنَ هَارُونَ الرَّشِيدِ ـ فَجَمَعَ هَارُونُ بَيْنَهُمَا، وَتَنَاظَرَا فِي قَوْلِ الْقَائِلِ: كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الزَّنْبُورَ أَشَدُّ لَسْعًا مِنَ النَّحْلَةِ فَإِذَا هُوَ هِي، أَوْ هو إِيَّاهَا. قَالَ الكِسَائِيُّ: هو إِيَّاهَا، وَقَالَ سِيبَوَيْهِ: هو هيَ. فَأَصَرَّ كُلٌّ عَلَى رَأْيِهِ حَتَّى اتَّفَقَا عَلَى مُرَاجَعَةِ عَرَبِيٍّ خَالِصٍ لا يشوُب كلا َ مهُ شَيْءٌ مِنْ كَلام أَهْلَ الحَضَرِ. وَكَان الأَمِينُ شَدِيدَ الْعِنَايَةِ بِالْكِسَائِيِّ لِكَوْنِهِ مُعَلِّمَهُ، فَاسْتَدْعَى عَرَبِيًا وَسَأَلَهُ، فَقَالَ كَمَا قَالَ سِيبَوَيهِ «هو هى»، فَقَالَ لَهُ الأَمِينُ: نُرِيدُ أَنْ تَقُولَ كَمَا قَالَ الْكِسَائِيُّ، فَقَالَ: إِنَّ لِسَانِي لا يُطَاوِعُنِي عَلَى ذَلِكَفإنه َّمْا يَسبقِ ُ إلا الصَّوابُ، فَقَرَّرُوا مَعَهُ أَنَّ شَخْصًا يَقُولُ: قَالَ سِيبَوَيْهِ كَذَا، وَقَالَ الْكِسَائِيُّ كَذَا، فَالصَّوَابُ مَعَ مَنْ مِنْهُمَا؟ فَيَقُولُ الأَعْرَابِيُّ: الصَّوابُ مَعَ الْكِسَائِيِّ، فَقَالَ: هَذَا يُمْكِنُ، وَتَمَّ مَا أَرَادُوا.

فَعَلِمَ سِيبَوَيْهِ أَنَّهُمْ تَحَامَلُوا عَلَيْهِ وَتَعَصَّبُوا مَعَ الْكِسَائِيِّ ضِدَّهُ، فَخَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ مَغْمُومًا. وهَكَذاَ ضَاَعَ الحقَ ُّ ، وَقِيلَ: إِنَّهَا كَانَتْ سَبَبَ وَفَاةِ سِيبَوَيْهِ.

خامسا: النَّجْشُ: هُوَ الزِّيَادَةُ عَلَى ثَمَنِ السِّلْعَةِ مِنْ أَجْلِ الإِضْرَارِ، لَكِنْ يُمْكِنُ أَنْ نَفْهَمَ مَعْنَى التَّنَاجُشِ بِصُورَةٍ أَعَمَّ وَهِي: لا تَتَخَادَعُوا، وَلَا يُعَامِلُ بَعْضُكُمْ بَعضًا بِالمكرِ وَالْحِيلَةِ،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾(1)، فَيَدْخُلُ فِي التَّنَاجُشِ جَمِيعُ أَنْوَاعِ المعَامَلاتِ الَّتِي فِيهَا إِضْرَارٌ كَالْغِشِّ وَنَحْوِهِ.

سادسا: أَنَّ الْمُؤْمِنَ مَأْمُورٌ أَنْ يُعَامِلَ أَخَاهُ فِي الإِسْلامِ بِمَا يُوجِبُ تَآلُفَ الْقُلُوبِ وَاجْتِمَاعَهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾(2). وَمِنْ هُنَا نَهَى الشَّرْعُ عَمَّا يُسَبِّبُ تَنَافُرَ الْقُلُوبِ وَاخْتِلافَهَا، وَمِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ التَّنَافُرِ وَالاخْتِلافِ: الظُّلْمُ، وَالْخِذْلانُ، والْكَذِبُ، وَالتَّكْذِيبُ، وَالاحْتِقَارُ.

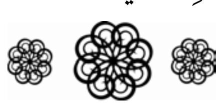
سابعا: احْتِقَارُ المسْلِمِ لأَخِيهِ المسْلِمِ يَكُونُ نَاشِئًا عَنِ الْكِبْرِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**»(3)، وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: «**الْكِبْرُ سَفَهُ الْحَقِّ، وَازْدِرَاءُ النَّاسِ**»(4)، وَفِي رِوَايَةٍ زِيَادَةُ: «**فَلا يَرَاهُمْ شَيْئًا**»(5)، وَغَمْطُ النَّاسِ: الطَّعْنُ عَلَيْهِمْ وَازْدِرَاؤُهُمْ، وَقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾(6)، فَالمتَكَبِّرُ يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ بِعَيْنِ الْكَمَالِ، وَإِلَى غَيْرِهِ بِعَيْنِ النَّقْصِ، فَيَحْتَقِرُهُم وَيَزْدَرِيهِمْ، وَلا يَرَاهُمْ أَهْلاً لأَنْ يَقُومَ بِحُقُوقِهِمْ، وَلا أَنْ يَقْبَلَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمُ الْحَقَّ إِذَا أَوْرَدَهُ عَلَيْهِ.

مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَالسَّلَفِ فِي مَعْنَى الحَدِيثِ الشَّرِيفِ:

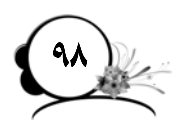
ـ قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ: «لِيَكُنْ حَظُّ المؤْمِنِ مِنْكَ ثَلاثَةً: إِنْ لَمْ تَنْفَعْهُ فَلا تَضُرَّهُ، وإِنْ لَمْ تُفْرِحْهُ فَلا تَغُمَّهُ، وَإِنْ لَمْ تَمْدَحْهُ فَلا تَذُمَّهُ».

ـ قَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: «اجْعَلْ كَبِيرَ المسْلِمِينَ عِنْدَكَ أَبًا، وَصَغِيرَهُمْ ابْنًا، وَأَوْسَطَهُمْ أَخًا، فَأَيُّ أُولَئِكَ تُحِبُّ أَنْ تُسِيءَ إِلَيهِ؟».

ـ قَالَ الحسَنُ -رضي الله عنه- : «المُصَافَحَةُ تَزِيدُ فِي الموَدَّةِ».



(1) فاطر: ٤٣.
(2) الحجرات: ١٠.
(3) أخرجه مسلم (٩١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(4) أخرجه أحمد (١/ ٣٩٩) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٣٧٨٩): «إسناده صحيح».
(5) ذكرها الحافظ ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم (١/ ٣٣٣)، ط. الرسالة.
(6) الحجرات: ١١.







رَوى الإِمَامُ النَّوَوِيُّ بِسَنَدِهِ إِلى الإِمَامِ مُسْلِمٍ -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- بِسَنَدِهِ إِلى أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله يَتْلُونَ كِتَابَ الله وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الملائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»(١).

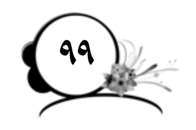
❁ ❁ ❁

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: إِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَ- أَوْلَى بِالتَّيْسِيرِ مِنْ أَيِّ أَحَدٍ، فَمَنْ يَسَّرَ عَلَى أَخِيهِ، وَجَدَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- عَوْنًا لَهُ وَنَصِيرًا وَمُيَسِّرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا، فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ الله -عَزَّ وَجَلَّ- يَتَجَاوَزُ عَنَّا، فَلَقِيَ اللهَ وَتَجَاوَزَ عَنْهُ**»، وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: «**قَالَ الله – سبحانه- لَنَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ**»(٢).

ثانيا: إِنَّ سَتْرَ المسْلِمِ أَمْرٌ عَظِيمٌ فِي الدِّينِ، رُوِيَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ: «أَدْرَكْتُ قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عُيُوبٌ، فَذَكَرُوا عُيُوبَ النَّاسِ، فَذَكَرَ النَّاسُ لَهُمْ عُيُوبًا، وَأَدْرَكْتُ قَوْمًا كَانَتْ لَهُمْ عُيُوبٌ فَكَفُّوا عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، فَنُسِيَتْ عُيُوبُهُمْ».

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، والترمذي (٢٩٤٥)، وابن ماجه (٢٢٥).
(٢) أخرجه مسلم (١٥٦١).



ثالثا: النَّاسُ عَلَى ضَرْبَيْنِ:

ـ أَحَدُهُمَا: مَنْ كَانَ مَسْتُورًلا يعُرْفُ بِشَيْءٍ مِنَ المعَاصِي، فَإِذَا وَقَعَتْ مِنْهُ هَفْوَةٌ أَوْ زَلَّةٌ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ هَتْكُهَا وَلَا كَشْفُهَا وَلا التَّحَدُّثُ بِهَا.

ـ وَثَانِيهِمَا: مَنْ كَانَ مُشْتَهَرًا بِالمعَاصِي مُعْلِنًا بِهَا، لا يُبَالِي بِمَا ارْتَكَبَ مِنْهَا وَلا بِمَا قِيلَ لَهُ، فَهَذَا هُوَ الْفَاجِرُ المعْلِنُ، وَلَيْسَتْ لَهُ غِيبَةٌ.

رابعا: ذَكَرَ ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ مَعْنًى طَرِيفًا لِلسَّتْرِ، قَالَ: «قَدْ يَكُونُ المرَادُ بِالسَّتْرِ: سَتْرِ عَوْرَتِهِ الْحِسِّيَّةِ وَالمعْنَوِيَّةِ، وَذَلِكَ بِإِعَانَتِهِ عَلَى سَتْرِ دِينِهِ، كَأَنْ يُكُونَ مُحْتَاجًا لِنِكَاحٍ فَيَتَوَصَّلُ لَهُ فِي التَّزَوُّجِ، أَوْ لِكَسْبٍ فَيَتَوَصَّلُ لَهُ فِي بِضَاعَةٍ يَتَّجِرُ فِيهَا، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ». وَلَوْ أَدْرَكَ المسْلِمُونَ هَذَا المعْنَى، لَحَقَّقُوا بِالْفِعْلِ مَعْنَى الأُخُوَّةِ المقْصُودَةِ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**المسْلِمُ أَخُو المسْلِمِ**»(١).

خامسا: قَوْلُهُ ﷺ: «**مَن بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»: مَعْنَاهُ: أَنَّ الْعَمَلَ هُوَ الَّذِي يَرْفَعُ العَبْدَ فِي دَرَجَاتِ الآخِرَةِ.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «يَأْمُرُ اللهُ بِالصِّرَاطِ، فَيُضْرَبُ عَلَى جَهَنَّمَ، فَيَمُرُّ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ زُمَرًا زُمَرًا، أَوَائِلُهُمْ كَلَمْحِ الْبَرْقِ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، ثُمَّ كَمَرِّ الْبَهَائِمِ، حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ سَعْيًا، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ مَشْيًا، وَحَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يَتَلَبَّطُ عَلَى بَطْنِهِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، كَمْ بَطَّأْتَ بِي، فَيَقُولُ: إِنِّي لَمْ أُبَطِّئْ بِكَ، إِنَّمَا بَطَّأَ بِكَ عَمَلُكَ»(٢).

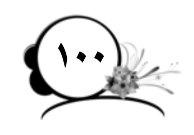
سادسا: مَنْ كَانَ خُلُقُهُ خِدْمَةَ النَّاسِ وَمُسَاعَدَتَهُمْ، فَبِشَارَتُهُ أَنْ يُخْتَمَ لَهُ بِخَيْرٍ وَيمُوتَ عَلَى الإِيمَانِ.

سابعا: الإِحْسَانُ إِلَى الخَلْقِ عَامٌّ فِي المسْلِمِ وَغَيْرِهِ، خَاصَّةً الَّذِي لا يُنَاصِبُ المسْلِمِينَ الْعَدَاءَ، فَالإِحْسَانُ إِلَيْهِ مَطْلُوبٌ مِنْ بَابِ دَعْوَتِهِ وَاحْتِرَامِ إِنْسَانِيَّتِهِ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ، وَرُبَّمَا تَعَدَّى لِكُلِّ مَخْلُوقٍ ذِي رُوحٍ.

ثامنا: التَّيْسِيرُ عَلَى المُعْسِرِ فِي الدُّنْيَا مِنْ جِهةِ المالِ يَكُونُ بَأَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا بِإِنْظَارِهِ إِلَى

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) عن ابن عمر –رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ٣٥٤) (٩٧٦١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٩٨، ٤٩٩) عن عبد الله بن مسعود موقوفًا، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٣٠): «رواه الطبراني وهو موقوف».



الميْسَرَةِ، وَذَلِكَ وَاجِبٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾(١)، وَتَارَةً بِالوَضْعِ عَنْهُ إِنْ كَانَ غَرِيمًا، وَإِلا فَبِإِعْطَائِهِ مَا يَزُولُ بِهِ إِعْسَارُهُ، وَكِلاهُمَا لَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ.

تاسعا: قَوْلُهُ ﷺ: «**سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ**»، قَدْ يُرَادُ بِذَلِكَ أَنَّ اللهَ يُسَهِّلُ لَهُ الْعِلْمَ الَّذِي طَلَبَهُ، وَسَلَكَ طَرِيقَهُ، وَيُيَسِّرُه عَلَيْهِ فإِنَ الْعلْمَ طَرِيقٌ مُوَصِّلٌ إِلَى الجَنَّةِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾(٢).

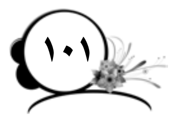
عاشرا: قَوْلُهُ: «**وَمَا جَلَسَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله يَتْلُونَ كِتَابَ الله وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الملائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**». هَذَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْجُلُوسِ فِي المسَاجِدِ لِتِلاوَةِ الْقُرْآنِ وَمُدَارَسَتِهِ.

ـ كَانَ عُمَرُ يَتَعَاهَدُ الأَرَامِلَ فَيَسْتَقِي لَهُنَّ الماءَ بِاللَّيْلِ، وَرَآهُ طَلْحَةُ بِاللَّيْلِ يَدْخُلُ بَيْتَ امْرَأَةٍ، فَدَخَلَ إِلَيْهَا طَلْحَةُ نَهَارًا، فَإِذَا هِيَ عَجُوزٌ عَمْيَاءُ مُقْعَدَةٌ، فَسَأَلَهَا: مَا يَصْنَعُ هَذَا الرَّجُلُ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: هَذَا لَهُ مُنذُ كَذَا وَكَذَا يَتَعَاهَدُنِي، يَأْتِينِي بِمَا يُصْلِحُنِي، وَيُخْرِجُ عَنِّي الأَذَى. فَقَالَ طَلْحَةُ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا طَلَحَةُ، عَثَرَاتِ عُمَرَ تَتَّبِعُ؟



(١) البقرة: ٢٨٠.

(٢) القمر: ١٧.





الحديث السابع والثلاثون

رَوى الإِمَامُ النَّوَوِيُّ بِسَنَدِهِ إِلى الإِمَامِ مُسْلِمٍ - رَحِمَهُ الله تَعَالَى - بِسَنَدِهِ إِلى ابْنِ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما- عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله سَيِّئَةً وَاحِدَةً**»(١).

❁ ❁ ❁

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: مِنَ الأَحْكَامِ المُتَعَلِّقَةِ بِالحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ:

النوع الأول: عَمَلُ الحَسَنَةِ تُضَاعَفُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ.

النوع الثاني: عَمَلُ السَّيِّئَةِ: تُكْتَبُ سَيِّئَةً دُونَ مُضَاعَفَةٍ، وَقَدْ تَعْظُمُ السَّيِّئَةُ أَحْيَانًا لِشَرَفِ المكَانِ أَوْ الزَّمَانِ.

النوع الثالث: الْهَمُّ بِالحَسَنَةِ: تُكْتَبُ حَسَنَةً كامِلَةً وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْهَا.

النوع الرابع: الْهَمُّ بِالسَّيِّئَةِ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ لَهَا: تُكْتَبُ حَسَنَةً كَامِلَةً إِذا تَرَكَهَا لله تَعَالَى.

ثانيا: هَمُّ المسْلِمِ بِالحَسَنَةِ ثُمَّ تَرْكُهَا، لَهُ وُجُوهٌ:

ـ الوجه الأَوَّلُ: أَنْ يَسْعَى قَدْرَ طَاقَتِهِ ثُمَّ لا يُدْرِكُهَا فهذَا يكتُبْ لَه الأَجرَ كَاملاً.

ـ الوجه الثَّانِي: أَنْ يهمَّ بِالحَسَنَةِ وَيَعْزِمَ عَلَيْهَا، لَكِنَّهُ يَتْرُكُهَا لِحَسَنَةٍ أَفْضَلَ مِنْهَا، فَهَذَا لَهُ فَضْلُ وَثَوَابُ الحَسَنَةِ الْعُلْيَا الَّتِي ذَهَبَ لَهَا، وَيُثَابُ أَيْضًا عَلَى هَمِّهِ الأَوَّلِ الَّذِي تَرَكَهُ.

ـ الوجه الثَّالِثُ: أَنْ يَهتَمّ يتْرُكُ مَا هَمَّ بَهَ تِكَاسَلاً، فَهَذَا يُثَابُ عَلَى هَمِّهِ وَعَزْمِهِ فَقَطْ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٢٦)، ومسلم (١٣١)، واللفظ له.



ثالثا: الْهَمُّ بِالسِّيِّئَةِ لَهُ أَحْوَالٌ:

ـ الحالة الأُولَى: أَنْ يَهِمَّ وَيَعْزِمَ عَلَى السَّيِّئَةِ، ثُمَّ يُرَاجِعُ نَفْسَهُ وَيَتْرُكَهَا لله - عَزَّ وَجَلَّ - فَهَذَا يُؤْجَرُ عَلَيْهِ، فَتُكْتَبُ لَهُ حَسَنَةٌ كَامِلَةٌ.

ـ الحالة الثَّانِيةُ: أَنْ يَهِمَّ بِالسَّيِّئَةِ وَيَتَّخِذَ كُلَّ أَسْبَابِ الْقِيَامِ بِهَا، ثُمَّ يَعْجَزَ عَنْ فِعْلِهَا، فَهَذَا يكتُبُ عليه وزر السيئة كاملا .

ـ الحالة الثَّالِثَةُ: أَنْ يَهِمَّ بِالسَّيِّئَةِ ثُمَّ يَتْرُكَهَا، لا لله وَلا لِلْعَجْزِ، فَهَذَا لا لَهُ وَلا عَلَيْهِ.

رابعا: مُضَاعَفَةُ ثَوَابِ الحَسَنَاتِ تَكُونُ بِأُمُورٍ، مِنْهَا:

أ ـ الزَّمَانُ: مِثْلُ الْعَمَلِ فِي رَمَضَانَ، أَوْ جَوْفِ اللَّيْلِ، أَوِ الْعَشْرِ الأُوَّلِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَغَيْرِهَا.

ب ـ المكَانُ: فالصلاةُ فِي المسْجِدِ الحَرَامِ وَالمسْجِدِ النَّبَوِيِّ وَالمسْجِدِ الأَقْصَى فِيهَا مِنَ الثَّوَابِ مَا يَزِيدُ عَلَى الصَّلاةِ فِي أَيِّ مَكَانٍ آخَرَ.

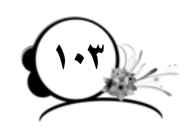
جـ ـ مَدَى الإِخْلاصِ فِي الْعَمَلِ، وَالْقَصْدِ فِي النِّيَّةِ.

خامسا: مُضَاعَفَةُ الحَسَنَاتِ زِيَادَةً عَلَى الْعَشْرِ تَكُونُ بِحَسَبِ حُسْنِ الإِسْلامِ، وَبِحَسَبِ كمَالَ الإِخلاصِ، وَبِحَسَبِ فَضْلِ ذَلِكَ الْعَمَلِ فِي نَفْسِهِ، وَبِحَسَبِ الحَاجَةِ إِلَيْهِ.

ـ قَالَ قَتَادَةُ: «الظُّلْمُ فِي الأَشْهُرِ الْحُرُمِ أَعْظَمُ خَطِيئَةً وَوِزْرًا فِيمَا سِوَى ذَلِكَ».

ـ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ -رضي الله عنه-: «مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى يُصْبِحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى».







الحديث الثامن والثلاثون

رَوى الإِمَامُ النَّوَوِيُّ بِسَنَدِهِ إِلى الإِمَامِ الْبُخَارِيِّ - رَحِمَهُ الله تَعَالَى - بِسَنَدِهِ إلى أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المؤْمِنِ يَكْرَهُ الموْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»(١).

❁ ❁ ❁

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: «فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ»؛ يَعْنِي: قَدْ أَعْلَمْتُهُ أَنِّي مُحَارِبٌ لَهُ؛ حَيْثُ كَانَ مُحَارِبًا لِي بِمُعَادَاتِهِ أَوْلِيَائِي، فَأَوْلِيَاءُ الله تَجِبُ مُوَالاتُهُم وَتَحْرُمُ مُعَادَاتُهُمْ، كَمَا أَنَّ أَعْدَاءَهُ تَجِبُ مُعَادَاتُهُمْ وَتَحْرُمُ مُوَالاتُهُمْ.

ثانيا: إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا، كَانَ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِر بِهِ، أَيْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُسَدِّدُهُ فِي سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَرِجْلِهِ، وَلا يَهْدِيهِ إِلَّا لِمَا يُرْضِيه؛ فلا يَسْمَعُ الإِنْسَانُ إِلاَّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَلَا يُبْصِرُ إِلَّا مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَهَكَذَا فِي سَائِرِ الحَوَاسِّ.

ثالثا: وَلايَةُ الله تَعَالَى.

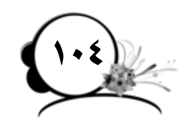
أ ـ وَلايَةٌ عَامَّةٌ: وَهِيَ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ تَدْبِيرًا وَقِيَامًا بِشُؤُونِهِمْ.

ب ـ وَلايَةٌ خَاصَّةٌ: لِعِبَادِ الله المتَّقِينَ الَّذِينَ جَاءَ ذِكْرُ أَوْصَافِهِم فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) يونس: ٦٢، ٦٣.



رابعا: يَقُولُ عَلِيٌّ -رضي الله عنه-: «المتَّقُونَ هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ، مَلْبَسُهُمْ الاقْتِصَادُ، مِشْيَتُهُمْ التَّوَاضُعُ، خُلُقُهُم الأَمْرُ بِالمعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ». فَهَذِهِ صِفَاتٌ جَلِيلَةٌ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ هُمْ أَوْلِياءُ الله عَزَّ وَجَلَّ.

خامسا: الأَعْمَالُ مِنْ حَيْثُ الْجِنْسِ تَتَفَاضَلُ كَتَفَاضُلِهَا مِنْ حَيْثُ النَّوْعِ، فَمِنْ حَيْثُ الْجِنْسِ: الْفَرَائِضُ أَحَبُّ إِلَى الله مِنَ النَّوَافِلِ. وَمِنْ حَيْثُ النَّوْعِ: الصَّلاةُ أَحَبُّ إِلَى الله مِمَّا دُونَهَا مِنَ الْفَرَائِضِ، وَكَذَلِكَ تَتَفَاضَلُ الأَعْمَالُ فِي أَفْرَادِهَا، فَكَمْ مِنْ رَجُلَيْنِ صَلَّيَا صَلاةً وَاحِدَةً وَاخْتَلَفَتْ مَرْتَبَتُهُمَا وَمَنْزِلَتُهُمَا عِنْدَ الله تَعَالَى.

سادسا: أَفْضَلُ أَوْلِيَاءِ الله، هُمُ الأَنْبِياءُ وَالرُّسُلُ، ثُمَّ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ، ثم الَّذِينَ يعملون بِكِتَابِ الله وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ.

سابعا: لِلْوَلَايَةِ رُكْنَانِ لابُدَّ مِنْ تَحَقُّقِهِمَا: الإِيمَانُ بِالله، وَالتَّقْوَى.

ـ قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: «كَذَبَ مَنِ ادَّعَى مَحَبَّتِي، وَنَامَ عَنِّي، أَلَيْسَ كُلَّ مُحِبٍّ يُحِبُّ خَلْوَةَ مَحْبُوبِهِ؟».

ثامنا: إنَّ مَن ادَّعَى طريقًا يوصّل إلى القربِ منَ الله تعالى بغيرِ طاعتِهِ ومحبتِهِ التي شرعَها على لسانِ رسولِهِ، تبيَّنُ أنهُ كاذبٌ في ادِّعَائِهِ، فالمشركونَ كانوا يعلنونَ تقرّبهَم إلى الله وطاعتِهِ، ومعَ هذا لَمْ ينفعهُم إعلانهُم هذا؛ لأَنَّهمْ تقرَّبُوا إليهِ بما لا يجوزُ التقرُّب بهِ، قالَ تعالى عنِ المشركينَ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾(1).

من أقْوالِ الْعلماءِ والسَّلَف في مَعْنى الْحديث الشَّريف:

ـ سُئِلَ المرتعشُ: بمَ تنالُ المحبةُ؟ قالَ: بموالاةِ أولياءِ اللهِ، ومعاداةِ أعدائهِ وأصلُهُ الموافقةُ.

ـ **قالَ الفضيلُ بنُ عياضٍ**: إنَّ الله تعالى يقولُ: «كَذَبَ مَن ادَّعَى محبتي ونامَ عني أليسَ كلَّ مُحبٍّ يحبُّ خلوةَ محبوبهِ؟».

فائدة ابن العطار:

قولهُ عزَّ وجلَّ: «وماَ تقربَ إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ ...» فإنهُ يشيرُ إلى أنْ لا تقدمُ نافلةٌ على فريضةٍ، وإنما تسمى النافلة نافلةً، أي: إذا أديتِ الفريضةُ أو قضيتِ الفريضةُ، وإلا فلا يتناولُها اسمُ نافلةٍ.

---

(1) الزمر: ٣.







رَوى الإمَامُ النَّوويُّ بِسَنَدِهِ إلى الإمَامِ ابْنِ مَاجَة - رَحِمَهُ الله تَعَالَى - بِسَنَدِهِ إلى ابنِ عَبَّاسٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**»(١).

❁ ❁ ❁

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: لَقَدْ كَانَ فَضْلُ الله عَظِيمًا عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ إِذْ خَفَّفَ عَنْهَا مَا كَانَ يُؤْخَذُ بِهِ غَيْرُهَا مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ، مِنْ أَحْكَامٍ وَعُقُوبَاتٍ وَآثَامٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ حكاية عِبَادِهِ المؤْمِنِينَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ﴾(٢).

ثانيًا: إنَّ الْمُتَجَاوَزَ عنهُ في الأعمالِ هوَ الإثْمُ، لا كُلُّ ما يترتبُ عليهِ، فقدْ يترتبُ على الخطأ أو النسيانِ أحكامٌ، منها: المؤاخذةُ، أو ضمانُ ما أُتلفَ ونحوُ ذلكَ، فالتَّجَاوُزُ يكونُ عَنْ عقابِ الإثْمِ، لكنْ عليهِ إدراكُ وإصلاحُ ما أفسدهُ.

ثالثًا: الخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ: كِلاهُمَا مَعْفُوٌّ عَنْهُ، فَلا إِثْمَ فِيهِ، ولكنْ كَما قُلْنا رفعُ الإثم لا ينافي أنْ يترتبَ على نسيانهِ حكمٌ لمنْ نسيَ الوضوءَ وصلَّى ظانًا أنَّه مُتَطَهِّرٌ فلا إثْمَ عليهِ بذلكَ، لكنْ إنْ تبيَّنَ لهُ بعدَ ذلكَ أنَّهُ كانَ قدْ صلَّى مُحْدِثًا ناسيًا للوضوءِ، فإنَّ عليهِ الإعادةَ.

رابعًا: الـمُكْرَهُ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ نَوْعَانِ:

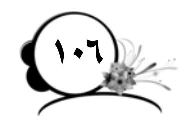
أحدُهما: مَنْ لا اختيارَ لهُ بالكليَّةِ ولا قُدْرَة لهُ على الامتناعِ، كَمَنْ حُمِلَ كَرْهًا وأُدْخلَ في مكانٍ حلفَ قبلَ ذلكَ على الامتناعِ مِنْ دخولهِ.

الثَّاني: مَنْ أكرهَ على أن يسيءَ أو يؤذيَ غيرَهُ، فهوَ مختارٌ مِنْ وجهٍ وغيرُ مختارٍ من وجهٍ آخر، ولهذا اختلفَ الناسُ هلْ هوَ مكلفٌ أمْ لا؟ لكنِ اتفقوا على أنَّهُ لو أُكرِهَ على قتلِ معصومٍ، لَمْ يصحَّ لهُ أن يقتلهُ. على تفصيلٍ للعلماءِ في هذه المسألةِ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥)، وصححه الألباني.

(٢) البقرة: ٢٨٦.



خامساً: لا يُعْذَرُ النَّاسِي فِي بَعْضِ أَمُورِ النِّسْيَانِ، مِثْل: رُؤْيَةِ النَّجَاسَةِ فِي الثَّوْبِ وَإِهْمَالِ إِزالَتِهَا، ثُمَّ صَلَّى بِهَا نَاسِيًا، فَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ، وَيُعَدُّ مُقَصِّرًا، وكَذَلِكَ مَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَتَعَهَّدْهُ فَنَسِيَهُ يُعدُّ مُقَصِّرًا.

سادساً: فَائِدَةُ التَّكْلِيفِ: أَنَّهُ يُمَيِّزُ الطَّائِعَ مِنَ الْعَاصِي.

سابعًا: يُسْرُ هذا الدِّينِ وعَدَمُ تَأْثِيمِ مَنْ يُخْطِئُ أو يَنْسَى أو يُسْتَكْرَه.

ثامناً: قَسَّمَ الأصوليونَ الخطأَ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

خطأٍ في الأفعالِ، وخطأٍ في القصدِ، وخطأٍ في التقديرِ.

(ومن ذلكَ بعضُ أخطاءِ الأطباءِ)، وذلكَ على صورٍ منها:

أن يتعرفَ الداء، ثم يُصِّفَ الدواء، ثم يَّتبين مَن بْعد أَن الداء غير مُا وصفَ، وأن الدواءَ في غيرِ موضعِه، فلو ماتَ المريضُ نتيجةَ ذلكَ بعدَ أن بذلَ الطبيبُ أقصى الجهدِ، فإنهُ لا مسؤوليةَ على الطبيبِ؛ لأنَّ الفعلَ في الأصلِ مأذونٌ فيهِ فلا موضعَ للضمانِ؛ لأنَّهُ لاَ اعتداءَ، ولو ضَمِنَ لأدى ذلكَ بالأطباءِ أن يُحجموا عن التطبيبِ، وبذلكَ تضيعُ مصلحةٌ عامةٌ، هيَ من فروضِ الكفايةِ.

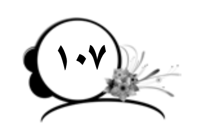
وقدْ يكونُ خطأُ الطبيبِ في جراحةٍ، ومثالُهُ: أنْ يَجرحَ جراحةً فتؤديَ إلى موتِ المجروحِ كمنْ يختنُ طفلا، فيترتبُ على ذلكَ موته فإنه لا تبعةَ.

تاسعاً: «... **وما استكرهوا عليه**...»:

لقدْ ابتليَ المؤمنونَ الأوّلونَ بألوانٍ من العذابِ يَعْجزُ القلمُ عنْ وصفِها، والذهنُ عنْ إدراكِها على أنْ يُعطُوا الدنِيَّة في دينِهم أو يتراجعوا عَنْ عقيدتِهم.. ومع ذلكَ صبرَ الكثيرُ كما في قصة حبيبُ بنُ زيدٍ الأنصاريُّ لما قالَ لهُ مسيلمةُ الكذابُ: أتشهدُ أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ؟ فيقولُ: لا أسمعُ، فلَمْ يزلْ يُقَطِّعهُ إربًا إربًا وهوَ ثابتٌ على ذلكَ.

وذكرَ الحافظُ ابنُ عساكرٍ في ترجمةِ عبدِاللهِ بنِ حذافةَ السهميِّ ـ أحدِ الصحابةِ -رضوانُ اللهِ عليهمْ ـ أَنَّهُ أسرتْهُ الرومُ، فجاؤوا بهِ إلى ملكِهم، فقالَ لهُ: تنَصَّرْ وأنا أُشْركَكَ في مُلْكِي وأُزَوِّجكَ ابنتي.

فقالَ لهُ: لو أعطيتني جميعَ ما تملكُ وجميعُ ما تملكهُ العربُ أنْ أرجعَ عنْ دينِ محمدِ ﷺ طرفةَ عينٍ ما فعلتُ.



فقالَ: إذًا أقتلكَ، فقالَ: أنتَ وذاكَ.

لطائف من حياة رجال السند:

(عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ):

السكوتُ عنَ اللغوِ، والنُطقُ بالحقِ):

قَالَ إِسْمَاعِيلُ بنْ أُمَيَّةَ: كَانَ عَطَاءٌ يُطِيلُ الصَّمْتَ، فَإِذَا تَكَلَّمَ يُخَيَّلُ لَنَا أَنَّهُ يُؤَيَّدُ.

(الشرفُ أَنْ تَسْتَغْنِي عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ):

قَالَ الأَصْمَعِيُّ: دَخَلَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ عَلَى عَبْدِالمَلِكِ، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى السَّرِيرِ، وحَوْلَهُ الأشرافُ، وَذَلِكَ بِمَكَّةَ في وَقْتِ حَجِّهِ فِي خِلافَتِهِ، فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ عَبْدُالمَلِكِ، قَامَ إِلَيْهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ، وَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، حَاجَتُكَ ؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، اتْقِ اللهَ فِي حَرَمِ اللهِ، وَحَرَمِ رَسُولِهِ، فَتَعَاهَدْهُ بِالعِمَارَةِ، وَاتْقِ اللهَ فِي أَوْلادِ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَإِنَّكَ بِهِمْ جَلَسْتَ هَذَا المَجْلِسَ، وَاتْقِ اللهَ فِي أَهْلِ الثُّغُورِ، فَإِنَّهُمْ حِصْنُ المُسْلِمِينَ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ المُسْلِمِينَ، فَإِنَّكَ وَحْدَكَ المَسْؤُولُ عَنْهُمْ، وَاتْقِ اللهَ فِيمَنْ عَلَى بابكَ، فلا تغفلْ عنهمْ، ولا تغلقْ دونَهُمْ بَابَكَ، فَقَالَ لَهُ: أَفْعَلُ، ثُمَّ نَهَضَ وَقَامَ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ عَبْدُالمَلِكِ وَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنَّمَا سَأَلْتَنَا حَوائِجَ غَيْرِكَ، وَقَدْ قَضَيْنَاهَا، فَمَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ: مَالِيَ إِلَى مَخْلُوقٍ حَاجَةٌ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ عَبْدُالمَلِكِ هذا وأبيكَ الشرفُ، هَذَا وَأَبِيكَ السُّؤْدَدُ.

(أَدَبٌ عَظِيمٌ فِي الاسْتِمَاعِ):

رَوَى ابْنُ جُرَيجٍ عَنْ عَطَاءٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحَدِّثُنِي بِالحَدِيثِ، فَأُنْصِتُ لَهُ كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ، وَقَدْ سَمِعْتُهُ قَبْلَ أَنْ يُولَدُ.





الحديث الأربعون

رَوى الإِمَامُ النَّوَوِيُّ بِسَنَدِهِ إِلى الإِمَامِ الْبُخَارِيِّ - رَحِمَهُ الله تَعَالَى - بِسَنَدِهِ إِلى عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِمِنْكَبِي فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**».

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ المسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**»(١).

❁ ❁ ❁

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: هَذَا الحَدِيثُ أَصْلٌ فِي قِصَرِ الأَمَلِ فِي الدُّنْيَا؛ فَالمؤْمِنُ لا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ الدُّنْيَا وَطَنًا وَمَسْكَنًا فَيَطْمَئِنَّ فِيهَا، وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيهَا كَأَنَّهُ عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ، يَعْنِي: فِي جَهَازِهِ لِلرَّحِيل. وَلِهَذَا وَصَّى النَّبِيُّ ﷺ ابْنَ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ أَنْ يَكُونَ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَحَدِ هَذَيْنِ الحَالَيْنِ: إِمَّا غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ.

ثانيا: قَالَ الحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ـ رَحِمَهُ الله: «**المؤْمِنُ كَالْغَرِيبِ لا يَجْزَعُ مِنْ ذُلِّ الدُّنْيَا، وَلا يُنَافِسُ فِي عِزِّهَا، لَهُ شَأْنٌ وَلِلنَّاسِ شَأْنٌ**».

ثالثا: لَقَدْ شَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ لِصَحَابَتِهِ الدُّنْيا بِمَا يُقَزِّزُ النُّفُوسَ، فَعَنْ جَابِرٍ -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَيْهِ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ - مَقْطُوعِ الأُذُنَيْنِ - مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ، فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّكُم يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟**» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «**أَتُحِبُّون أَنَّهُ لَكُمْ؟**» قَالُوا: وَالله لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ؛ لأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَال: «**وَالله لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**»(٢).

رابعا: مِلْكِيَّةُ الإِنْسَانِ لِلْمَالِ لَيْسَتْ مِلْكِيَّةً حَقِيقِيَّةً، بَلْ هِيَ مِلْكِيَّةٌ إِضَافِيَّةٌ، قَالَ تَعَالَى:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٦)، والترمذي (٢٣٣٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٥٧) عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما.



﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾[1]، عَـنْ عَبْدِ الله بْنِ الشِّخِّيرِ -رضي الله عنه- قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[2] ثم، قَالَ: «**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ يَا بْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلا مَا أَكَلْتَ فَأَفْـنَـيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ**»[3].

خامسا: عَلَى المسْلِمِ أَنْ يَكُونَ نَهَّازًا لِلْفُرَصِ فِي طَاعَةِ الله تَعَالَى، وَأَنْ يَكُونَ يَقِظًا مُتَنَبِّهًا فَلا يُضَيِّعُ فُرْصَةً فِي طَاعَةٍ، وَعَلَيْهِ أَن يَغْتَنِمَ أَوْقَاتَ نَشَاطِهِ وَقُوَّتِهِ.

إِذَا هبَّـتْ رِيَاحُـكَ فَاغْتَنِمْهَـا ... فَـإِنَّ لِكُـلِّ خَافِقَـةٍ سُـكُونُ

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**»[4].

وَقَالَ أَيْضًا: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا: هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَـنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوْ الدَّجَّالَ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ، فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**»[5].



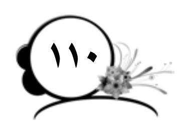
(١) الحديد: ٧.

(٢) التكاثر: ١.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٥٨)، والترمذي (٢٣٤٢، ٣٣٥٤)، والنسائي (٣٦١٣).

(٤) أخرجه الحاكم (٤/ ٣٠٦) عن ابن عباس –رضي الله عنهما– وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٧).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٣٠٦)، وقال: «حسن غريب» والحاكم (٤/ ٣٢١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.





الحديث الحادي والأربعون

رَوى الإِمَـامُ النَّـوَويُّ بِسَنَدِهِ إلى الإِمَـامِ الحافِظِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدُ بْـنُ ثَابِـتٍ الخَطِيـب الْبَغْدَادِيّ - رَحِمَهُ الله تَعَالَى - بِسَنَدِهِ إلى عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَـالَ: «**لا يُـؤْمِن أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُون هَوَاهُ تَبَعًا لِـمَا جِئْتُ بِهِ**»(١).

❀ ❀ ❀

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: لا يَتِمُّ إيمَانُ المؤْمِنِ حَتَّى يُحِبَّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَيَكْرَهَ مَا نَهَى عَنْـهُ، فَالْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يُحِبَّ مَا أَحَبَّهُ اللهُ، مَحَبَّةً تُوجِبُ لَـهُ أَنْ يَلْتَـزِمَ بِمَا أَمَرَ بِهِ اللهُ حُبًّا لَهُ، وَأَنْ يَكْرَهَ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ، كَرَاهَةً تُوجِبُ عَلَيْـهِ تَحْـرِيمَ وَاجْتِنَابَ مَا نَهَى عَنْهُ اللهُ تَعَالَى، فَيَكُونَ الْهَـوَى وَالْمِـزَاجُ تَبَعًـا لِـهَدْيِ الله تَعَالَى فِيمَا أَحَلَّ وَفِيمَا حَرَّمَ.

فَعَلامَةُ الإِيمَانِ فِي المؤْمِنِ: أَنْ يَكُونَ مَيْلُهُ وَرَغْبَتُهُ وَإِرَادَتُهُ فِيمَا يُرْضِـي اللهَ- عَـزَّ وَجَـلَّ- بِاتِّبَاعِ شَرْعِهِ؛ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَفِي كُلِّ مَا جَاءَ عَنِ الله –تَعَالَى – وَعَنْ رَسُولِ الله ﷺ.

ثانيا: المسْلِمُ إِنْسَانٌ تتكَامَلُ فِيهِ جَوَانِبُ الشَّخْصِيَّةِ فَلا تَعَارُضَ بَيْنَ قَوْلِـهِ وَفِعْلِـهِ، وَلا تَنَاقُضَ بَيْنَ فِكْرِهِ وَسُلُوكِهِ يَنْطِقُ لِسَانُهُ بِمَا يَعْتَقِدُ، وَتَنْعَكِسُ عَقِيدَتُهُ عَلَى جَوَارِحِهِ، ومُنْطَلَقُـهُ فِي جَمِيعِ شُؤُونِه حَسْبَ شَرْعِ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ.

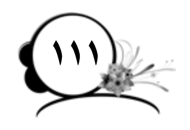
ثالثا: تَنْشأُ جَمِيعُ المعَاصِي مِنْ تَقْدِيمِ هَوَى الـنَّفْسِ عَلَـى مَحَبَّـةِ الله وَرَسُـولِهِ، وَكَـذَلِكَ الْبِدَعُ ؛ وَلِذَلِكَ يُسَمَّى أَهْلُهَا: أَهْلَ الأَهْوَاءِ.

رابعا: مَنْ كَانَ حُبُّه وَبُغْضُهُ وَعَطَاؤُهُ وَمَنْعُهُ لِـهَوى نَفْسِهِ، كَـانَ ذَلِـكَ نَقْـصًا فِـي إِيمَانِـهِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ التَّوْبَةُ مِنْ ذَلِكَ وَالرُّجُوعُ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

ـ قَالَ أَبُو يَعْقُوبَ النَّهرَجُورِيُّ: كُلُّ مَنِ ادَّعَى مَحَبَّةَ الله- عَزَّ وَجَـلَّ- وَلَـمْ يُوافِـقِ اللهَ فِـي أَمْرِهِ، فَدَعْوَاهُ بَاطِلَةٌ وكُلُّ مُحِبٍّ لَيْسَ يَخَافُ اللهَ، فَهُوَ مَغْرُورٌ.

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٤/ ٤٦٨)، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: «أخرجه الحسن بن سفيان وغيره، ورجاله ثقات، وقد صححه النووي في آخر الأربعين».





الحديث الثاني والأربعون

رَوى الإِمَـامُ النَّـوَويُّ بِـسَنَدِهِ إِلى الإِمَـامِ التِّرْمِـذِيِّ - رَحِمَـهُ الله تَعَـالَى - بِـسَنَدِهِ إلى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا بْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلا أُبَالِي. يَا بْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَـرْتُ لَكَ وَلا أُبَالِـي. يَا بْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»[1].

❁ ❁ ❁

اللَّطَائِفُ النُّورَانِيَّةُ

أولا: هَذَا الحَدِيثُ هُوَ أَرْجَى حَدِيثٍ فِي السُّنَّةِ ؛ لِـمَا فِيهِ مِنْ بَيَـانِ كَثْـرَةِ مَغْفِرَتِهِ لِئَلا يَيْأَسِ المُذْنِبُونَ مِنْهَا بِكَثْرَةِ الخَطَايَا، فَهُوَ حَدِيثٌ قُدْسِيٌّ يَـدْعُو اللهُ- عَزَّ وَجَلَّ- عِبَادَهُ إِلَـى دَوَامِ سُـؤَالِهِ الْمغْفِـرَةَ، مَهْمَـا كَانَـتِ الـذُّنُوبُ وَالخَطَايَا، حَتَّى وَلَوْ بَلَغَتْ عَنَانَ السَّمَاءِ أَوْ مِلْءَ الأَرْضِ، فَفَـضْلُ الله- عَـزَّ وَجَلَّ- وَرَحْمَتُهُ أَوْسَـعُ. وَلَكِـنْ لا يَنْبَغِـي لأَحَـدٍ أَنْ يَغْتَـرَّ بِـذَلِكَ، فَيَنْهَمِـكَ فِـي المعَاصِـي وَالذُّنُوبِ.

ثانيا: هُنَاكَ شَرَائِطُ وَآدابٌ لإِجَابَةِ الدُّعَاءِ، فَمِنْ ذَلِكَ:

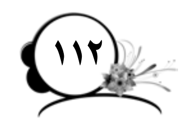
١ـ حُضُورُ الْقَلْبِ بَيْنَ الخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، قَالَ تَعَـالَى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

٢صرفُ طَلَبِ الْعَبْدِ إِلَى مَا فِيهِ خَيرٌ، فَالْعَبْدُ قَدْ يَدْعُو بِحَاجَةٍ مِنْ حَوَائِجِ الـدُّنْيَا، فَإِمَّـا أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ تَعَالَى لَهُ، وإِمَّا أَنْ يُعَوِّضَهُ خَيرًا منها بأَن يَصْرِفَ عَنْهُ سُوءًا، أَوْ يَـدَّخِرَهَا لَـهُ إِلَـى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُوطِّنَ نَفْسَهُ أَنَّ مَا يَخْتَارُهُ اللهُ لَهُ هُوَ خَيرٌ لَهُ وَأَفْضَلُ.

ثالثا: الدُّعَاءُ يَسْتَلْزِمُ حُضُورَ الْقَلْبِ، فَمَنْ دَعَا عَلَى وَجْهِ الْعَـادَةِ، فَلَـيْس حَرِيًّـا بِالإِجَابَـةِ،

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠): وقال: «حديث غريب»، وصححه الألباني.

(٢) الأعراف: ٥٦.



وَهَذَا بِخِلافِ الذِّكْرِ كَالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ، فَلَوْ كَانَ بِغَفْلَةٍ، فَإِنَّهُ يُعْطَى الأَجْرَ وَلَكِنْ أَقَلَّ مِمَّنِ اسْتَحْضَرَ وَجَمَعَ بَيْنَ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ؛ لأَنَّ الدَّاعِيَ مُحْتَاجٌ، فَلابُدَّ أَنْ يَسْتَحْضِرَ فِي قَلْبِهِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ مُفْتَقِرٌ إِلَى الله تَعَالَى.

رابعا: قَوْلُ الله تَعَالَى فِي الحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «**وَلا أُبَالِي**» فِيهِ إِثْبَاتُ «الصِّفَات السَّلْبِيَّةِ»، وَهِيَ كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[1]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[2]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[3]. وَالمرَادُ بِالصِّفَاتِ المنْفِيَّةِ: إِثْبَاتُ كَمَالِ الضِّدِّ، فَنَفْيُ المُبَالاة إِثْبَاتُ كَمَالِ السُّلْطَانِ والْفَضْلِ وَالإِحْسَانِ.

خامسا: الدُّعَاءُ مَأْمُورٌ بِهِ، وَمَوْعُودٌ عَلَيْهِ بِالإِجَابَةِ.

سادسا: فَتْحُ بَابِ الأَمَلِ لِلْعُصَاةِ؛ لِيُسَارِعُوا إِلَى التَّوْبَةِ وَالنَّدَم مَهْمَا كَثُرَتْ خَطَايَاهُمْ.

سابعا: لا يَصِحُّ اسْتِغْفَارٌ بِاللِّسَانِ مَعَ إِصْرَارِ الْقَلْبِ عَلَى الذَّنْبِ؛ إِذْ يَكُونُ الإِصْرَارُ مَانِعًا مِنَ الإِجَابَةِ.

ثامنا: أَفْضَلُ أَنْوَاعِ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَبْدَأَ الْعَبْدُ بِالثَّنَاءِ عَلَى رَبِّهِ، ثُمَّ يُثَنِّي بِالاعْتِرَافِ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ يَسْأَلَ اللهَ المغْفِرَةَ، كَمَا فِي حَدِيثِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ**»[4].

ـ وَقَالَ الحَسَنُ: أَكْثِرُوا مِنَ الاسْتِغْفَارِ فِي بُيُوتِكُمْ، وَعَلَى مَوَائِدِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُم، وَفِي أَسْوَاقِكُمْ، وَفِي مَجَالِسِكُمْ، وَأَيْنَمَا كُنْتُمْ؛ فَإِنَّكُمْ مَا تَدْرُونَ مَتَى تَنْزِلُ المغْفِرَةُ.

تاسعاً: الاستغفارُ مَهْمَا عَظُمت الذنوبُ، وعدمُ اليأسِ منْ قبولِ التوبةِ، فذنوبُ العبدِ مهما عَظُمَتْ فإنَّ عَفْوَ الله تعالى ومغفرتهُ أوسعُ منها وأعظمُ.

عاشراً: حُسْنُ الظَّنِ بالله تعالى، معَ اليقينِ بأنهُ هُوَ وحدَهُ الغفَّارُ لمنْ تابَ واستغفَر.

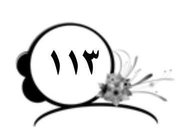
---

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) الكهف: ٤٩.

(٣) الفرقان: ٥٨.

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٠٦).





حادي عشر: أسباب المغفرة ثلاثة:

أ ـ منْ أعظمِ أسباب المغفرةِ أنَّ العبدَ إذا أذنبَ ذنبا لمْ يرجُ مغفرتَهُ منْ غيرِ ربهِ، ويعلمُ أنَّـهُ لا يغفرُ الذنوبُ ويأخذُ بها غيرهُ.

ب ـ السببُ الثاني للمغفرةِ: الاستغفارُ ولـو عظمـتِ الـذنوبُ، وبلغـتْ في الكثـرةِ عَنـانَ السماءِ وهُوَ السحابُ.

د ـ السببُ الثالثُ للمغفرةِ: التوحيدُ، وهوَ السببُ الأعظمُ، فمنْ فقدَهُ فقدَ المغفرةَ، ومـنْ جاءَ بهِ فقدْ أتى بأعظمِ أسـبابِ المغفـرةِ، قـالَ تعـالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾(1).

من أقْوَالِ الْعُلَمَاءِ والسَّلَفِ فيما يتعلق بمَعْنَى الْحَدِيث:

ـ قالَ لقمانُ لابنهِ: يا بنيَّ، عَوِّدْ لسانَكَ: اللهمَّ اغفرْ لي،فإن للهَّ ساعات لا يردُّ فيها سائلا .

ـ قالَ قتادةُ: إنَّ هذا القرآنَ يدلُّكُم عـلى دائِكُـم ودوائِكُـم: فأمَّـا داؤُكـم فالـذنوبُ، وأمـا دواؤُكُم فالاستغفارُ.

لطائف من حياة رجال السند: (**بكر بن عبدالله المزني**):

(اعْتِذَارٌ بِذَكَاءٍ عَنْ تَوْلِي القَضَاءِ):

ـ عَنْ غَالِبٍ القَطَّانِ، عَنْ بَكْرٍ، أَنَّهُ لَمَّا ذَهَبَ بِهِ للقَضَاءِ قَالَ: إِنِّي سَأُخْبِرُكَ عَنِّي: إِنِّي لاَ عِلْمَ لِي وَالله بِالقَضَاءِ، فَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا، فَمَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَسْتَعْمِلَنِي، وَإِنْ كُنْـتُ كَاذِبًـا فَـلاَ تُـوَلِّ كَاذِبًا.

ـ كَانَ – رَحِمَهُ اللهُ – يَلْبَسُ كِسْوَتَهُ، ثُـمَّ يَجِـيءُ إِلىَ المَسَاكِينِ، فَـيَجْلِسُ مَعَهُـمْ يُحَـدِّثُهُمْ وَيَقُولُ: لَعَلَّهُمْ يَفْرَحُونَ بِذَلِكَ.



(1) النساء: ٤٨، ١١٦.



ملحق ملف السند للأربعين النووية

أولاً: الإسناد من الدين وهو من خصائص سيد المرسلين.

ثانياً: سند الإمام النووي إلى أصحاب الكتب التي أخذ منها الأربعين النووية.

ثالثاً: سند شيوخي لكتب السنة والأربعين النووية:

أ ـ الشيخ محمد عبدالسلام حبوس – رحمه الله.

ب ـ الشيخ محمد الحسن الددو.

جـ ـ الشيخ بدر القاسمي.

رابعًا: أسانيد الشيوخ الذين أخذت عنهم:

أ ـ إجازة الشيخ محمد عبدالسلام حبوس إلى الإمام النووي.

ب ـ إجازة الشيخ العلامة محمد الحسن الددو إلى الإمام النووي وسند كتب السنة.

جـ ـ إجازة الشيخ بدر القاسمي.

خامسًا: الإجازة من الشيخ جاسم محمد مهلهل الياسين للأربعين النووية لطلبة العلم.

أولا: الإسناد من الدين وهو من خصائص أمة سيد المرسلين[1]

قبل أن نتكلم عن أهمية الإسناد، وأنه من خصائص أمتنا يجمل بنا أن نعرج على تعريفه لغة واصطلاحا.

*** التعريف:**

١- السند (بفتح السين والنون) لغة: ما ارتفع من الأرض، قبل الجبل، أو الوادي. وفلان سند: أي معتمد[2].

٢- واصطلاحًا: الطريق الموصلة إلى متن الحديث.

***العلاقة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي:**

أن السند أخذ مما علا وارتفع من سفح الجبل، لأن الـمُسْنِد: يرفع الحديث إلى قائله.

أو من فلان سند: أي معتمد، فسمي الإخبار عن طريق المتن سندًا؛ لاعتماد الحفاظ عليه في صحة الحديث وضعفه[3].

هو من خصائص أمة محمد ﷺ، وليس لأحد سواها من الأمم.

قال الإمام محمد بن سيرين[4]: **«إِنَّ هَذَا العِلْمَ دِيْنٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينكُم»**[5].

قال أمير المؤمنين في الحديث شعبة بن الحجاج[6]: **«إِنَّمَا يُعْلَمُ صِحَّةُ الحَدِيثِ بِصِحَّةِ الإِسْنَادِ»**[7].

وقال الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة[8]: **«إِنَّ هَذَا العِلْمَ هُوَ لَحْمُكَ وَدَمُكَ، وَعَنْهُ تُسْأَلُ يَومُ القِيَامةِ، فَانْظُرْ عَمَّنْ تَأْخُذه»**[9].

---

(١) ينظر: فتح المغيث للسخاوي (٣/ ٣٣ط. هندية ١٤٠٩هـ)، والمحدث الفاصل للرامهرمزي (ص ٢٠٥)، ومعرفة علوم الحديث للحاكم (ص ٥)، وتوجيه النظر للعلامة الجزائري (ص ٢٥) وغيرها من كتب المصطلح.

(٢) لسان العرب مادة (س ن د)، وتاج العروس (٨/ ٢١٥).

(٣) توجيه النظر للعلامة طاهر بن صالح الجزائري (ص ٢٥) ط. دار الباز.

(٤) (ت ١١٠هـ).

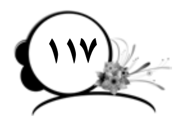
(٥) روى ذلك مسلم في «مقدمة صحيحه» (١/ ٨٤- نووي)، وابن حبان في المجروحين (١/ ٢٢).

(٦) (ت ١٦٠هـ).

(٧) رواه ابن عبد البر في التمهيد (١/ ٥٧).

(٨) (ت ١٧٩ هـ).

(٩) رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (ص ٤١٦).



وقال الإمام أحمد بن حنبل(1): «**طَلَبُ الإِسنادِ العالِي سُنَّةٌ عَمَّنْ سَلَف**»(2).

وقال الإمام أبو حاتم الرازي(3): **«لم يكنْ في أمةٍ من الأممِ منذُ خلقَ اللهُ آدمَ يحفظُونَ آثارَ نَبِيِّهم، وأنسابَ سَلَفِهِمْ مِثْلَ هَذهِ الأمَّة»**.

فقيل له: ربما رووا حديثًا لا أصل له! قال: علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم»(4).

وقال عبد الله بن المبارك(5): «**الإِسنَاد مِنَ الدِّينِ وَلَولَا الإِسْنَادِ لَقَالَ مِنَ شَاءَ مَا شَاءَ**»(6).

وقال الإمام محمد بن حاتم بن المظفر: «**وَهَذِهِ الأُمَّةُ، إِنَّمَا تَنُص الحَدِيثَ عَن الثِّقَةِ المَعْرُوفِ فِي زَمَانِهِ، المَشْهُورِ بِالصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ عَنْ مِثْلِهِ، حَتَى تَتَنَاهَى أَخْبَارُهُم، ثُمَّ يَبْحَثُونَ أَشَدَّ البَحْثِ حَتَى يَعرِفُوا الأَحْفَظَ فَالأَحْفَظ، وَالأَضْبَطَ فَالأَضْبَطَ، وَالأَطْوَلَ مُجَالَسَة لِمَنْ فَوقَه مَمَن كَانَ أَقَلَّ مُجَالَسَة، ثُمَّ يَكْتُبُونَ الحَدِيثَ مِن عِشْرِينَ وَجهًا أو أَكثر حَتَى يُهَذِبُوهُ مِنَ الغَلَطِ وَالزَّلَل، وَيَضْبُطُوا حُرُوفَه، وَيَعُدُّوهُ عَدًّا؛ فَهَذَا مِن أَفْضَل نِعَمِ اللهِ علَى هَذِهِ الأُمَّةِ فَنَستَودِعُ اللهَ شُكرَ هَذِهِ النِّعْمَة**»(7).

وقال الإمام سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله(8): **«الإِسنَاد سُلاحُ المُؤمِن، فَإِذَا لَم يَكُن مَعَهُ سِلاَحٌ فَبِأَيِّ شَيءٍ يُقَاتِل؟»**(9).

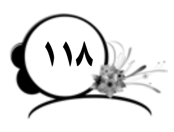
*** شرف نسأل الله ـ سبحانه – المتكرم أن يكرمنا فيه:**

من المفرح أنه لو لم يكن في فضل الإسناد إلا انتظام الراوي في سلسلة مع اسم المصطفى ﷺ لكفى بذلك شرفا وفضلا ونبلا.

*** فضل من نقل الحديث بالسند:**

يقول أبو حاتم بن حبان البستي كما في المجروحين (1/ 27): «فرسان هذا العلم الذين حفظوا على المسلمين الدين، وهدوهم إلى الصراط المستقيم، الذين آثروا قطع المفاوز

(1) (ت 241 هـ).
(2) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى (ص 203).
(3) (ت 277 هـ).
(4) شرف أصحاب الحديث للخطيب (ص 43).
(5) (ت 181 هـ).
(6) مقدمة صحيح مسلم (1/ 87– نووي)، وشرف أصحاب الحديث (ص 41).
(7) شرف أصحاب الحديث للخطيب (ص 40).
(8) (ت161هـ).
(9) شرف أصحاب الحديث (ص 42)، وأدب الإملاء والاستملاء (ص 8)، والمجروحين لابن حبان (1/ 27) وغيرهم.



والقفار، على التنعم في الديار والأوطان في طلب السنن في الأمصار، وجمعها بالوجل والإسفار، والدوران في جميع الأقطار، حتى أن أحدهم ليرحل في الحديث الواحد الفراسخ البعيدة، وفى الكلمة الواحدة الأيام الكثيرة لئلا يدخل مضل في السنن شيئًا يضل به، وإن فعل فهم الذابون عن رسول الله ﷺ ذلك الكذب، والقائمون بنصرة الدين».

*** شرف المشتغلين بالحديث:**

يقول القاضي عياض[1] في شرف علم الحديث وأهله: فلله در عصابة انتظم اسمهم مع اسم أفضل الخلق، وزيادة شرف لهم: أن إمامهم في الدار الآخرة محمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[2] الآية.

فأهل الحديث- العاملين- إمامهم محمد ﷺ، وكفى بذلك شرفًا.

قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه:

دين النبي محمد أخبار   نعم المطية للفتى الآثار

لا تخدعن عن الحديث وأهله   فالرأي ليل والحديث نهار

فلربما سلك الفتى سبل الهدى   والشمس طالعة لها أنوار[3]

*** فضل علو الإسناد والقرب من النبي ﷺ:**

قال الإمام محمد بن أسلم الطوسي الزاهد: قرب الإسناد قرب إلى الله عز وجل.

تعريفات:

أ- المشيخة والإثبات:

كان الأوائل يطلقون لفظ «المشيخة» على الجزء الذي يجمع فيه المحدث أسماء شيوخه ومروياته عنهم، ثم صاروا يطلقون عليه بعد ذلك «المعجم» لما صاروا يفردون أسماء الشيوخ ويرتبونهم على حروف المعجم، فكثر إطلاق المعاجم على المشيخات. وأهل الأندلس يستعملون ويطلقون «البرنامج»؛ أما في القرون الأخيرة: فأهل المشرق يقولون إلى الآن: «الثبت»، وأهل المغرب إلى الآن يسمونه: «الفهرسة».

---

(١) الإلماع (ص ١٧- ٤٤).

(٢) الإسراء: ٧٠.

(٣) ينظر: الإلماع (ص ٤١- ٤٢)، ففيه تخريج لهذه الأبيات.



ب ـ «الثبت»:

والثبت (بسكون الموحدة): الثابت القلب واللسان والكتاب والحجة.

وأما (بالفتح): فما يُثْبت فيه المحدث مسموعه مع أسماء المشاركين له فيه، لأنه كالحجة عند الشخص لسماعه وسماع غيره.

جـ ـ «الفهرس»:

هو الكتاب الذي يجمع فيه الشيخ شيوخه وأسانيده وما يتعلق بذلك.

د ـ «البرنامج»:

بفتح الموحدة والميم، صرح به عياض في «المشارق»، وقيل: بكسر الميم، وقيل: بكسرهما؛ يستعمله كثيرًا أهل الأندلس بمعنى: الفهرسة، وبه سمى الحافظ ابن مرزوق فهرسته. أ هـ مختصرًا.

*** فوائد كتب المشيخات والأثبات:**

لا يشك طالب علم في أهميتها، بل هي كما قيل: أنساب الكتب، وتتمثل أهميتها فيما يلي:

١- مصادر لتراجم الشيوخ، والتعرف على سيرهم ومسموعاتهم، وخاصة صاحب المشيخة نفسه.

٢- وثيقة باتصال أسانيد صاحب المشيخة بكتب معينة.

٣- وثيقة بسماع بعض الشيوخ من شيوخ أعلى منهم في الطبقة، أو معاصرتهم، أو القراءة عليهم، أو الاستجازة منهم.

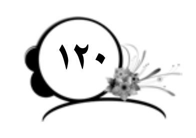
٤- تبرز علماء كل عصر وأعيانه.

٥- صورة حية للمجتمع في الحقبة التي كتبت فيها، وتأريخ صادق لوقائعها.

٦- أما الأثبات فحفظ الكتب من النسيان والضياع.

٧- نشر العلوم والمعارف وترويجها بين الخاص والعام.

٨- تعظيم علمائنا لكتب العلم وإعلاء شأنها؛ ولذا رووها بأسانيدهم المتصلة إليها.





*** وفي ضوء ما تقدم، نرى أن العلماء اعتنوا بهذه الأمور:**

١ـ **الاهتمام بالمشيخة،** وذكر الأحاديث التي رووها من طريق هؤلاء الشيوخ كمعجم الشيوخ لأبي يعلى، وأبي طاهر السلفي، وأبي عبد الله الرازي، والطبراني في الأوسط والصغيروغيرهم كثير.

٢ـ **الاهتمام بذكر المرويات** سواء مرتبة على الأبواب أو المسانيد.

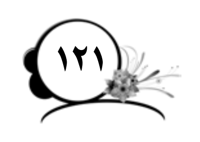
٣ـ **الإكثار من الشيوخ** (تقمشا ثم تفتشا)، قال ابن منده:

«رأيت ثلاثين ألف شيخ، فعشرة آلاف ممن أروي عنهم وأقتدي بهم، وعشرة آلاف أروي عنهم ولا أقتدي بهم، وعشرة آلاف من نظرائي، وليس من الكل واحد إلا وأحفظ عنه عشرة أحاديث أقلها».

فدل ذلك على اعتناء السلف وحرصهم على تكثير الشيوخ والذي به تتسع المدارك والفهوم، ويزداد طالب العلم معرفة وعلمًا في جميع الفنون.

هذه هي همة الأئمة في التحصيل على الشيوخ، و ما كتبه شيخنا العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة- رحمه الله- في «صفحات من صبر العلماء» حول هذا الموضوع نفيس للغاية.






ثانيا: أسانيد الإمام النووي في الأربعين النووية إلى أصحاب الكتب التي أخذ منها :
١
إسناده إلى صحيح الإمام البخاري
١ عن شيخه أبي البقاء بن يوسف النابلسي ثم الدمشقي
٢ عن أبي العباس أحمد بن أبي طالب بن نعمة الحجار
٣ عن أبي عبدالله الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى الربعي الزبيدي
٤ عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي
٥ عن أبي الحسن عبدالرحمن بن محمد المظفر
عن أبي محمد بن عبدالله بن أحمد محويه
٦ عن أبي عبدالله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري
٧ عن مؤلف الصحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن بردزبه البخاري الجعفي - رحمهم الله جميعا
٢
إسناده إلى صحيح الإمام مسلم
١ إبراهيم بن أبي حفص عمر بن مضر الواسطي
٢ منصور بن عبدالمنعم الفراوي
٣ عن جد أبيه فقيه الحرم محمد بن الفضل الفراوي
٤ عبدالغفار بن محمد الفارسي(سماعا)
٥ محمد بن عيسى بن عمورية الجلودي النيسابوري
٦ إبراهيم بن محمد بن سفيان (سماعا)
٧ عن جامعه الإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري
٣
إسناده إلى سنن أبي داوود
١ عن شيخه أبي البقاء بن يوسف النابلسي
٢ عن أبي العباس أحمد بن أبي طالب بن نعمة الحجار
٣ جعفر بن علي الهمداني
٤ الحافظ أبي طاهر السلفي
٥ عن أبي يجعفر العباد أتى كتابة إليه من البصرة
٦ القاسم بن جعفر بن عبدالواحد الهاشمي
٧ محمد بن أحمد اللؤلؤي
٨ عن مؤلفه أبي داود وسليمان بن الأشعث السجستاني
٤ + ٥ + ٦
٤
إسناده إلى سنن الترمذي
١ عن أبي البقاء بن يوسف النابلسي
٢ عن أبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجار
٣ عن أبي المحّا عبدالله بن عمر اللتي
٤ عبدالأول بن عيسى السجزي
٥ محمود بن القاسم الأزدي
٦ عبدالجبار بن محمد الجراحي المروزي
٧ محمد بن أحمد بن الفضل المحبوبي
٨ عن مؤلفه أبي عيسى السلمي الترمذي
٥
إسناده إلى سنن النسائي (السنن الصغرى)
١ عن شيخه أبي البقاء النابلسي
٢ أحمد بن أبي طالب الحجار
٣ عبداللطيف بن محمد القبيطي (إجازة)
٤ عن ابن زرعة طاهر بن محمد المقدسي (سماعا)
٥ الجميعه عن عبدالرحمن الدوني (سماعا)
٦ الجميعه عن القاضي أبي نصر أحمد الدينوري المعروف بابن السني
٧ عن مؤلفه أحمد بن شعيب بن علي النسائي
٦
إسناده على سنن ابن ماجه
١ عن أبي البقاء بن يوسف النابلسي
٢ عن أبي العباس أحمد الحجار
٣ عن عبداللطيف بن محمد القبيطي (إجازة)
٤ عن أبي زرعة طاهر بن محمد المقدسي
٥ محمد بن الحسين المقومي القزويني
٦ القاسم بن أبي المنذر الخطيب
٧ علي بن إبراهيم بن بحر القطان
٨ عن مؤلفه الحافظ محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني
٧- الموطأ رواية يحيى الليثي ٨- الموطأ رواية أبي مصعب الزهري ٩- مسند الإمام أحمد ١٠- الدارقطني ١١- عبد بن حميد ١٢- الدارمي ١٣- ابن حبان ١٤- الطبراني
١٥- الأصبهاني ١٦- الحاكم ١٧- الخطيب البغدادي (وكل هذه الكتب أخذها الإمام النووي عن شيخه أبي البقاء بن يوسف النابلسي وله عليها كذلك طرق أخرى)



ثالثاً: سند شيوخي لكتب السنة والأربعين النووية

أ ـ سند الشيخ عبدالسلام محمد محمد إبراهيم بن حبوس المصري:

قال الشيخ عبدالسلام: أخبرنا بالأربعين النووية قراءة لجميعها عليه ونحن نسمع:

١ـ الشيخ أبو الفيض عبدالله بن محمد الصديق الغماري.

٢ـ عن الشيخ أحمد بن رافع الطهطاوي.

٣ـ عن الشيخ محمد بن مصطفى الخضري الدمياطي.

٤ـ عن الشيخ محمد الأمير الكبير (حضرها من أولها إلى آخرها).

٥ـ عن الشيخ محمد البليدي المالكي الأندلسي.

٦ـ عن الشيخ علي بن أحمد الصعيدي العدوي المالكي.

٧ـ عن الشيخ محمد بن عقيلة المكي.

٨ـ عن الشيخ حسن بن علي العُجَيمي.

٩ـ عن الشيخ محمد البابلي بن العلاء.(من شيوخه أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي).

١٠ـ عن الشيخ السنهوري.

١١ـ عن الشيخ محمد بن أحمد بن علي الغيطي.

١٢ـ عن الشيخ زكريا بن محمد الأنصاري (قرأها على).

١٣ـ الشيخ أحمد بن حجر العسقلاني (صاحب كتاب فتح الباري).

١٤ـ عن الشيخ أبي إسحاق الشُروطي.

١٥ـ عن الشيخ محمد بن أحمد الرفَّا.

١٦ـ عن الشيخ أبي الربيع سليمان بن سالم المقري.

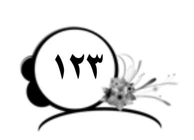
١٧ـ عن الشيخ أبي الحسن علي بن إبراهيم بن داود العطَّار.

١٨ـ عن مؤلف الأربعين النووية الإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي – رحمه الله.

طريق آخر: يرويه الشيخ عبدالسلام محمد بن حبوس عن شيخه أبو الفيض عبدالله بن محمد الصديق الغماري:

١ـ عن السيدة الشيخة أم البنين آمنة بنت عبد الجليل بن سليم الدرَّا الدمشقية.

٢ـ عن الشيخ عبد الجليل بن برَّادة.





٣ـ عن الشيخ أحمد منَّة الله الأزهري.

٤ـ عن الشيخ الحافظ محمد الأمير الكبير.

٥ـ عن الشيخ نور الدين علي بن أحمد الصَّعيدي.

٦ـ عن الشيخ محمد بن عقيلة المكي.

٧ـ عن الشيخ النور حسن بن علي العُجَيمي.

٨ـ عن الحافظة قريش الطبرية.

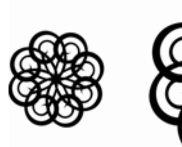
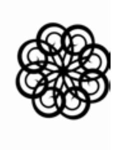
٩ـ عن الشيخ عبد الواحد بن إبراهيم الحِصَاري المكي.

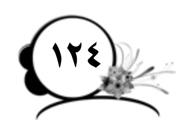
١٠ـ عن الشيخ الحافظ السيوطي والقاضي زكريا الأنصاري.

١١ـ عن الشيخ الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (بإسناده مذكور في الطريق الأول إلى الإمام النووي رحمهم الله).

ملاحظة:

ما ذكرناه هو سند الشيخ عبد السلام بن محمد بن محمد بن إبراهيم حبوس – رحمه الله – عن طريق الشيخ الغماري للأربعين النووية خاصة، وقد أخذ إجازة عامة وخاصة لأصول كتب السنة من الشيخ محمد هاشم بخاري بن الشيخ محمد قاسم عالوي الحسني – رحمه الله – وأخذ إجازة عامة من العلماء ومنهم أئمة الهدى ومصابيح الدجى، وفي مقدمتهم الشيخ عبدالله بن محمد الصديق الغماري، ثم الشيخ عيسى الفاداني المكي، والشيخ أبوعلي محمد المنتصر بالله الكناني، والشيخ محمد المهدي محمود علي، عن شيخه الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي والشيخ أبو محمد علاء الدين أحمد بن محمد سردار الحلبي.





ب ـ سند الشيخ محمد الحسن بن الددو الشنقيطي

يقول الشيخ محمد الحسن الددو: أخبرني بالأربعين النووية بسماعي لها من جدي الشيخ محمد علي بن عبد الودود الهاشمي:

١ـ عن الشيخ محظية بن عبد الودود.

٢ـ عن الشيخ محمد بن محمد سالم المجلسي الأموي.

٣ـ عن الشيخ حامد بن عمر.

٤ـ عن الشيخ الفقيه الخطاط.

٥ـ عن القاضي بن علي ممة السباعي.

٦ـ عن شيخ الشيوخ الفاضل بن أبي الفاضل الحسني (قرأها على).

٧ـ الشيخ علي الأجهوري.

٨ـ عن الشيخ البرهان العلقمي.

٩ـ عن الشيخ جلال الدين السيوطي (قرأها على).

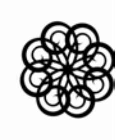
١٠ـ الشيخ العلم البلقيني.

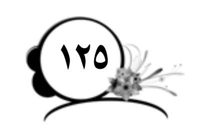
١١ـ عن والد السراج البلقيني.

١٢ـ عن الحافظ أبي الحجاج المزي.

١٣ـ عن الإمام محيي السنة أبي زكريا يحيى بن شرف النووي – رحمهم الله جميعًا.

أما سنده للكتب الستة والتفسير فقد جاء تفصيلها في سند الشيخ الحافظ سليمان بن سالم اللهيبي الحربي الذي أخذ عنه الشيخ محمد الحسن الددو السند.



جـ ـ سند الشيخ بدر الحسن القاسمي

أولا: السند إلى موطأ الإمام مالك:

١ـ الشيخ محمد سالم القاسمي:

قرأ عليه الموطأ بالسند على الشاه ولي الله الدهلوي بسنده إلى الإمام يحيى بن يحيى الليثي الصمودي ورواية الإمام بن الحسن الشيباني إلى الإمام مالك بن أنس صاحب الموطأ - رحمهم الله جميعا.

ثانيا: السند إلى صحيح الإمام البخاري:

٢ـ الشيخ فخر الدين أحمد:

قرأ عليه صحيح البخاري بالسند على الشاه ولي الله الدهلوي بسنده إلى الشيخ أبي عبدالله محمد بن يوسف بن مطر القريزي عن الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري - رحمهم الله جميعا.

ثالثا: كامل الكتب الستة وشرح معاني الآثار:

يرويها الشيخ بدر القاسمي عن شيوخه الذين قرأ عليهم وجميعهم يروون عن شيخ الإسلام حسن بن أحمد المزني عن شيخ الهند محمود حسن - رحمهم الله جميعا.

رابعا: سند الشيخ فخر الدين أحمد إلى الشيخ ولي الله الدهلوي:

١ـ شيخ الهند محمود حسن.

٢ـ الشيخ محمد قاسم النانوتوي.

٣ـ الشيخ عبدالغني الدهلوي.

٤ـ الشيخ أبو سعيد الدهلوي.

٥ـ الشيخ عبد العزيز الدهلوي.

خامسا: الشاه ولي الله الدهلوي إلى البخاري:

١ـ أبو طاهر الكردي المدني.

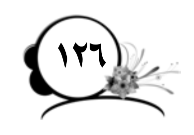
٢ـ إبراهيم الكردي المدني.

٣ـ أحمد القشاشي.

٤ـ أحمد بن عبد القدوس أبي المواهب الشنَّاوي.

٥ـ شمس الدين محمد بن أحمد الرملي.

٦ـ زين الدين زكريا بن أبي محمد أبي يحيى الأنصاري.





٧ـ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.

٨ـ إبراهيم أحمد التنُّوخي.

٩ـ أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحجار.

١٠ـ محمد السراج الحسين بن المبارك الزبيدي.

١١ـ عن أبي الوقت عن عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي الهروي.

١٢ـ عن ابن الحسن عبدالرحمن بن مصطفى الداودي.

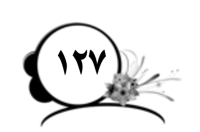
١٣ـ عن أبي محمد عبد الله بن أحمد السرخسي.

١٤ـ عن أبي عبدالله محمد بن يوسف مطر القربري.

١٥ـ عن الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري - رحمهم الله جميعا.



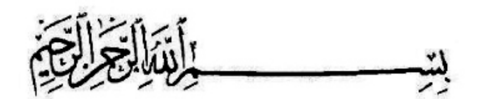




رابعًا : أسانيد الشيوخ الذين أخذت عنهم

أ- إجازة الشَّيْخ

عبد السّلام مُحَمَّد مُحَمَّد إِبْرَاهِيم حُبُوس المِصْري



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسّلام على خاتم الأنبياء سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم .

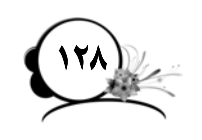
أقول أنا الفقير إلى رحمة ربي/ عبد السّلام بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم ابن حُبُوس المِصْري الشَّافِعِيّ الأَزْهَرِيّ الأَشْعَرِيّ ، قرأ عليّ كتاب الأربعين النَّوَوِيَّة في الأحاديث الصحيحة لوارث العلم النبوي يَحْيَى بن شَرَف الدين النَّوَوِي ، المتوفى سنة ٦٧٦هـ.

الأخ الفاضل الشَّيْخ :

وأنا أنظر في أصلي ويسمع معي إخوة أفاضل منهم :

وقد أجزتهم إجازة خاصة سماعاً لجميعه ، وإجازة عامة لكل الكتب التي ذكرت فيها هذه الأحاديث الشَّريفة سماعاً لبعضها وإجازة في باقيها عن مشايخي رحمهم الله تعالى .

الشَّيْخ الحافظ عبد الله بن مُحَمَّد الصديق وهو أعلى سنداً في العالم الإسلامي وشَيْخي مسند العصر والعالم الإسلامي أبو الفيض الشَّيْخ مُحَمَّد ياسين بن مُحَمَّد عِيسَى الفَاداني المكِّي وأسانيده وكتبه معروفة وبما أجازني به مشايخي المِصْريين الشَّيْخ الحجة المسند عبد الوهاب بن عبد اللطيف بن عبد الله المالكي ، عن شَيْخه أبي الفيض مُحَمَّد الباقر ، عن شَيْخه مُحَمَّد بن جَعْفَر الكَتَّاني ، عن محَدِّث الحجاز الشَّيْخ على بن ظاهر الوِتْرِي ، عن الشَّيْخ



أَحْمَد منة الله عن الشَّيْخ الحافظ مُحَمَّد الأمير الكبير بأسانيده في كتابه سد الأرب من علوم الإسناد والأدب ، وعن شَيْخي الشَّيْخ مُحَمَّد المهدي محمود علي ، عن شَيْخه مُحَمَّد زكريا الكانْدَهْلَوي ، عن شَيْخه أبي أَحْمَد خليل أَحْمَد ، عن شَيْخه الشَّيْخ الشِّهَاب أَحْمَد بن إسماعيل البَرْزَنْجي ، عن الشَّيْخ أَحْمَد بن زيني دَحْلان ، عن الشَّيْخ عثمان الدِّمْياطِي ، عن الشَّيْخ الأمير الكبير بإسناده . وأَحْمَد الله تعالى أن شملتني الإجازة العامة من شَيْخ الشُّيوخ أَحْمَد بن رافع الطَّهْطَاوي سنة ١٣٥٥هـ ، وهذا هو تاريخ ميلادي وإن كنت ولدت قبل ذلك .

أجزت إخواني بكل ما يجوز لي من علوم الحديث الشَّريف ، وعلوم الشَّريعة من معقول ومنقول رجاء دعوة صالحة ورجاء تبليغ حديث النبي ﷺ والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وأوصي إخواني بالعمل قدر الطاقة على إحياء سنة الإملاء وقراءة الحديث والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحبة والأخوة في سبيل الله عزّ وجلّ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

أستخير الله رب العرش العظيم وأشرح صدري وقلبي فأجزت صاحب الفضيلة د. جاسم وأجزت بكل منقول ومعقول أجازني به مشايخي من الحديث والسنة والقرآن وغير ذلك وأن يجيز غيره هذه الإجازة في أي قطر نزل وفي أي بلد حل ورجاء دعوة صالحة وفقه الله

وصلى الله على نبينا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

١٧ ربيع أول ١٤٢٩

الموافق ٢٤/٣/٢٠٠٨م

كتبه الشيخ / عبد السلام محمد محمد جوس

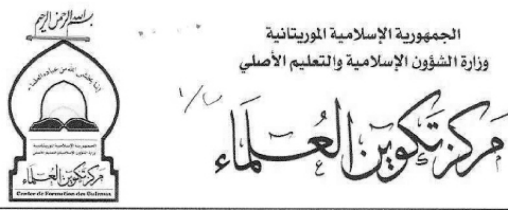
عبد السلام



ب١ـ إجازة الشيخ محمد الحسن بن الددو الشنقيطي للأربعين النووية

Republique Islamique de Mauritanie
Ministere des Affaires Islamiques et
de l'Enseignement Originel

Center de Formation des Oulemas



الجمهورية الإسلامية الموريتانية
وزارة الشؤون الإسلامية والتعليم الأصلي

التاريخ: ١٣ / ٧ / ١٤٣٠هـ
الموافق: ٥ / ٧ / ٢٠٠٩م
الموضوع: إجازة

الحمد لله .. أما بعد فإني قد أجزت صاحب الفضيلة العلامة الشيخ الدكتور خليلي في الله: جاسم بن محمد بن مهلهل آل ياسين حفظه الله في الأربعين النووية بسماعي لها من جدي الشيخ: محمد علي بن عبد الودود الهاشمي عن الشيخ يحظيه بن عبد الودود عن محمد بن محمد سالم المجلسي الأموي عن حامد بن عمه عن الفقيه الخطاط عن القاضي ابن علي محمد السباعي عن شيخ الشيوخ الفاضل بن أبي الفاضل الحسني عن علي الأجهوري عن البرهان العلقمي عن جلال الدين السيوطي عن العلم البلقيني عن والد السراج البلقيني عن الحافظ أبي الحجاج المزي عن الإمام محيي السنة أبي زكريا يحيى بن شرف النووي. رحمهم الله أجمعين. كتبه وقاله: محمد الحسن بن الددو الشنقيطي.

محمد الحسن بن الددو

محمد الحسن ولد الددو الشنقيطي
رئيس مركز تكوين العلماء

مركز تكوين العلماء - موريتانيا - انواكشوط - عرفات - هاتف: ٠٠٢٢٢٦٩٧٣٢٢٧ - ٦٣١٠٨٦٥ - فاكس: ٠٠٢٢٢٥٢٩٤٣٤١
Center de Formation des Oulemas - RIM - Nouakchott - Arafatt - Tel:00 222 6973227 - 00 222 6310865 - Fax: 00 222 5294341

ب٢ـ إجازة الشيخ محمد الحسن بن الددو الشنقيطي لكتب السنة

Republique Islamique de Mauritanie
Ministere des Affaires Islamiques et de l'Enseignement Originel

Center de Formation des Oulemas

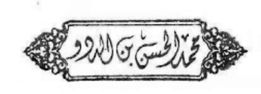


الجمهورية الإسلامية الموريتانية
وزارة الشؤون الإسلامية والتعليم الأصلي



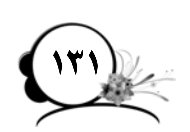
التاريخ: ١٣ / ٧ / ١٤٣٠هـ
الموافق: ٥ / ٧ / ٢٠٠٩م
الموضوع: إجازة

الحمد لله .. أما بعد فإني قد أجزت صاحب الفضيلة العلامة الشيخ الدكتور: جاسم بن محمد بن مهلهل آل يس. حفظه الله وأطال عمره وأبقاه ذخرا للإسلام والمسلمين، في كل ما أرويه من منقول ومعقول إجازة عامة، وإجازة خاصة في القرآن الكريم من رواية حفص عن عاصم، وفي الموطأ والصحيحين والسنن لأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي والدارقطني والبيهقي وفي مسند أحمد ومستدرك الحاكم وصحيحي ابن حبان وابن خزيمة وفي تفسير الطبري وتفسير ابن كثير وتفسير الجلالين وغيرها بأسانيدي إلى أصحاب هذه الكتب ثم بأسانيد أصحابها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتحصيل شرف النسبة، فقد قال أهل الحديث كفى بالرجل شرفا أن يكون اسمه أدنى سلسلة أسماها اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم. كتبه وقاله محمد الحسن ابن الددو الشنقيطي كان الله له وليا ونصيرا.





مركز تكوين العلماء – موريتانيا – انواكشوط – عرفات – هاتف: ٠٠٢٢٢٦٩٧٣٢٢٧ – ٦٣١٠٨٦٥ – فاكس: ٠٠٢٢٢٥٢٩٤٣٤١
Center de Formation des Oulemas - RIM - Nouakchott - Arafatt - Tel:00 222 6973227 - 00 222 6310865 - Fax: 00 222 5294341



جـ ـ إجازة الشيخ بدر الحسن القاسمي



الحمد الله والصلاة والسّلام على محمّد و من ناصره و والاه و بعد :

فإن الأخ الفاضل الصالح الشيخ الدكتور/ جاسم بن مهلهل الياسين حفظه الله

وقد طلب مني أن أمنحه الإجازة برواية الحديث عني بعد ما قرأ أوائل كتب الصحاح فأجزته بشروطها المعتبرة عند أهل العلم برواية جميع ما يحق لي روايته من كتب الصحاح الست المعروفة والمتداولة، إضافة إلى رواية شرح معاني الآثار للإمام الطحاوي وموطأ الإمام مالك بن أنس برواية كل من الإمام يحيى بن يحيى الليثي المصمودي والإمام محمد بن الحسن الشيباني رحمهم الله.

و إني إذ أمنحه هذه الإجازة رغم قصر باعي و قلة بضاعتي أوصيه بتقوى الله وطاعته، و أن لا ينساني في دعواته الصالحة، و أسأل الله العلي القدير أن يوفقه لخدمة هذا العلم الشريف و يرزقه القبول والإخلاص و صلى الله على خير خلقه محمد و آله و صحبه أجمعين.

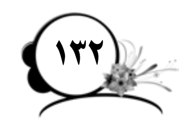
ملاحظة :

و قد قرأت "صحيح البخاري" على الشيخ الإمام المحدّث فخر الدين أحمد و"الموطأ" على الشيخ محمد سالم القاسمي وإسناد أساتذتي إلى الإمام ولي الله الدهلوي ثم إلى مؤلفي كتب الصحاح و إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مكتوبة في الإرشاد إلى مهمات الإسناد للدهلوي و اليانع الجني من أسانيد الشيخ عبد الغني والازدياد السني على اليانع الجني و كذلك في العناقيد الغالية من الأسانيد العالية للشيخ الراحل عاشق إلهي و مقدمة لامع الدراري في شرح صحيح الإمام البخاري للمحدّث الكاندهلوي.

الراجي رحمة ربه .... **بدر الحسن القاسمي** (المقيم بدولة الكويت)

التوقيع ....

التاريخ ٢٣/ربيع الثاني ١٤٣٠هـ
الموافق ١٨/٤/٢٠٠٩



إجازة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،،،

فإن الشيخ الفاضل / قد حضر عندي في مجلس

تدريس **الأربعين النووية**

رواية ودراية في يوم

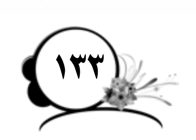
بتاريخ / / هـ الموافق / / م

وطلب مني أن أجيزه بعقد مجلس تدريس الأربعين النووية رواية ودراية لطلبة العلم وإعطائهم الإجازة بالشروط المعتبرة عند المحدثين.

وإنني وإن كنت لست أهلاً لأن أجيز، إلا أنه ما حسن ظنه بالحال أجبته، ليكون له من جهة شيوخي اتصال، فأجزته بالشروط المعتبرة عند المحدثين كما أجازني بها شيوخي الكرام أصحاب الفضيلة:

١. الشيخ الحافظ عبد السلام محمد محمد إبراهيم جبوس المصري رحمه الله.
٢. العلامة الشيخ الحافظ محمد الحسن بن الددو الشنقيطي حفظه الله.
٣. الشيخ الحافظ بدر الحسن القاسمي الديوبندي الهندي حفظه الله.

بأسانيدهم إلى الإمام محيي السنة أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ثم بسنده إلى أصحاب الكتب الستة: صحيح البخاري، صحيح مسلم، وكذلك مسند الإمام أحمد، وسنن الدارقطني، وسنن عبد بن حميد، وسنن الدارمي، وصحيح ابن حبان البستي، ومعجم الطبراني،



والمستدرك للإمام الحاكم، وإسناد الخطيب البغدادي، والحافظ أبي نعيم الأصبهاني. ثم بأسانيد أصحابها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتحصيل شرف النسبة، كما قال أهل الحديث "كفى بالرجل شرفاً أن يكون اسمه أدنى سلسلة أسماؤها وأعلاها اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وإنني أعطيه هذه الإجازة رغم قصر باعي وقلة بضاعتي، وأوصيه بتقوى الله وطاعته وأن لا ينساني في دعائه، كما أنني أسأل الله العلي القدير أن يوفقه لخدمة هذا العلم الشريف ويرزقنا جميعاً الإخلاص والقبول... آمين.

وفي الختام أوصي الشيخ الفاضل حفظه الله أن يقوم على الطريق المستقيم وأن يعمل ما يستطيع على إحياء السنة، ويسير على طريق السلف الصالح من الصحابة والتابعين أصحاب القرون الخيرية رضي الله عنهم، وأن لا يخاف في الله لومة لائم وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأسأل الله لنا وله الزيادة في العلم والعمل، والإعاذة من غواية الجهل والزلل، وأن يحرص على صحبة الصالحين والأخوة في الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المرسلين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ...

إجازة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه
محمد الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،،،
فإن الأخت الفاضلة   قد حضرت عندي

في مجلس تدريس **الأربعين النووية**

رواية ودراية في يوم
بتاريخ / / هـ الموافق / / م

وطلبت مني أن أجيزها بعقد مجالس تدريس الأربعين النووية رواية ودراية لطلبة العلم وإعطائهم الإجازة بالشروط المعتبرة عند المحدثين وإنني وإن كنت لست أهلاً لأن أجيز، إلا أنه لحسن ظنها بالحال أجبتها ليكون لها من جهة شيوخي اتصال ، فأجزتها بالشروط المعتبرة عند المحدثين ، كما أجازني بها شيوخي الكرام أصحاب الفضيلة :

١- الشيخ الحافظ عبد السلام محمد محمد ابراهيم جبوس المصري رحمه الله .
٢- العلامة الشيخ الحافظ محمد الحسن بن الددو الشنقيطي حفظه الله .
٣- الشيخ الحافظ بدر الحسن القاسمي الديوبندي الهندي حفظه الله .

بأسانيدهم إلى الإمام محيي السنة أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ثم بسنده إلى أصحاب الكتب الستة : صحيح البخاري ، صحيح مسلم ، وكذلك مسند الإمام أحمد ، وسنن الدارقطني ، وسنن عبد بن حميد ، وسنن الدارمي ، وصحيح ابن حبان البستي ، ومعجم الطبراني ،

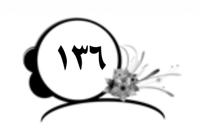
والمستدرك للإمام الحاكم، وإسناد الخطيب البغدادي، والحافظ أبي نعيم الأصبهاني. ثم بأسانيد أصحابها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتحصيل شرف النسبة، كما قال أهل الحديث "كفى بالرجل شرفاً أن يكون اسمه أدنى سلسلة أسماؤها وأعلاها اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وإنني أعطيها هذه الإجازة رغم قصر باعي وقلة بضاعتي، وأوصيها بتقوى الله وطاعته، وأن لا تنسانا في دعائها. كما أنني أسأل الله العلي القدير أن يوفقها لخدمة هذا العلم الشريف ويرزقنا جميعاً الإخلاص والقبول ... آمين

وفي الختام أوصي أختي الشيخة: حفظها الله

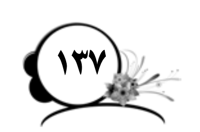
بأن تقوم على الطريق المستقيم وأن تعمل ما تستطيع على إحياء السنة، وتسير على طريق السلف الصالح من الصحابة والتابعين أصحاب القرون الخيرية رضي الله عنهم، وأن لا تخاف في الله لومة لائم وأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وأسأل الله لنا ولها الزيادة في العلم والعمل، والإعاذة من غواية الجهل والزلل، وأن تحرص على صحبة الصالحين والأخوة في الدين.

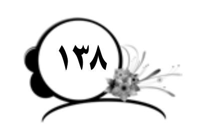
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المرسلين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ...





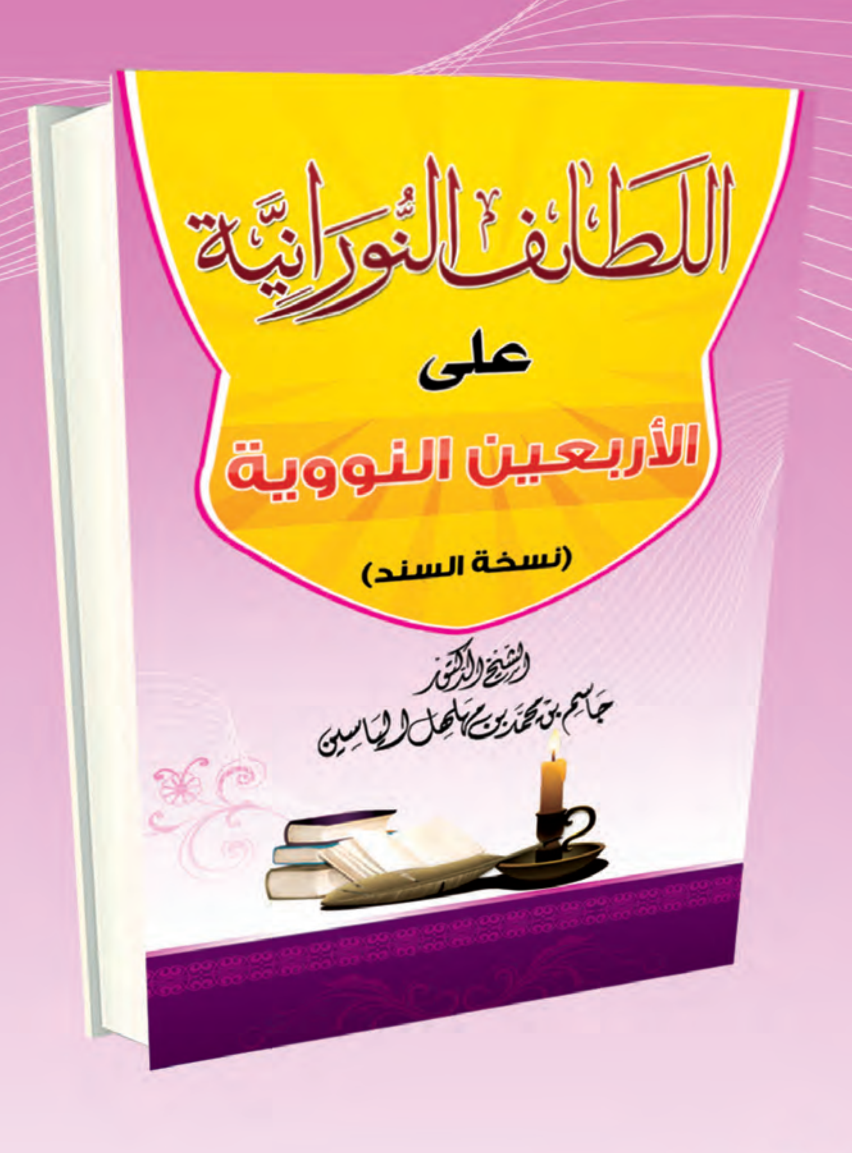
الفهرس













الكويت : ت/٩٩٥٥٧٤٧١ الرمز البريدي : ٤٣٧٥٦ ص. ب : ٦٦٥٢٠
E-mail: alsamaha_laib@gmail.com